

دعوة الحق
أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني
يوجه خطابا ساميا إلى
الشعب المغربي
بمناسبة الذكرى التاسعة لانطلاق
المسيرة الخضراء المظفرة :
الصحراء مغربية
وستبقى مغربية
أمير المؤمنين جلالة الملك
الحسن الثاني يوجه خطابا إلى
مجلس النواب :
ان التزامنا بالدفاع عن
وحدة ترابنا وصيانة
مكتسباتنا سيظل ذلك
الالتزام القوي
المستميت
العدد
242
الثمن
4
دراهم
ورود لفظ "أمر دينها"
في حديث تجديد الدين على رأس كل مائة سنة
مسيرة الحديبية، مسيرة الفتح المبين
نص رسالة
الصفيحة الجامعة
لأبي العباس أحمد الأزدي
المراكشي الشهير بابن البنا.

رسالة من أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى الدورة الثالثة للمجلس العالمي للدعوة الاسلامية

الديانة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . . . .

وما جاءت به من توجيه وتتوخاه من مقاصد كفيل بأن ييسر للبشرية طريقها.

شهدت مدينة الدار البيضاء أشغال الدورة الثالثة للمجلس العالمي للدعوة الاسلامية التى تأتى فى اطار انعقاد جمعها العام العادي لهذه السنة.

فى بداية الجلسة الافتتاحية ألقى الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية رسالة ملكية سامية موجهة الى المؤتمر...

وفيما يلى نص الرسالة الملكية السامية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة:

يطيب لنا أن نرحب بكم على أرض المملكة المغربية وأن نغتنم هذه الفرصة لنعرب لكم عما نستشعره من بهجة وسرور لوجودكم بيننا، وعما نوليه من اهتمام خاص لنشاط المجلس العالمي للدعوة الاسلامية الذي يفتتح اليوم بمدينة الدار البيضاء اشغاله ودورته الثالثة.

وهذا الاهتمام الذي نخص به أعمال منظمتكم صادر عن ادراكنا لخطورة القضايا التى تعنى بها.

وعن تقديرنا للصفوة المختارة من القائمين عليها لما عرف عنهم من صدق العزيمة واخلاص النية والسعى الدؤوب المتواصل في سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة دينه.

ولا يخامرنا شك في أن ما يتحلون به من هذه الصفات الحميدة قد كان له نصيب وافر فيما حصل عليه المجلس العالمي للدعوة الاسلامية على حداثة عهده من نتائج لا يستهان بها في مختلف الميادين والمجالات التي صرف عنايته لها. كما يمكن اعتباره من أنجع العوامل التي ستتيح لهذه المنظمة توسيع نطاق نشاطها وتنويع اهتماماتها لتقوم على الوجه الاكمل لما نذرت له نفسها في خدمة الاسلام والمسلمين.

ولعل من أبرز ما يستحق التنويه فى هذا الباب هذه النظرة الشاملة المتكاملة التي يصدر عنها المجلس العالمى للدعوة الاسلامية فيما يرسم من أهداف لأعماله ومساعيه فهو لا يقصر اهتمامه على جانب دون جانب ولا يحصر جهوده فى ميدان على حساب آخر. بل يوجه عنايته الى مختلف القضايا التي يرى أن المصلحة الاسلامية تدعو الى معالجتها مهما كان نوعها أو الصبغة التي تكتسيها.

وفي هذا الصدد لا يسعنا الا أن نحمد لمؤسستكم ما تقوم به لفائدة القلة المستضعفة من المسلمين التى تعيش فى بلدان لا يدين معظم سكانها بالاسلام من مديد العون الى أفرادها ومساعدتهم على الاخذ بأسباب التقدم والرقي فى شتى المجالات، وتبصيرهم بأمور دينهم ووقايتهم من كيد الذين يحاولون فتنتهم ليردوهم بعد ايمانهم كفارا ويصدوهم عن دين الله الذي ارتضوه عن اقتناع وبصيرة.

وجدير بالاشادة كذلك ما يسعى اليه مجلسكم من نشر الاسلام بين من لم تبلغهم الدعوة بعد انطلاقا من أن الديانة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وأن ما جاءت به من توجيه وما تقوم عليه من قواعد عامة وتتوخاه من مقاصد كفيل بأن ييسر للبشرية طريقها ويتيح لها من الوسائل والاسباب ما يساعد على اقامة مجتمعات صالحة تسودها العدالة ويعمها السلام والوئام.

والى هذا وذاك فقد اضطلع المجلس العالمي للدعوة الاسلامية بعمل جليل يستحق عليه كل تشجيع هو التصدي لمن يحاولون النيل من الاسلام والحط من شأنه وتصويره على غير حقيقته وهو عمل طويل النفس على جانب لا يستهان به من الدقة والخطورة ولا بد لمن ينتصب له أن يسير على هدي القرآن فى مجال الدعوة من تعزيز القول بالفعل وسلوك سبيل العقل والاخذ بالتؤدة واللين امتثالا لقوله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين»، وقوله جل من قائل: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن».

وفقنا الله جميعا لما فيه رفعة الاسلام واعلاء شأنه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه وأجزل لنا الثواب في الدارين انه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا وما عند الله خير وأبقى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط . المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهما
في البلاد العربية: 67 درهما
في العالم: 77 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485 . الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

● المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبيها ولا تلزم المجلة أو الوزارة التي تصدرها ●

فهرس العدد 242



أحيت الأمة المغربية في شهر نوفمبر ذكريات وطنية، لها في تاريخنا وقع خاص وموقع متميز، نظرا لما لهذه الذكريات من دلالات ومعان، أضفت على هذا التاريخ كله، لا في إطاره الوطني والجهوي وحسب، ولكن في إطاره العربي والإسلامي والإفريقي كذلك، مسحة واضحة من الاستمرارية التي هي ركن من أوكد أركان الشعوب المؤمنة، ودعامة راسخة من دعائمها التي تكفل لها حسن التطور وسلامة السير، وضمانات التقدم على هدي من المبادئ والمقومات والمثل العليا التي تؤمن وتتشبع بها هذه الشعوب، فلا تتردد لحظة في الدفاع عنها وحمايتها وفي جعلها عبر المسار التاريخي - في منجى من الأخطار والتكالبات.

على أن المعنى الواضح والمتجلي في هذه الذكريات، هو بدون شك إرادة الإيمان بالله، والتعلق بالإسلام، والتشبث بتعاليمه ومبادئه السمحة التي كانت وما تزال معينا على العمل الناجح، والإنجاز العمراني المتطور سواء تعلق الأمر بالمستوى الفردي أو بالمستوى الجماعي.

والواقع أنه حينما يحتفل الشعب المغربي بذكرياته الوطنية خاصة، فإن هذه الروح الإسلامية بالذات، هي التي تميز أولا مضمون وهدف الذكرى الوطنية ثم تميز ثانيا احتفال الشعب بها، لأن فهم الشعب المغربي ووعيه وإدراكه للتاريخ وأحداثه وتحولاته لا يتم إلا في إطار إسلامي، ومن منظور إسلامي، كلاهما يكشف عن المعنى العميق والحي الذي يتجدد بكل رموزه الماضوية والمستقبلية، حينما

يحتفل الشعب المغربي قاطبة بتلك الأحداث والذكريات التي كان لها ـ ولا يزال ـ في تاريخه الحديث وفي نضاله الوطني المستمر، ذلك الموقع المتميز وذلك الوقع الخاص.

ففي فاتح نوفمبر من سنة 1954، بدأ التاريخ يسجل صفحة جديدة في مسيرتنا النضالية، تجسدت في التحاق الأسرة الملكية ـ بقيادة أب المغاربة وبطل الاستقلال والحرية جلالة المغفور له محمد الخامس نور الله ضريحه وابنه البار ووارث سره ورفيقه الأمين في معركة المقاومة جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله ـ بمدينة سان جرمان ـ أونلي بفرنسا، فمن هذا الحدث التاريخي، بدأت تتشكل مرحلة جديدة في التاريخ الوطني، كان أهم طابع ميزها آنذاك، هو طابع التطلع إلى المستقبل، واستشراف آفاق الغد، وطي صفحة قاتمة من الماضي، انتهت من تاريخنا بفضل التضحية التي أبداها وأظهرها العرش العلوي المجاهد، وبفضل قيم التجاوب والتلبية التي تحلى بها الشعب المغربي، فكان كل هذا زادا منبثقا من الإسلام، تسلح به المغرب والمغاربة في المحنة التي طرأت عليهم، فكان الثواب من الله، وكان الجزاء من لدنه تعالى، ثوابا لعباده المؤمنين الصابرين الذين قال سبحانه في حقهم : ﴿سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار﴾.

ولم تكن الأيام التي أعقبت هذا الحدث التاريخي مباشرة تقل أهمية وروعة وحماسة عن الأيام التي توالت وتعاقبت بسرعة خاطفة، حتى جاءت أعياد العودة والانبعاث والاستقلال، في السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من شهر نوفمبر سنة 1955.

فبالإيمان، والشكر والحمد، لهجت ألسنة الشعب المغربي كله بعبارات تفصح عما في القلوب والوجدان والأفكار، من مشاعر يتردد صداها في الآفاق، ويتدفق منها ذلك الفيض العظيم والكبير من آيات الحمد والشكر على نعمة العودة والانبعاث والاستقلال، من أمة عريقة وأصيلة في إيمانها بالإسلام ومتعلقة أصدق التعلق وأقواه، بقيادتها المؤمنة المجاهدة التي ضحت ـ وما تزال ـ تضرب المثل الأعلى في التضحية ونكران الذات لحماية الاستقلال الوطني وتوطيد أركانه جميعا، ولاسترجاع الحقوق المغربية واستكمال السيادة، ولتقوية مظاهر التحديث والبناء الحضاري وإشاعة الرخاء الاجتماعي، علاوة على نشر كلمة الإسلام، وبث دعوته في شتى الأقطار والدفاع عن مصالح المسلمين في مشارق العالم ومغاربه.

لقد كانت لأعياد العودة والانبعاث والاستقلال، روح قوية جسمت استمرارية المغرب في التاريخ كبلد إسلامي لا ينى عن الدفاع وعن الذود عما للمسلمين من مبادئ وحقوق وتاريخ ومصلحة في الوجود والحياة، وفي الحضارة والتقدم، ولا غرابة في ذلك لأن مكانة المغرب ازدادت قوة، ومنزلته تضاعفت فعاليتها داخل المجموعة الإسلامية من اليوم الذي تحققت فيه العودة الظافرة لجلالة المغفور له محمد الخامس نور الله ضريحه وأسرته الكريمة من المنفى إلى أرض الوطن، ومن ذلك اليوم الذي اقترن بانبعاث المغرب في عهده الجديد، دولة مستقلة وذات سيادة وكرامة، ومن ذلك اليوم الذي تكرس فيه استقلال المغرب كمبدأ ثابت، يرسخه الإيمان ويعززه العمل، ويقويه ما قام ويقوم بين القمة والقاعدة من عروة وثقى، لا انفصام لها.

ولم تكد سنوات البناء والتقدم والتحرر، تمر مكللة بما يحرزه المغرب من انتصارات وبما ينجزه من مكتسبات في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والسياسية، وبما تشمله به عناية الله سبحانه من مظاهر التوفيق والسداد والنجاح، وبما يخصه به تعالى دائما من استقامة على الطريق، ونزاهة في المنهاج وتمسك بالشرع والشريعة... لم تكد هذه السنوات تمر على هذا المنوال، حتى دخل المغرب بقيادة عاهله المفدى جلالة الملك الحسن الثاني ملحمة إسلامية أخرى كان شعارها القرآن، كتاب الله. وركيزتها الإيمان، وغايتها تحرير الأرض والإنسان بما طال عليهما من أمد الوصاية والاستعمار والاحتلال الأجنبي.

ففي صبيحة يوم السادس من نوفمبر عام 1975، انطلق صوت جلالة الملك الحسن الثاني، مبدع المسيرة الخضراء إلى الصحراء، يجلجل بالآية الكريمة : ﴿باسم الله مجراها ومرساها﴾ ويرفرف بهداية الإيمان، وشعاع الإسلام، ونور الفرقان، على مواكب الزاحفين والزاحفات إلى أرض الآباء والأجداد، لتطأ أقدامهم تراب أرض هي جزء من المغرب، وقطعة من وحدته وسيادته، جغرافيا وإسلاميا وقانونيا وتاريخيا...

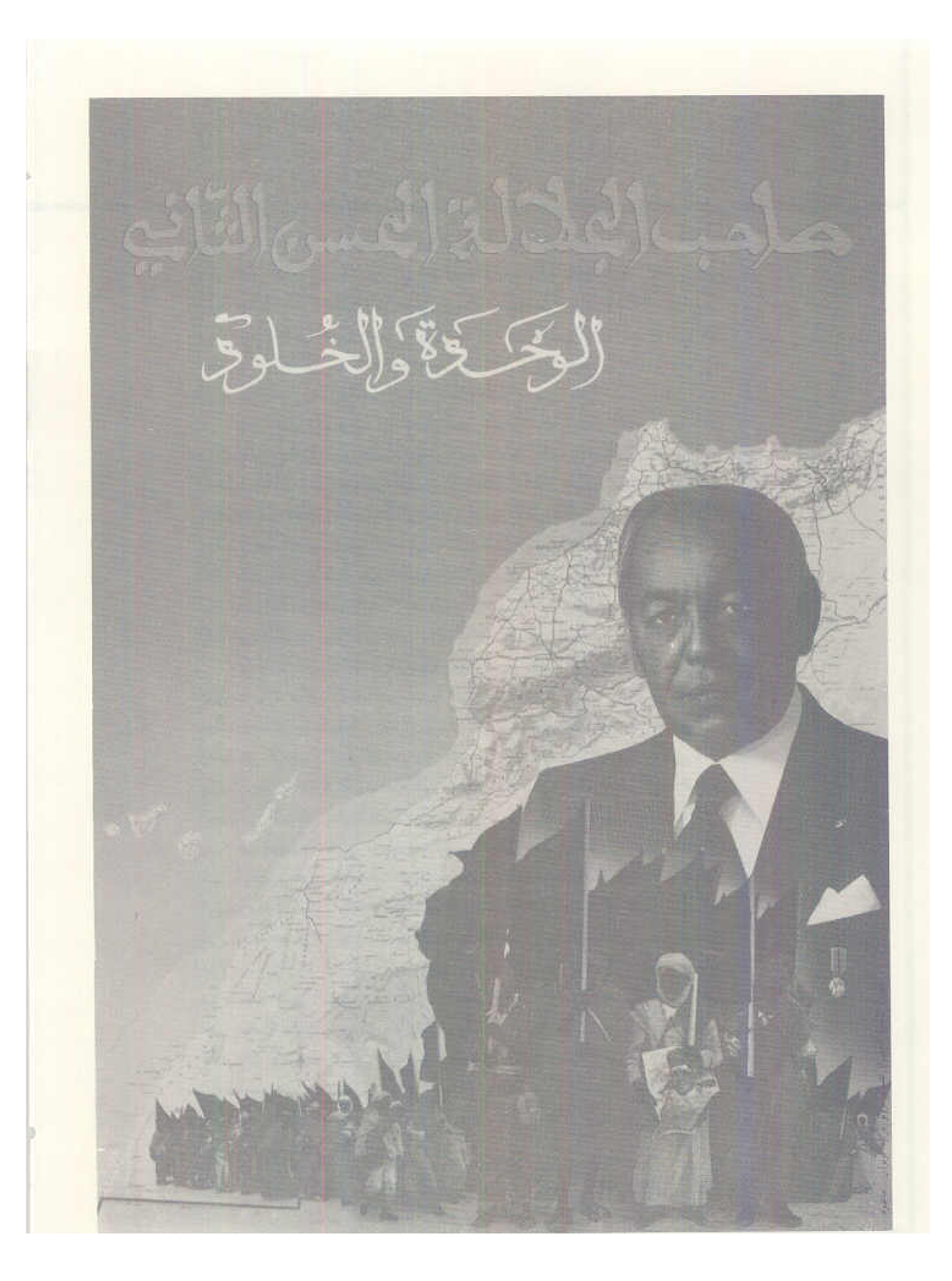
وككل المواجهات والمعارك التي خاضها المغرب، وما فتئ يخوضها لرد الكرامة إلى الأمة الإسلامية ولتحقيق العزة والرفعة والمجد لابنائها، جوبهت مجهودات وتضحيات بلادنا في هذا المجال بأطماع الطامعين، وحقد الحاقدين، ومكر الحاسدين فوالت بلادنا

صمودها، مدافعة عن حقها الإسلامي بالحجة الدامغة، والحوار البليغ والبرهان الساطع، مقتدية في عملها هذا بقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المحكم : ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وبقوله عز من قائل : ﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

ولا يضير المغرب، بحقه الثابت القوي، وبالتزامه الدائم بمبادئه وفضائله وتقاليده الإسلامية والوطنية والتاريخية والحضارية الأصيلة، أن ينسحب من محفل المنظمة الإفريقية مضطرا بعد أن انتهكت مواثيقها، وديست كرامة الشعوب الإفريقية وأهينت على مرأى ومسمع من العالم أجمع، مشروعية المنظمة التي لا تقوم بغيرها قائمة، ما دامت المشروعية هي الأساس الأول وهي حجر الزاوية وهي الركن الوطيد والثابت لأي دولة أو منظمة أو هيئة تحترم نفسها وتقدر حق التقدير، المسؤولية التي وقع تكليف المنظمة بها.

إن الانتماء الإفريقي للمغرب، ليس مبدأ مقررا بواسطة التوصيات والقرارات السياسية التي يصدرها هذا المؤتمر أو ذاك، ولكنه مبدأ وحقيقة والتزام ثابت قرره التاريخ والسلوك والتعامل، وهذا هو الانتماء الذي يؤمن به المغرب، والذي في إطاره سيظل بلدا يكرس جهده كاملا للمساهمة في العمل الهادف إلى تقدم إفريقيا، التقدم الحقيقي المبني على الشرعية والمشروعية، وعلى الطهارة والنزاهة.

إن أعياد المغرب وأمجاده التي احتفل بذكرياتها التاريخية خلال شهر نوفمبر هي مناسبات توالت علينا بأفراحها ومسراتها، لنستحضر فيها روح الاستمرارية ومبدأ المشروعية، ولنستلهم منها القوة الدافعة إلى المستقبل، ونحن جميعا - من طنجة إلى الكويرة - مسلحون بالإسلام والإيمان، الذي يزودنا دائما - كما يشهد التاريخ بذلك - بالطاقة على التحدي، وعلى مقاومة الظروف الصعبة، والمراحل التاريخية الشاقة، وعلى الوقوف دوما في مواجهة الأخطار أمة مسلمة ذات حق وكرامة، وذات هدف في الحياة، ودور في الوجود، ورسالة في التاريخ، هي نفسها رسالة الإسلام والنور والهداية والفضيلة، في مواجهة هجمة الباطل والكفر والإلحاد والزيغ والضلال، وهي هجمة إلى زوال، قصر الزمن أو طال.


صاحب الجلالة الحسن الثاني
الوحدة والخلود

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوجه خطابا ساميا إلى الشعب المغربي بمناسبة الذكرى التاسعة لانطلاق المسيرة الخضراء:



● الأمانة الغالية المقدسة التي نحن مطوقون بها هي

وحدة التراب الوطني

بمناسبة الذكرى التاسعة لانطلاق المسيرة الخضراء المظفرة وجه أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مساء يوم الثلاثاء 12 صفر الخير 1405 موافق 6 نونبر 1984 خطابا ساميا إلى شعبه الوفي.

نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز

في هذه المدينة بالذات، ومنذ تسع سنوات مضت ألهمني الله سبحانه وتعالى المبدع الملهم

فكرة المسيرة، ولم تقف عند هذا الحد رحمة الله بنا، بل أتاحت لنا أن تصبح تلك الفكرة حقيقة ومكننا من أن نجعل من ذلك الحلم شيئا ملموسا، وهدانا جميعا سبحانه وتعالى إلى توحيد الصف، وتوحيد الكلمة، حتى قمنا بتلك المسيرة التي قلنا فيها، في أوانها إنها من أعظم الأحداث التاريخية القديمة والعصرية.

ولكن إذا تذكرت ولا أشك - شعبي العزيز - في دقة ذاكرتك إذا تذكرت، لم نعط الأمر بتنظيم الانطلاق ولكن بتنظيم المسيرة إلا بعدما أصدرت محكمة لاهاي حكمها التاريخي المعروف، وكنا ننتظر ذلك اليوم وذلك الحلم بتلهف وأمل واشتياق، فإذا بذلك الحكم يأتي ينص بالحرف على أن هناك بين المغرب وسكان الصحراء، وبين ملوك المغرب وسكان الصحراء، علاقات بيعة منذ قرون وقرون.

إذن من هذا يتضح أن مسيرتنا أردنا ولابد أن تكون مبنية على المشروعية، لأنه ليس من عادتنا لا في القدم ولا الآن أن نتسلط على ما هو ليس لنا وبعدما تبثت حقوقنا، وأثبتت حقوقنا في الصحراء، صرحنا بتنظيم المسيرة، وأسابيع من بعد أمرنا بانطلاقها، فكانت تلك الملحمة ما كانت وكانت وأصبحت تلك المسيرة ما أصبحت وقيل فيك - ياشعبي العزيز - ما قيل ووصفت بما وصفت ومع ذلك فلم تنصف كما كنت أريد أن تنصف.

ولا زلت أود وأرجو وأطلب وأتمنى أن تتدفق نابغة النابغين حتى تثبت للأجيال الحالية والآتية مدى الرمز الذي شخصه وجده الشعب المغربي وهو يطأ وطنه المسلوب، ذلك أنك دخلت بكتاب الله ألا وهو دينك واختيارك السياسي والمنهجي والمذهبي وبعلم بلدك وهو رمز استماتتك في سبيل وحدة ترابك واحترام سيادتك، ولم تمض بعض الأيام حتى وقع المغرب اتفاقية مدريد تلك الاتفاقية التي سجلت في هيئة الأمم المتحدة وجعلت منها مرجعا قانونيا دوليا، ولم نتمكن من أن نذوق نشوة الانتصار ونتذوق حلاوة الوصال حتى تكدر الجو وحتى وثب الواثبون وحاول ما يريد أن يغتصبه المغتضبون وحاولت وأنا أعيش وإياك تلك الأحداث ونحن في أكادير أن أجد في مذكرة ذاكرتي أو في مذكرتي ما يبرر ذلك العمل العدواني، فلم أجد شيئا، بل رجعت إلى سنة 1974 فلم أجد في مؤتمر القمة العربي المنعقد بالرباط أي شيء يشعر أو يشم منه شخصية صحراوية تجد من يدافع عنها لا للاتصال ببلدها بل للانفصال عنه، ثم رجعت بي الذاكرة إلى الوراء أكثر

حانت ساعة الفراق

.. والمغرب لن يكون حلقة في مسلسل لتقويض أركان المشروعية.

ورجعت إلى سنة 1972 حينما وقعت مع المرحوم الرئيس الهواري بومدين وقع وزير الخارجية اتفاقية الحدود واستمعت إلى تسجيل كلمتي التي ارتجلتها واستمعت إلى الكلمة التي ألقاها وهي مكتوبة، فلم أجد فيها إلا شيئا واحدا هو أن الجزائر سوف تبقى دائما ملتزمة للمغرب ومع المغرب حتى يستكمل وحدته الترابية.

أردت شعبي العزيز أن أذكرك بهذا حتى أجعل من هذه الذكرى ذكرى القانون والمشروعية، لأن القانون والالتجاء إلى المشروعية والقانون هو

السبب الوحيد الذي يمكنه أن يذيب الحزازات وأن يجعلنا نتغلب على العراقيل والصعوبات، فالتحكيم لا ينصف إلا الحق، والتحكيم والحكم الذي يصدر عن التحكيم هو شيء موضوعي ليس متعلقا بهذا البلد ضد هذا البلد، ولا برئيس هاته الدولة ضد رئيس تلك الدولة، يقال ويفتى ويعمل به بكل نزاهة وتجرد، فكما أننا طبقنا القانون مع أنفسنا وكما أننا احترمنا. التزاماتنا مع جيراننا أريد منهم اليوم أن يرجعوا إلى الصواب وأقول لهم هذا بكل أخوة لأنه لا زلت أتذكر حينما صرح الجنرال دو غول بأنه سيجعل من الجزائر شطرين وأن شطرا يمكن أن يكون فيه الاستفتاء والشطر الآخر هو فرنسى كيفما كان الحال رغم ما كان بيننا من مذاكرات ومناقشات حول الصحراء الجزائرية، كنا نحن الأولين المعارضين لهذا المشروع لا نرضى حتى بحق الاستفتاء نقول : الجزائر للجزائريين فالتاريخ يعيد نفسه، يعيد نفسه فيما يخص المبادئ، فيما يخص الأخلاق، فيما يخص التروي والتخطيطات البعيدة، سيحتاج يوما ما المغرب الجزائر، ولكن الجزائر هي كذلك ستحتاج المغرب يوما ما، فإذا كان هناك دين بين هذا وذاك فعلينا أن نمحوه، وعلينا أن ننطلق منطلقا جديدا علما منا بأنه لا مناص من التعايش والتعامل.

لا يمكن للمغرب أن يعطي أكثر مما أعطى أقول هذا وأنا أعلم ما أقول، ولا يمكن للمغرب أن يعطي أكثر مما أعطى، ولا يوجد في المغرب رجل أكثر قربا من السلم والمسالمة أكثر من عبد الله الضعيف هذا وخديمكم، فعلينا أن نتحمل مسؤوليتنا الحاضرة وأن نهيء ورثتنا لتحمل مسؤوليتهم في المستقبل.

القرن المقبل على بعد خمسة عشرة سنة، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وستكون دول المغرب العربي إذ ذاك قوة من مائة مليون عربي مسلم، فما هي ياترى مسؤولية تلك الأجيال ؟

وأظن أنني إذا قمت بتعداد تلك المسؤوليات لا بعددها ولا بنوعياتها سنرجع كلنا إلى ضميرنا لنتخطى هذا الحاضر تهييئا للقيام بالمستقبل.

ما هي مسؤوليات المغربي العربي الكبير في القرن المقبل ؟

أولا : مسؤولية بالنسبة لشعوبه ومركباتها ومقوماتها مسؤولية بالنسبة للمغرب العربي ليسيطر - وحينما أقول ليسيطر - أن يسيطر عمليا على خيراته وأن يخضعها إلى حاجياته وأن يجند لها جميع إمكاناته، مسؤولية مائة مليون مغربي عربي في القرن المقبل بالنسبة للشرق العربي مسؤولية ضخمة وجسيمة جدا ولا سيما إذا لا قدر الله تمادى الشرق العربي كذلك في الجامعة العربية، إذا ما تمادينا في ضياع الوقت ونسيان العامل الزمني لنا مسؤولية أخرى، وهذه جنوبية مسؤولية تجاه إخواننا الأفارقة دون ميز عنصري أو ديني أو لوني، نحن أفارقة وسنبقى أفارقة، فلنا مسؤولية إنسانية وحضارية وتحضيرية بالنسبة لمستقبل هذه القارة الإفريقية.

وأخيرا لنا مسؤولية بالنسبة للبحر الأبيض المتوسط بالنسبة للسلم العالمية في هذه المنطقة الحيوية من العالم، لا ننسى أن أكثر من النصف الجنوبي لضفاف البحر الأبيض المتوسط أكثر من النصف، هي ليبية تونسية جزائرية مغربية، فإذا نحن كما قلت فكرنا وتبصرنا لا في عدد مسؤولياتنا بالنسبة للقرن المقبل بل تجاوزناها وحللنا نوعية كل واحدة من هذه المسؤوليات نصل إلى النتيجة الحتمية ليس أمامنا وقت يمكن ضياعه بل سنكون مسؤولين جماعة وفرادى على ضياع أية ثانية من الثواني لأنه كيفما كانت سرعة الفكر البشري فسرعة الزمن وتلاحق الأيام والسنين والأحقاب والقرون أسرع من سرعة الفكر البشري.

ففي انتظار أن يوم الشمل وسطيا قررنا أن لا نبقى ننتظر فوثبنا وثبة عربية مغربية شاملة وقفزنا على الحدود وربطنا أنفسنا بكل حرية واختيار بالبلد الشقيق ليبيا ونؤكد أن هذا الاتحاد

يجسد في اسمه الاتحاد العربي ـ الافريقي، روح التساكن والتجانس، الروح النزيهة ويدل إن كان في حاجة إلى دلالة على أنه ليس مصنوعا ولا موضوعا ضد أحد بل لفائدة الجميع.

حينما ذهبنا إلى نيروبي أعتبر شخصيا شعبي العزيز أنني تجاوزت السلطات المعطاة لي، فيبقى أن السلطة الوحيدة الأولى التي كانت بيدي هو أن استفتيك هل تقبل أن أقبل الاستفتاء، تجاوزت وأعترف بهذا التجاوز علما مني أن ما سبق بينك وبين أجدادنا وأجدادك وأسلافنا وأسلافك، هو الضامن على أن هناك رصيدا من الثقة المتبادلة بيني وبينك، فتحملت شخصيا بالنسبة لإسمي ولأسرتي الصغيرة ولأسرتي الكبيرة تحملت هذا التجاوز وهذه المسؤولية ومع ذلك كنت راضيا مستبشرا فإذا به اليوم يقال لنا إن هذا لا يكفي يجب أن تجلسوا على مائدة واحدة مع أناس هم مغاربة والجلوس معهم على مائدة واحدة يصبح به الاستفتاء في غير موضوعه ولا محل له من الإعراب، وزد وزد، وزد...

المغرب لا يمكنه أن يتحمل أكثر مما تحمل، ولهذا شعبي العزيز الأوامر التي سأصدرها للوفد الذي سيمثلنا في أديس أبابا هي أوامر واضحة صارمة. طالبتم بالاستفتاء ووقف إطلاق النار باسم الله قبلنا، طالبتم في نيروبي الثاني في اجتماع مصغر على وضع النقط على الحروف فيما يخص كيفية الاستفتاء قبلنا كل ذلك، ولكن أكثر من هذا لا يمكن أن يقبل، ولن أحرج أية دولة من الدول الصديقة.

المغرب لا يريد أن يتضامن معه أحد، المغرب إذا طلب منه أكثر من هذا سيترك كرسيه لمن سيخلفه داعيا لمنظمة الوحدة الإفريقية بطول العمر وبالتوفيق، علما منه أن اتخاذ قرار كمثل هذا ـ وسوف لن نكون مسؤولين عنه بل نحن مدفوعون له ـ سيكون قرارا ذا مسؤولية تاريخية بالنسبة لمن سيدفعنا لاتخاذ هذا الموقف ولكن لا تقف هنالك المأساة، المأساة ستبقى عالقة بنفس كل رئيس دولة دولة في افريقيا، يقول المثل العربي : «إن الطيور على أشكالها تقع» وأنا أقول من تجانس تجالس، فإذا هم أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية كل صباح وكل مساء وجدوا راحة ضميرهم في أن يجانسوا من يجالسهم أو يجالسوا من لا يجانسهم، هذه مسألة معلقة بضميرهم ولكن لي اليقين أن العدد غير قليل سوف يعيش أزمة ضمير لا بالنسبة لفكره بل بالنسبة لكرامة شعبه، فلهذا أقول إن مغامرة جديدة في منظمة الوحدة الإفريقية سوف تكون القاضية على الوحدة الإفريقية لأن القادة لا يمثلون رغباتهم فقط أو شهواتهم أو نزواتهم أو أهوائهم أو ميولهم، بل يمثلون كرامة شعوبهم ويمثلون المقاييس التي جعلت من تلك الشعوب أن لها علما ونشيدا وطنيا ومقعدا في هيئة الأمم المتحدة، وسفراء وتمثيل دولي وجهوي، فإذا هم وضعوا هذه المقاييس أو نزلوا بهذه المقاييس من مستواها الحقيقي إلى مستوى وهمي وخيالي، فسوف يكونون قد الحقوا بكرامة شعوبهم أضرارا وسوف يصبحون قلقين غير مرتاحي الضمير. أصحاب هواجس، أصحاب أرق بالنسبة لأنفسهم وخجل بالنسبة لشعوبهم، فلهذا أقول حتى لخصومنا إن شعوبكم منزهة على أن تجالس من لا يتجانس معها، لا أقولها لأصدقائنا ولكن أقولها للخصوم علما منا أنهم إن لم يدركوا هذا من قبل فإنهم سيدركونه «وغادي تتعداهم ـ كما يقول المثل الدارج».

أما نحن فموقف كهذا لا يزيد فينا إلا قوة وروحانية ولا يزيد من عزيمتنا إلا ثباتا في الاستمرار في القيام بواجبنا علما منا أن الصحراء مغربية وستبقى مغربية وأريد أن لا تكون مغربية بالكيفية الصغيرة، أريد أن تكون الصحراء ـ الصحراء المغربية ـ المغربية الكبيرة، لقد ضيعنا سنين وسنين، وقد ضيعنا كذلك الوقت والزمن، فلنتصور أنه منذ 1975 ونحن نكرس جهودنا

وطاقاتنا من طرابلس إلى الدار البيضاء لاستثمار خيرات صحارينا المغربية الجزائرية التونسية الليبية، وأن نكون مجموعة تصبح كمخاطب فريد وشرعي لجميع شعوبنا متكئين على قاعدتنا الافريقية واجدين الأكسجين في مياهنا البيضاء المتوسطين، واجدين سندا في الشرق العربي من إخواننا، هل نتصور ما ضيعنا من وقت وما ضيعنا من طاقات ؟ ولكن إذا أراد الله سبحانه وتعالى وأراد التاريخ وشاءت الأقدار أن نزيد في تضييعنا للوقت.

وإذا لم يكن إلا الأسنة مركبا
فما حيلة المضطر إلا ركوبها

أما أن يظن الظان، كيفما كان، أننا سنتعب أو نعيى أو يلحقنا ملل، فهذه هي غلطة الغلطات ولا دليل أقوى عليها من أننا في هذه الليلة بالذات أن نعانق مرة أخرى جميع من لهم شرف حمل وسام المسيرة وأن نتوجه إلى رعايانا في الأقاليم الصحراوية لنقول لهم ناموا بخير وعلى خير سيبقى ملككم ومواطنوكم في الشمال مدافعين عنكم إلى آخر نقطة من دمهم، ونزيد ونترحم على شهدائنا الذين سقطوا في ميدان الشرف ونبلغ أسرهم وأبناءهم وأراملهم عميق تقديرنا وصادق محبتنا، ونزيد ثم ننوه بقواتنا المسلحة كلها والشرطية والدركية والمساعدة على ما قاموا ويقومون وسوف يقومون به، ونزيد أننا في ميزانية هذه السنة وفي ميزانيات السنوات المقبلة سنبقى نعطي لأهمية ميزانية الدفاع الوطني، ما يجب وما يتحتم للدفاع عن حوزة بلدنا ونقول في آن واحد، نحن متفتحون لفتح جميع الملفات التي من شأنها أن تطفئ نار الشقاق لتخرج إلى ميدان الوفاق ولكن أرضنا هي أرضنا وهويتنا هي هويتنا ولن يكون مستقبلنا إلا كماضينا.

ولنختم بهذه الآية :

﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله﴾.

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

15 صفر الخير 1405 . 9 نونبر 1984

★ امير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل اعضاء وفد المغرب لمؤتمر القمة الافريقي باديس ابابا ويتكون الوفد الذي ترأسه مستشار صاحب الجلالة السيد احمد رضا اكديرة من السادة وزراء الخارجية والاعلام والتعاون وسفراء صاحب الجلالة في كل من الولايات المتحدة وكينيا وليبريا واثيوبيا، كما ضم الوفد مؤرخ المملكة ومدير الشؤون الخارجية وعمال صاحب الجلالة على الاقاليم الصحراوية وممثلي الاحزاب السياسية والهيئات النقابية، ووفد يمثل سكان الاقاليم الصحراوية.

❊ ❊

18 صفر الخير 1405 . 12 نونبر 1984.

□ المغرب ينسحب من منظمة الوحدة الافريقية احتراما منه أولا وقبل كل شيء للمشروعية وقد أعلن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بنفسه حفظه الله عن هذا القرار في خطاب تلاه السيد أحمد رضا اكديرة أمام مؤتمر القمة الافريقي في دورته العشرين في ختام الجلسة الافتتاحية.

❊ ❊

20 صفر الخير 1405 . 14 نونبر 1984

★ امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني يستقبل الوفد المغربي العائد من قمة اديس ابابا ويخاطبهم بقوله حفظه الله «لا تفاوض على امانة وحدة التراب الوطني وسلامة السيادة المغربية».

❊ ❊

2 ربيع الاول 1405 . 12 نونبر 1984

□ تقدم الوفد المغربي المشارك في المناقشات حول الصحراء بمشروع قرار امام اللجنة الرابعة التابعة للامم المتحدة يدعو الامين العام للامم المتحدة لاتخاذ اجراءات تسهل وقف اطلاق النار وتنظيم الاستفتاء في الصحراء تحت اشراف الامم المتحدة، وكانت الجنة الرابعة قد استمعت خلال جلساتها السابقة الى تدخلات احد عشر ممثلا للسكان وللمنظمات المغربية في الاقاليم الصحراوية.

❊ ❊

4 ربيع الاول 1405 . 28 نونبر 1984

★ السيد احمد رضا اكديرة مستشار صاحب الجلالة، والذي ترأس الوفد المغرب في اشغال اللجنة الرابعة لمنظمة الامم المتحدة يتدخل امام هذه اللجنة لشرح موقف المملكة المغربية بخصوص قضية الصحراء ويعلن سحب المغرب لمشروع التوصية الذي تقدم به امام اللجنة الرابعة.

• إن المغرب افريقي بانتمائه، وسنظل نحن المغاربة جميعا في خدمة افريقيا.

وكان المغرب قد أعلن عن قراره بالانسحاب من منظمة الوحدة الإفريقية بعد قبول عضوية الجمهورية الصحراوية المزعومة في مؤتمر القمة الإفريقي...

وقد جاء هذا القرار في خطاب وجهه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى المؤتمرين يوم الاثنين 18 صفر الخير 1405 موافق 12 نونبر 1984 تلاه في جلسة الافتتاح السيد أحمد رضا اكديرة مستشار جلالة الملك ورئيس الوفد المغربي...

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

السيد الرئيس
أصحاب الفخامة
رفاقي الأعزاء.

ها قد حانت ساعة الفراق، ووجد المغرب نفسه مضطرا ألا يكون شريكا في قرارات لا تعدو أن تكون حلقة في مسلسل لا رجعة فيه لتقويض أركان المشروعية، العنصر الحيوي لكل منظمة دولية تحترم نفسها.

والواقع أن منظمة الوحدة الإفريقية قد ارتكبت بما يتنافى ويشكل انتهاكا صارخا للفصل الرابع من ميثاقها، خطأ يعد سابقة خطيرة وستبقى عواقبه لأمد بعيد لا يمكن التنبؤ بنتائجه ومن شأنه أن يتكرر، إننا نحن رؤساء الدول رجال سياسة وتلك هي مهمتنا الأساسية قد تلقينا من شعوبنا تفويضا جوهريا وأساسيا يكمن في أنه في إطار ممارسة سياستنا سواء الداخلية أو الخارجية ينبغي أن تقوم هذه السياسة على أساس ثابت وغير قابل للانتهاك ألا وهو الاحترام الدائم للمشروعية.

وإذا لم يتم احترام هذه الأخلاق بدقة فعندئذ سيقع الخلط بين حل التوافق وهو الدعامة الضرورية للسياسة وبين المجازفة التي هي سلاح فتاك ضد المشروعية.

وطوال تاريخه العريق وجد المغرب نفسه مرات عديدة أمام اختيارات كانت حظوظ الانتهازية فيها أقوى من حظوظ الفضيلة في انتزاع قراره، وقد اختار المغرب دوما وعلى حساب مصالحه في غالب الأحيان، صيانة الفضيلة والمشروعية، ولن نحيد لا اليوم ولا غدا عن هذا السبيل. إن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية كل لا يتجزأ، وكل من سمح لنفسه بتحريف بعض مقتضيات هذا الميثاق بكيفية ظرفية أو لمصلحة خسيسة سيدفع بمنظمة الوحدة الإفريقية إلى الهلاك وبأعضائها إلى الاقتتال.

الهلاك وبأعضائها إلى الاقتتال. ولا نذكر إلا مثالا واحدا، وهو كيف يمكن لنا الآن تنفيذ الفصل الذي ينص على بقاء الحدود الموروثة عن عهد الاستعمار على أصلها.

سيدي الرئيس
أصحاب الفخامة
رفاقي الأعزاء

إن الكمال لله وحده وبما أن الأمور إذن هي كما هي وفي انتظار أن يتغلب جانب الحكمة والتعقل فإننا نودعكم. إلا أن المغرب إفريقي بانتمائه وسيبقى كذلك وسنظل نحن المغاربة جميعا في خدمة إفريقيا.

ففي جامعة الدول العربية سنعمل من أجل التعاون العربي - الإفريقي، وفي مجموعة دول عدم الانحياز سندافع عن المشروعية وسنعمل على المحافظة على سيادة إفريقيا، وفي حظيرة منظمة المؤتمر الإسلامي سنسعى إلى تعزيز التاكن والتعاون بين الديانات السماوية، وفي منظمة الأمم المتحدة سنكون في المقدمة من أجل كرامة المواطن الإفريقي واحترام قارتنا.

ولكنكم مع هذا ستدركون بسهولة أن المغرب العضو المؤسس للوحدة الإفريقية لا يمكنه أن يعمل على إقبار هذه الوحدة.

فلم يبق لنا الآن إلا أن نتمنى لكم حظا سعيدا مع شريككم الجديد الذي سيتعين عليه أساسا أن يملأ الفراغ الذي سيتركه المغرب على مستوى الأصالة والمصداقية والاحترام افريقيا وعالميا.

وسيأتي يوم يعيد فيه التاريخ الأمور إلى نصابها. وفي انتظار ذلك فإن البعض منا - وهذه حقيقة مؤلمة - قد تحمل مسؤوليات بعيدة عن التعقل.

وفي اليوم الذي سيعود فيه أولئك الذين تم تضليلهم إلى الحكمة الإفريقية من تلقاء أنفسهم فإن المغرب العريق في تقاليده وتاريخه سيتذكر أن الحكمة تتغلب دائما على أخطاء المسير.

ومع وفائي لإفريقيا وإيماني في مستقبلها سأظل شقيقكم الأمين والفعال.

إنسحابنا أصبح نافذ المفعول

وبعد قرار المغرب بالانسحاب من منظمة الوحدة الإفريقية، أكد أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني في خطاب وجهه إلى السيد جوليوس نيريري رئيس، القمة العشرين لمنظمة الوحدة الإفريقية أنه «بما أن الفصل الرابع من ميثاقنا» لم يحترم فإن المغرب لا يعتبر نفسه ملتزما بمقتضيات الفصل 32 من ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية وفيما يلي نص الرسالة الملكية :

نص رسالة جلالة الملك الحسن الثاني الى الرئيس جوليوس نيريري

أديس أبابا

السيد الرئيس :

بعد اطلاعنا على تصريح الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية السيد بيتر أونو بخصوص الموقف الذي يتعين على المغرب أن يلتزم به اعتمادا على مقتضيات الفصل 32 نود أن نقدم الإيضاحات التالية :

إن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية يشكل كلا لا يتجزأ كما صرحنا بذلك في خطابنا الموجه إلى منظمة الوحدة الإفريقية يوم 12 نونبر 1984 والذي ودعنا فيه المنظمة.

ومن هذا المنطلق وبما أن الفصل الرابع من ميثاقنا لم يحترم فإن المغرب لا يعتبر نفسه ملتزما بمقتضيات الفصل 32 المذكور من ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية.

وبالتالي فنحن ندعوكم لتسجلوا بصفة رسمية أن انسحابنا أصبح نافذ المفعول منذ يوم 12 نونبر 1984 وأنه لا يمكن إخضاع هذا الانسحاب إلى المسطرة المنصوص عليها في الفصل 32 المذكور.

وأخيرا ومن أجل رفع كل التباس فإن المغرب لم يستقبل أبدا لجنة المتابعة بمجموع أعضائها، ولم تتم بينه وبينها أية مراسلة وذلك خلافا لما صرح به أو كتبه الرئيسان مانجيستو ونيريري.

لقد كنا ننتظر من لجنة المتابعة قبل إعداد تقريرها أن تقوم سواء بمجموع أعضائها أو كجزء منهم بزيارة المناطق المتنازع بشأنها حتى تتمكن من الاطلاع في عين المكان على إرادة هؤلاء وأولئك.

ولكن «حسب علمنا» لم يتحقق أي شيء من ذلك.

ولتتقبلوا مشاعر تقديرنا السامي.

الحسن الثاني
ملك المغرب

لم يكن مُلائمًا لعبقرية بلادنا أن تستم

للمشروعية والفضيلة

وجه أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني يوم الجمعة 22 صفر الخير 1405 موافق 16 نونبر 1984 خطاباً إلى مجلس النواب أطلع جلالته خلاله نواب الأمة على الدوافع التي حدت بالمغرب إلى الانسحاب من منظمة الوحدة الإفريقية.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي الذي تلاه السيد أحمد رضا اكديرة مستشار جلالة الملك.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه



حَضَراتِ النّوابِ المحترَمين،

أمّنكم اللهُ ورعاكُمْ، وأعانكم وسَدّد خُطاكُمْ، وَسَلامٌ عليكم وَرحمة الله وبركاته.

وَبعد، فإنّ ظروفَ بلادِنا تدعُونا حيناً بَعدَ حِين، إلى أن نُوَجِّهَ لمجلسِ نُوّابِ الأمّةِ، خطاباً يُطلِعُهم على المواقفِ التي نَتّخِذُها والقراراتِ التي نُصْدِرُها، وبصُورةٍ أعَمّ، على السّياسَةِ التي نُوثِرُ تطبيقَها وَانتهاجَها حَالاً واستقبالاً.

وَها نحنُ اليومَ نُوافي أعضاءَ مجلسِ النّوابِ، بخطابٍ آخرَ من قَبيلِ الخطاباتِ التي يَنُصُّ الدّستورُ على أنّ مَضمُونَها لاَ يكونُ مَوضوعَ مُناقشة، مُعْرِبينَ بهِ عن رغبتِنا في الحِوَارِ، وَحِرْصِنا على أن يكونَ نُوّابُ الأمّةِ على بَيّنَةٍ مِن حقيقةِ الخطواتِ التي نَخطُوها، والمَساعِي التي نَسْعَاها، وَقاصِدينَ إلى التّذكيرِ بالجهودِ التي بَذَلْناها قبلَ اتّخاذِ مَوقفِ الإنسحابِ من مُنظّمةِ الوحدةِ الإفريقيّة، وإلى إعلانِ الأسبابِ الداعيَةِ إلى اتّخاذِ هذا الموقف، وإلى الإفضاءِ ببعضِ نتائجِه وعواقِبِه.

تَعلمُون أيّها السّادة، أنّ المسالِكَ التي سَلَكناها فيمَا يَتّصلُ بقضيّةِ الصّحراء، إتّسَمَتْ كلُّها بطابَعِ احترامِ المَشروعيّةِ والقانونية. فقد طالَبْنا بصحرائِنا الغربيّةِ مُطالَبَةً سلميّةً صابِرةً مُتأنِّيَة، فلَمْ نَحِدْ قَطُّ عن المُهادَنةِ ولا عنِ الأخذِ بالتي هيَ أحْسَن. فخاطبْنا الدولةَ الإسبانيةَ الصّديقة، مُخاطَبةَ مَن يُؤثِرُ التّفاهُمَ ويُفضِّلُ التّباحُثَ والحِوار. فلَمّا تَعذّرتِ النّتيجَةُ المطلوبَةُ على هذا النّحو، أُحِيلَتْ قضيّتُنا بمُبادَرةٍ مِن مُنظّمةِ الأمَمِ المتحدةِ على مَحكمةِ العدلِ الدّوليّة، وهيَ أسْمَى هَيئَةٍ قضائيّةٍ دوليّة، وَأدْلَتْ هذه المحكمةُ برأيِها في الموضوع، فاعتَمَدْنا على هذا الرّأيِ الذي صَدَرَ - كما تعلَمُون - لِصالِحِ بلادِنا، وقمنا بمَسيرتِنا الخضراءِ السّلميّة، التي قصَدْنا من وَرائِها إلى مُواصَلةِ أقربائِنا وأحبائِنا، وَإلى استرجاعِ حقٍّ عزيزٍ من حقوقِنا. ولم تلبَثِ الدولةُ الإسبانيةُ أن قَبِلَتْ إبرامَ مُعاهَدةٍ معنا، تَسَلّمْنا الصّحراءَ بحُكمِها، وأشهدْنا مُنظّمةَ الأمَمِ المتحدةِ على هذا الاتفاق.

وَلكنّ أعداءَ وَحدتِنا الترابيةِ سَاءَهُمْ ذلك، وَحَزّ في نُفوسِهم أن يَظفَرَ المغربُ بأمنيةٍ طالَما جَدّ في طلَبِها،

ملة في حظيرة هيئة تتنكر

فأخذوا يكيدون للمغرب ويبثون في طريقه العقبات، ويحدثون له المتاعب. فحاربونا وما زالوا يحاربون، بالسلاح الثقيل والعتاد المتطور، وناهضونا غير مقصرين ولا متوانين، في مختلف المحافل والمؤسسات الدولية. وواجهنا العنكر والإعتداء، ودخلنا هذه المعركة الضارية، بالشجاعة والبطولة المعهودتين في شعبنا، وبالتبصر والحكمة. إكبارا منا للمبادئ التي نؤمن بها، والقيم الحضارية التي نتمسك بها ونعلي شأنها. ورغبة منا في إنهاء الصراع وحقن الدماء، وصيانة مقدرات شعوب منطقتنا، والينا الجهود، وواصلنا المساعي، وتساهلنا وضحينا، وأدلينا بالبرهان غير ما مرة على سلامة طويتنا وحسن استعدادنا. ومضينا في هذا السبيل إلى حد اقتراح الإحتكام إلى الإستفتاء. ولكن أعداءنا أوجسوا خيفة من قسطاس الإستفتاء وأرعبتهم نتائجه المتوقعة. فتذرعوا بالوسائل الواهية المتهافتة، والأسباب الكاذبة الباطلة، وتمادوا في كيدهم وخداعهم، وأصروا على مكرهم وعدوانهم. ونجحت خطة الخداع والإحتيال وتم للخصوم استمالة طائفة من دول القارة الإفريقية، وأمكنهم من طريق انتهاك ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، والإخلال بالمشروعية والقانونية، إقحام ما يسمى بالجمهورية الصحراوية، في حظيرة المنظمة. وبهذا الانتهاك السافر والخرق الصارخ، جارت المنظمة عن القصد، وزاغت عن الطريق المستقيم، وركبت سبيل الضلال.

وإزاء هذا الزلل، وهذا الإنحراف، وهذا الوضع الفاسد المتردي، الذي يهدد المنظمة بالإنقراض والإندثار، لم يكن لائقا بنا أن تظل بلادنا منتسبة إلى مؤسسة أصبحت فاقدة لأركان المشروعية التي هي العنصر الحيوي لكل منظمة تحترم نفسها.

ولم يكن ملائما لعبقرية بلادنا التي آثرت مرات عديدة، على امتداد تاريخها القديم والحديث، ولو على حساب مصالحها، مواقف المشروعية والفضيلة، أن تستمر عاملة في حظيرة هيئة تتنكر للمشروعية والفضيلة.

لقد دشنت منظمة الوحدة الإفريقية بقبولها عضوية كيان وهمي، وبارتكابها جناية انتهاك أحكام ميثاقها والإخلال بمشروعيتها، عهد المجازفة والمغامرة، وهو عهد حامل للأخطار لا يدرى مداه ولا يعرف منتهاه.

إنسحب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية وهو مرفوع الرأس موفور الكرامة. لأنه البلد الذي أبى إلا أن يظل متمسكا بالمشروعية، متشبثا بالآداب والأخلاق التي لا يستقيم التعامل الدولي على غير أساسها.

وحسب المغرب افتخارا واعتزازا أن تقدر موقفه ودواعي هذا الموقف من بين دول العالم، طائفة ذات جاه عريض وكلمة مسموعة.

إننا موقنون بأن منظمة الوحدة الإفريقية، ستفيء إلى جادة التبصر والصواب، وتعود إلى نهج الحكمة والرشاد،

وحينئذ ستجدنا كعهدها بنا، من أعضائها العاملين بإخلاص في سبيل تألق قارتنا وسعادة شعوبها.

وإلى أن يحين ذلك الحين وترجع المياه إلى مجاريها، فإننا سنواصل الإهتمام، على جميع الأصعدة، بشؤون قارتنا، وسنظل ساعين عاملين لرفاهيتها وازدهارها.

حضرات النواب المحترمين،

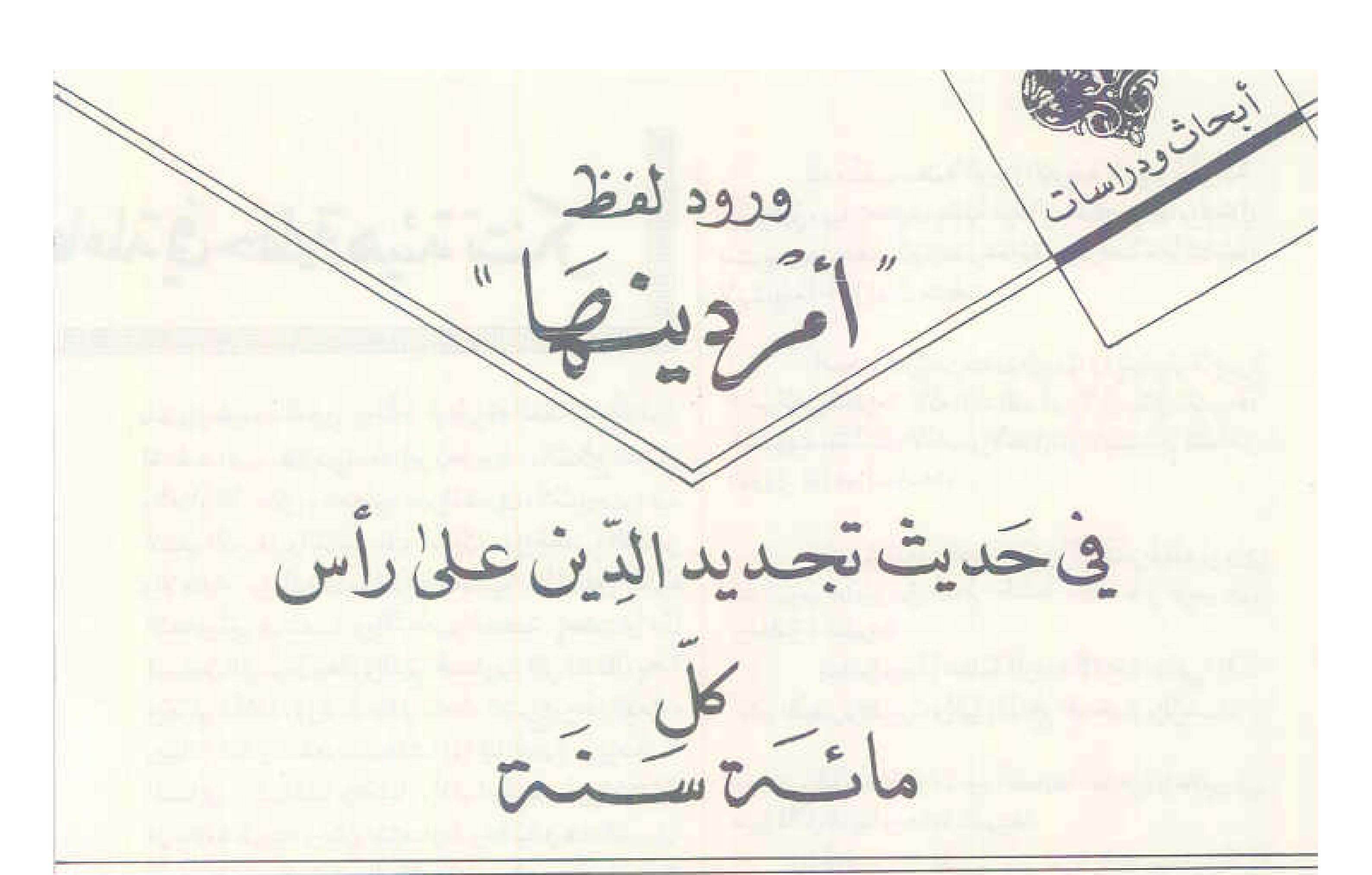
ذلك هو موقفنا بعد حادث إقحام الكيان الوهمي في حظيرة منظمة الوحدة الإفريقية، وتلك هي أسبابه ودواعيه، حرصنا على أن نطلعكم عليها في خطابنا هذا، تقديرا منا لمجلسكم، واعتبارا منا للإهتمام الذي تولونه شؤون وطنكم الداخلية منها والخارجية.

وإننا لنود في هذه المناسبة، أن تتأكدوا أننا سنبقى مضطلعين بحول الله، أخلص وأوفى ما يكون الاضطلاع، بالأمانة العظمى التي ألقاها الباري سبحانه على عاتقنا، وأن التزامنا بالدفاع عن وحدة ترابنا وصيانة مكتسباتنا، سيظل ذلك الإلتزام القوي المتميت الذي عهدتموه وخبرتموه.

كتب الله لنا ولكم التوفيق والسداد، وجعل النجاح المطرد حليف أعمالنا وأعمالكم، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وحرر بالقصر الملكي بفاس في يوم الجمعة 22 صفر عام 1405 هـ الموافق لـ 16 نونبر سنة 1984 م.



نفى بعض العلماء الفضلاء المعاصرين ورود هذا اللفظ: (أمر دينها) في حديث (تجديد الدين) على رأس كل مئة سنة، وهو وارد ثابت في روايات هذا الحديث في غير كتاب. واني استيفاء للموضوع بطرفيه أسوق أولا روايته التي خلت من هذا اللفظ، ثم أسوق بعدها روايته التي جاء فيها هذا اللفظ، ومن الله أستمد العون والسداد.

قال الامام أبو داود في «سننه» 4: 109، في أول كتاب الملاحم، في (باب ما يذكر في قرن المئة): «حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ـ عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها دينها». انتهى. وليس في روايته هذه لفظ (أمر) كما ترى.

وبمثل لفظ أبي داود من طريق أبي وهب أيضا رواه الحافظ ابن عدي في مقدمة (الكامل) ص 152، والحاكم في «المستدرك» 4: 522، في كتاب الفتن، وفيه بلفظ (ولا أعلمه الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...)، وبمثله رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» 2:61 دون ذكر لهذه الجملة بالمرة.

وبمثله أيضا من طريق ابن وهب أورده السخاوي في المقاصد

بقلم: الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة

الحسنة» ص 121 ـ 122، والعجلوني في «كشف الخفاء» 1:243، وقالا: «رواه أبو داود، والطبراني في «الأوسط» وسنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وكذا صححه الحاكم فانه أخرجه في «مستدركه» من حديث ابن وهب» انتهى. وبمثله أيضا أورده السيوطي في «الجامع الصغير» 2:281 بشرح «فيض القدير» للمناوي، وقال: «أخرجه أبو داود، والحاكم، والبيهقي في المعرفة». وقال السيوطي مثل ذلك في «جمع الجوامع» ـ الجامع الكبير ـ ص 1671

وجاء الحديث في غير موضع من كتب الحفاظ المتقنين، وفيه لفظ (أمر دينها)، واليك طائفة منها:

1 ـ رواه البيهقي في «مناقب الشافعي 1:53»، من طريق ابن وهب أيضا، فقال راويا عن شيخه الحاكم: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله الوراق، أنبأنا الحسن بن سفيان، حدثنا عمرو بن سواد السرحي وحرملة بن يحيى، قالا: حدثنا عبد الله بن وهب، قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي

هريرة – فيما أعلم – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: – ان الله – يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها أمر دينها». انتهى. فجاء الحديث فيه لفظ: (أمر دينها). كما ترى.

2 – وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» 253:10 من طبعة مطبعة السعادة الأولى، و 286:10 من طبعة مطبعة السعادة الثانية، في ترجمة الامام الشافعي رضي الله عنه: «وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحوا من أربعين سنة.

وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود، من طريق عبد الله بن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ان الله يبث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها أمر دينها. قال: فعمر بن عبد العزيز على رأس المئة الأولى، والشافعي على رأس المئة الثانية».

3 – وقال الحافظ السيوطي في «الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة» ص 27 «حديث: ان الله يبعث على رأس كل مئة سنة، من يجدد لهذه الأمة أمر دينها. رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه».

4 – وقال الحافظ السيوطي أيضا، في رسالته «تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد» ص 53 «ومن الأحاديث الدالة على استمرار الاجتهاد الى قيام الساعة، والى وجود أشراطها: قوله صلى الله عليه وسلم: «يبعث الله على رأس كل مئة سنة، من يجدد لهذه الامة أمر دينها».

5 – وقال الحافظ الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين» 1 26، في المقدمة، وهو يقرر ان الامام الغزالي كان مجدد القرن الخامس، مايلي: «روى أبو داود في الملاحم، والحاكم في الفتن وصححه، والبيهقي في كتاب «المعرفة» له، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها أمر دينها».

6 – وتعرض المحبي في «خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر» 3 : 344 – 347، في ترجمة الامام شمس الدين الرملي الشافعي (محمد بن أحمد)، المولود سنة 919، والمتوفى سنة 1004 رحمه الله تعالى، لمسألة تجديد الدين على رأس كل مئة سنة، والمجددين، واستهل الكلام بقوله: « قال النبي صلى الله عليه وسلم: ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها أمر دينها، رواه ابو داود وغيره».

7 – وقال الحافظ ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء» ص 75، في (باب قول احمد بن حنبل فيه – أي في الامام الشافعي – وثنائه عليه):

«حدثنا محمد بن ابراهيم، قال نامحمد بن أحمد بن يحي، قال نا محمد بن أيوب الرقي، قال سمعت أبا احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار يقول، سمعت عبد الملك بن عبد الحميد الميموني يقول: كنت عند أبي عبد الله احمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعي، قال: فرأيت احمد يرفعه ويرفع به، فقال: بلغني او قال: يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: ان الله عز وجل يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة رجلا يقيم لها امر دينها. قال: فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المئة، وأرجو ان يكون الشافعي على رأس المئة الاخرى».

8 – وجاء في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض 3 182 من طبعة المغرب، و2 : 377 من طبعة بيروت، في ترجمة الامام الشافعي رضي الله عنه مايلي: «قال احمد – بن حنبل –: وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: يبعث الله لهذه الامة، على رأس كل مئة سنة رجلا يقيم لها امر دينها».

9 – وقال الحافظ تاج الدين السبكي في مقدمة «طبقات الشافعية الكبرى» 1 : 199، وهو يتحدث عن فضائل الامام الشافعي رضي الله عنه مايلي: «عن ابي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها دينها. وفي لفظ اخر: في رأس كل مئة سنة رجلا من أهل بيتي، يجدد لهم امر دينهم.

ذكره الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه، وقال عقيبه: نظرت في سنة مئة، فاذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز، ونظرت في رأس المئة الثانية، فاذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن ادريس الشافعي. قلت – القائل السبكي –: وهذا ثابت عن الامام أحمد سقى الله عهده».

10 – وقال الحافظ ابن حجر في «توالي التأنيس بمعالي ابن ادريس» ص 48، والحافظ السيوطي في «تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد» ص 60، مايلي واللفظ لابن حجر: «اخرج البيهقي بإسناده الى أبي اسماعيل الهروي – وساق الحافظ ابن حجر سند الهروي – عن حميد بن زنجويه، قال: سمعت احمد بن حنبل يقول: يروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ان الله يمن على أهل دينه في رأس كل مئة سنة برجل من أهل بيتي، فيبين لهم أمر دينهم» واني نظرت في مئة سنة فإذا هو من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المئة الثانية فإذا هو محمد بن ادريس الشافعي».

في ترجمة الامام الشافعي «وباسناده ـ أي الامام البيهقي ـ قال : الحاكم سمعت الشيخ أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : كنا في مجلس القاضي أبي العباس بن سريج سنة ثلاث ومئة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له : أبشر أيها القاضي، فإن الله يبعث على رأس كل مئة سنة ـ لهذه الامة ـ من يجدد أمر دينها، وانه تعالى بعث على رأس المئة الاولى عمر بن عبد العزيز، وبعث على رأس المئتين أبا عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، وبعثك على رأس الثلاث مئة». انتهى مصححا ما فيه من سقط وتحريف.

ففي هذه النصوص الاحدى عشرة ، المنقولة عن الأئمة الحفاظ المشهورين، الضابطين المتقنين ـ وهم الامام أحمد والبيهقي وابن عبد البر والتاج السبكي وابن كثير وابن حجر والسيوطي والزبيدي ـ وغيرهم، جاء لفظ (أمر دينها)، هذا الكلام موصول بما قبله وخاصة السياقتين الاوليين من النصوص المتقدمة، فقد جاء فيها لفظ (أمر دينها) من طريق ابن وهب صراحة.

وذلك كله يشهد لورود هذا اللفظ وثبوته في حديث (تجديد الدين)، عند هؤلاء الحفاظ الاجلة المتقنين، الذين كان اولهم في القرن الثالث وآخرهم في القرن الثاني عشر. والحديث بهذا اللفظ ايضا في القرن مسموع ومتناقل على السنة كثير من العلماء في عصرنا، وقد تبين ثبوته في النصوص التي اوردتها.

فما وقع من بعض المعاصرين من انكار ورود هذا اللفظ، ونفي مجيئه في الحديث، اعتمادا منه على رواية نسخة «سنن ابي داود» المطبوعة، وهي رواية واحدة من اربع روايات لكتاب «سنن ابي داود» خطأ بالغ، لا ينبغي التورط فيه.

وذلك ان نفي لفظ ما ـ قد ذكر في حديث ثابت ـ نفيا قاطعا، لا ينهض به الا المحدثون الحفاظ الافذاذ، المشهود لهم بقوة الحفظ، وكثرة المحفوظ، وسعة الاطلاع فعلا على كتب السنة : الجوامع والسنن والمسانيد والمعاجم والاجزاء والفوائد والامالي وكتب العلل والطبقات والمشيخات...، مع استمرار التتبع، والتفرغ للحديث الشريف.

واما من كان لا يتصف بهذه الصفات، فلا يسوغ له الحكم بالنفي البات على لفظ ذكر او نقل في حديث ثابت.

وقد وقع مني مرة اني نفيت في كتاب من كتبي ـ بعد المراجعة والرجوع للفهارس المرشدة ـ وجود حديث في «صحيح مسلم» وقد عزاه اليه الامام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى، خيرا، فوجدته فيه كما قال الامام الحافظ السيوطي عليه الرحمة والرضوان.

فالفهارس المرشدة الموجودة اليوم لبعض الكتب، ووفرة الكتب المطبوعة من كتب السنة المطهرة : ليست كل شيء في استيعاب هذا العلم والحكم فيه على الحديث نفيا، فلابد في علم الحديث الشريف من الحفظ فعلا، مع باقي الصفات التى اشرت اليها آنفا.

وقد وقع لمن علق على «مشكاة المصابيح» للتبريزي 1 : 62، عند قول التبريزي رحمه الله تعالى في الحديث ـ 174 وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعوا السواد الاعظم، فانه من شذ شذ في النار. رواه (ابن ماجه من حديث انس) انتهى. قوله كما يلي:

«كذا في الاصل. وفي جميع النسخ بياض. ويظهر ان المؤلف تعمد تركه، لانه لم يجد من اخرجه كما اشار اليه في مقدمة الكتاب.

وكذلك لم اجده في شيء من كتب السنة المعروفة، حتى الامالي، والفوائد، والاجزاء، التي مررت عليها وهي تبلغ المئات، ولا اورده السيوطي في «الجامع الكبير» انتهى.

وهذا نفي قاطع بالغ كما ترى، في حين ان الحديث المذكور اورده الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص.460، والمحدث العجلوني في «كشف الخفاء» 2 : 350، عند حديث «لا تجتمع أمتي على ضلالة». ففيهما : «روى ابو نعيم في الحلية» ، والحاكم في «مستدركه» 1 : 115 ـ 116 و أعله، واللالكائي في «السنة» 1 : 106، وابن منده ومن طريقه الضياء في «المختارة» عن ابن عمر رفعه : «إن الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة ابدا، وان يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الاعظم، فانه من شذ شذ في النار» إنتهى.

فالحديث موجود في كل هذه الكتب التي تحت ايدي الجميع، ونفاه بقوله : «لم اجده في شيء، من كتب السنة المعروفة، حتى الامالي، والفوائد، والاجزاء، التي مررت عليها وهي تبلغ المئات». انتهى.

فالنفي للحديث او جملة منه او لفظة منه ليس بالسهل السائغ لامثالنا، فاقدي الحفظ مالكي الكتب، فلابد في هذا العلم الشريف من الحفظ القوي الواسع الحاضر، مع الاوصاف التي اشرت اليها سابقا، ومع الاناة والتروي والتقيد في لفظ النفي والاحتياط ما امكن، والله تعالى أعلم.

عبد الفتاح ابو غدة

الصفيحة الجامعة

لابن العباس أحمد الازدي المراكشي الشهير بـ

ابن البنا

● تقديم[1] وتحقيق: الأستاذ محمد العربي الخطابي ●

2. نص الرسالة

الحمد لله وكفى، وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه الخلفاء، وسلم تسليما كثيرا، وبعد :

فهذه رسالة مختصرة في العمل بالصفيحة الجامعة محتوية على ثلاثة وعشرين بابا.

الباب الأول

في تسمية الرسوم الموضوعة في وجه الصفيحة المشتركة وفي ظهرها

أما الرسوم التي في وجه الصفيحة فأول ذلك :

الدائرة التي عليها اقسام الدرج، وهي دائرة نصف النهار، وفوق الدرج خمساتها.

والقطر (الاخذ من العلاقة الى اسفل الصفيحة هو مدار الاستواء) (1).

والقطر القائم عليه هو افق الاستواء.

وقطع الدوائر القائمة عليه التي تمر باقسام الدرج هي المدارات، فما كان منها ليسار الناظر ـ والصفيحة معلقة (2) من علاقتها ـ فهي المدارات (الشمالية (3)، وما كان منها على يمين الناظر فهي المدارات) الجنوبية، وابعاد المدارات عن مدار الاستواء مكتوبة على دائرة نصف النهار متباسرة عن كل واحد من طرفي مدار الاستواء ومتيامنة عنه الى (ان ينتهي الى (4)) التسعين، ونقطة (5) التسعين في النصف الشمالي هي قطب معدل النهار الشمالي، ونقطة التسعين في النصف الجنوبي هي قطب معدل النهار الجنوبي.

وقطع الدوائر التي تجتمع على القطبين هي الممرات، والافق الاستواء بينهما، وبعد كل واحد منهما عن دائرة نصف النهار مما يلي العلاقة مكتوب في القطعة الشمالية فيما بين مدار الاستواء واول المدارات الشمالية الى ان يبلغ مائة وثمانين (180) عند دائرة نصف النهار في اسفل الصفيحة، ثم يتزايد العدد ـ صاعدا فيما بين مدار الاستواء واول المدارات الجنوبية ـ (الى ان يبلغ) (6) 360 عند دائرة نصف النهار مما يلي العلاقة.

والخط المستقيم الذي على جنبيه اسماء البروج مكتوبة هو خط الطول.

وقطع الدوائر التي تجتمع على طرفي القطر القائم عليه هي اقسام البروج، والنقطتان اللتان تجتمع عليهما اقسام البروج هما قطبا فلك البروج.

والدوائر الصغار التي عندها اسماء الكواكب مكتوبة هي الكواكب الثابتة، فما كان من اسماء هذه الكواكب مكتوبا صاعدا الى ما يلي العلاقة فهي في النصف الصاعد من البروج الى تلك الناحية، وما كان منها مكتوبا هابطا الى اسفل الصفيحة فهي في النصف الهابط من البروج الى تلك الناحية، والعضادة الصغيرة التي دون شطيتين هي الأفق المائل واجزاؤه مكتوبة عليه من المحور.

وأما الرسوم التي في ظهر الصفيحة فأول ذلك :

دائرة الارتفاع وفي داخلها دائرة البروج (واجزاؤها، وفي داخل دائرة

1) ارجع إلى التقديم المنشور في العدد السابق من المجلة.
1) جملة ساقطة في ب.
2) في ب : لعلاقة.
3) عبارات ساقطة في ب.
4) ساقطة في أ.
5) في أ : قطب.
6) ساقطة في ب.

البروج) (7) دائرة الشهور وايامها، ومربع الظلين، والعضادة (على ظهرها) (8) وفيها شظيتان يؤخذ بهما الارتفاع كمثل ما في ظهر الاسطرلاب. فاعلم.

الباب الثاني
في معرفة درجة الشمس من برجها من قبل ما مر من الشهر العجمي من الأيام ومعرفة اليوم من قبل الدرجة

اذا اردت معرفة في أي درجة هي الشمس من أي برج فاعلم ما مضى من الشهر العجمي الذي انت فيه من الايام، ثم ضع عليه العضادة فما وقعت عليه من درج البرج الذي فوق شهرك فالشمس في تلك الدرجة من ذلك البرج.

فان اردت معرفة اليوم الذي انت فيه من الشهر العجمي وكانت درجة الشمس عندك معلومة فضع العضادة على درجة الشمس من برجها الذي هي فيه، فعلى ما وقعت العضادة من ايام الشهر العجمي الذي تحت البرج فهو اليوم الذي اردت معرفته، فافهم.

الباب الثالث
في معرفة أخذ ارتفاع الشمس والكواكب

إذا أردت ذلك فعلق الصفيحة دون ان تمسك في شيء (9) واستقبل الشمس بشظيتي العضادة، وحرك العضادة حتى تري شعاع الشمس داخلا من ثقب الشظية العليا وينفذ من ثقب الشظية السفلى. فما وقع عليه طرف العضادة الأعلى من أجزاء الارتفاع فهو ارتفاع الشمس في ذلك الوقت. وأما أخذ ارتفاع الكواكب فانك تستقبل الكوكب الذي تريد أخذ ارتفاعه بالشظيتين وتجعلهما (10) بينك وبين الكوكب وتحرك العضادة حتى ترى جرم الكوكب من الثقبتين جميعا، فما وقع عليه طرف العضادة الأعلى من اجزاء الارتفاع فهو ارتفاع الكوكب الذي اردت ارتفاعه.

الباب الرابع
في معرفة وضع درجة الشمس في اجزائها من برجها في وجه الصفيحة

إذا أردت ذلك فعد على خط الطول من اقسام البروج مثل ما قطعت الشمس من برجها، وعلم عليه علامة فما كانت العلامة فهي جزء الشمس.

الباب الخامس
في معرفة ارتفاع الشمس في دائرة نصف النهار والليل ومعرفة ارتفاع رأس الحمل في بلدك (11)

اذا اردت ذلك فاعلم جزء الشمس وعلم عليه علامة في خط الطول، ثم ضع طرف الافق المائل في الربع الاعلى الجنوبي على مثل ارتفاع رأس الحمل في بلدك وتنظر المدار الذي يمر بالعلامة الذي في خط الطول وتخرج معه الى دائرة نصف النهار وتعلم عليه علامة في دائرة نصف النهار، فما كان بين العلامة وطرف الافق المائل الموضوع على ارتفاع رأس الحمل فهو ارتفاع الشمس في نصف النهار، وما كان بينها وبين مدار الاستواء فهو الميل في الجهة التي فيها العلامة من جنوب او شمال، ومتى علمت الميل وكان شماليا فزده على ارتفاع رأس الحمل، وان كان جنوبيا فانقصه منه، فما حصل لك بعد ذلك فهو ارتفاع الزوال في ذلك اليوم (في جهة الجنوب عن سمت الرأس الا ان يكون اكثر من «ص» فتنقصه من «قف» فيبقى ارتفاع الزوال في ذلك اليوم في جهة الشمال عن سمت الرأس)(12).

واما معرفة ارتفاع رأس الحمل لكل بلد (13) فانقص عرض البلد من تسعين فما بقي فهو ارتفاع رأس الحمل في ذلك البلد.

الباب السادس
في معرفة نقطة الطلوع والغروب للشمس ولسائر الكواكب المرسومة على الصفيحة

اذا اردت ذلك فضع الافق المائل على مثل ارتفاع رأس الحمل في الربع الاعلى الجنوبي من دائرة نصف النهار واخرج مع المدار الذي يمر بجزء الشمس او مركز الكوكب حتى تلقى حرف (الافق) (14) المائل، وعلم هنالك علامة في وجه الصفيحة تكن نقطة الطلوع والغروب، فان كان جزء الشمس او مركز الكوكب بين مدارين فتحر بعد العلامة من احد المدارين الاقربين اليها، وزد ذلك على بعد ذاك المدار وانقصه واعمل بحسبه ان شاء الله.

الباب السابع
في معرفة قوس النهار والليل

اذا اردت ذلك فعد من نقطة طلوع الشمس وغروبها في الممرات صاعدا الى العلاقة يكن نصف قوس النهار، وعد من نقطة الطلوع والغروب الى اسفل الصفيحة يكن نصف قوس الليل، فاضعف النصف يكن القوس كله كاملا، وان نقصت نصف قوس احدهما من 180 بقي لك نصف قوس الثاني، وان نقصت القوس كله من 360 بقي لك قوس الثاني كله كاملا، وعلى هذا هو العمل في معرفة قوس نهار الكواكب وقوس ليلها، فاعلمه.

وقوس نهار الكواكب هو قدر ظهورها فوق الارض، وقوس ليلها هو قدر مغيبها تحت الارض، فاعلم ذلك.

---

7) عبارات ساقطة في ب.
8) ساقطة في ب و ج.
9) في ب : ان تمسك بشيء.
10) في أ ب : وتجعلها.
11) في أ : في البلد.
12) ساقطة في ب.
13) عبارة ساقطة في أ ج.
14) كلمة ساقطة في أ.

الباب الثامن
في معرفة ازمان الساعات النهارية والليلية ومعرفة كم في النهار والليل من ساعة معتدلة

اذا اردت ذلك فاقسم قوس النهار او الليل، ايهما اردت (على 12 (15) او نصف القوس على 6، فما خرج فهو زمان ساعات النهار او الليل — ايهما قسمت قوسه — ومتى نقصت ازمان ساعات احدهما من 30 بقيت ازمان ساعات الثاني .

فان اردت كم في النهار او الليل من ساعة معتدلة فاقسم قوس ايهما اردت على 15 فما خرج فهو ما في النهار او الليل من ساعة معتدلة، ومتى نقصت ساعات (16) احدهما من اربعة وعشرين بقيت لك ساعات الثاني .

الباب التاسع
في معرفة الدائر من الفلك من قبل ارتفاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل

اذا اردت ذلك فابعد — في قوس الشمس او قوس الكوكب — عن نقطة الطلوع والغروب نحو العلاقة مثل الارتفاع الذي قست (17) او اكثر منه يسيرا وعلم على منتهاه علامة ثم ضع الافق المائل على تلك العلامة وانقلها الى الافق المائل وحرك الافق في دائرة نصف النهار الى جهة اليسار مثل ارتفاع رأس الحمل في بلدك ثم انظر العلامة التي في الافق على كم وقعت (18) من المدارات، فان كان عددها مثل الارتفاع الذي قست فهو المطلوب، وان كان اقل فزد في البعد عن نقطة الطلوع والغروب (وان كان اكثر فانقص من البعد عن نقطة الطلوع والغروب) (19) وعلم على منتهاه علامة وضع عليها الافق وانقل العلامة اليه وحركه بمثل ارتفاع الحمل حتى يوافق الارتفاع الذي قست، فاذا وافقه فاعلم كم بين نقطة الطلوع والغروب من عدد الممرات وبين العلامة التي هي منتهى البعد (20)، (فما كان) فهو الدائر من الفلك ان كان الارتفاع في جهة المشرق، وان كان في جهة المغرب فانقص الذي خرج لك من قوس نهار الشمس أو الكوكب — أيهما عملت به — فما بقي فهو الدائر من الفلك من طلوع الشمس او الكوكب .

الباب العاشر
في معرفة ما مضى من النهار من ساعة

استخرج الدائر من الفلك من طلوع الشمس — كما تقدم — فما كان خرج فهو ما مر من النهار من ساعة زمانية، فان اردتها معتدلة فاقسم الدائر من الفلك على 15، فما خرج فهو ما مر من النهار من ساعة معتدلة .

15) عبارة ساقطة في ب.
16) في ج : ساعة (بالافراد).
17) في أ : قسمت.
18) في ب : قطعت.
19) عبارة ساقطة في ب.
20) في أ : العدد.

وجه اخر في معرفة ما مضى من النهار من ساعة زمانية بتقريب يسير : اعلم ارتفاع الشمس في نصف النهار ثم اجعل الافق المائل على افق الاستواء يكن احد طرفيه على القطب الجنوبي والاخر على القطب الشمالي، ثم اعلم المدار الذي بعده عن الاستواء مثل ارتفاع الزوال، وادخل معه حتى تلقى الافق المائل فتعلم في الافق المائل علامة ثم تأخذ في الارتفاع اي وقت شئت (21) وتطلب مثله في المدارات الشمالية ثم تحرك الافق المائل (حتى تقع العلامة التي فيه على ذلك المدار ثم تنظر كم بعد الافق المائل) (22) عن مدار الاستواء من درج دائرة نصف النهار فما كان فاقسمه على 15 ابدا، فما خرج فهو ما مر من النهار من ساعة زمانية ان كان القياس قبل نصف النهار، وان كان بعده فهو ما بقي من النهار .

الباب الحادي عشر
في معرفة ارتفاع الشمس من قبل مامر من النهار من ساعة

اذا اردت ذلك فصير الساعات (23) الماضية من النهار درجا وذلك بضربها في ازمانها، فما اجتمع فهو الدائر من الفلك، فابعد (24) عن نقطة الطلوع والغروب من قوس الشمس مثل الدائر من الفلك وعلم على منتهاه علامة ثم ضع الافق المائل على العلامة وانقلها الى الافق، ثم حركه من موضعه ذلك في دائرة نصف النهار مثل ارتفاع رأس الحمل، فما وقعت عليه العلامة من المدارات فهو ارتفاع الشمس في ذلك الوقت

الباب الثاني عشر
في معرفة مطالع البروج في الفلك المستقيم وتحويل درج (25) المطالع الى درج السواء (26)

اذا اردت ذلك فعلم في خط الطول على الدرجة التي تريد معرفة مطالعها من اول الجدي، فما وقع على العلامة من الممرات فاحفظه ثم انظر، فان كانت الدرجة في الصف الهابط من البروج فخذ عدد ذلك الممر من ناحية العلاقة في صف العدد الهابط، وان كانت الدرجة في الصف الصاعد من البروج فخذ عدد ذلك الممر في صف العدد الصاعد فما كان فهي مطالع تلك الدرجة من اول الجدي في الفلك المستقيم، فان كان معك مطالع واردت درجتها من فلك البروج فخذ على مدار الاستواء مثـــل
ما معك من المطالع وانظر الممر الواقع عليها واخرج معه الى خط الطول فعلى أية درجة وقع فهي الدرجة المطلوبة لتلك المطالع، ومتى كانت المطالع في الصف الهابط من العدد فالدرجة من بروج الصف الهابط، ومتى كانت في صف العدد الصاعد فالدرجة من بروج الصف الصاعد.

الباب الثالث عشر
في معرفة الدائر من الفلك من غروب الشمس الى مغيب الشفق ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس

اذا أردت ذلك فابعد عن نقطة الطلوع والغروب في قوس الشمس

21) في ج : ثم تأخذ ارتفاع أي وقت شئت.
22) ساقطة في ب.
23) في ب : الساعة.
24) في ج : ثم ابعد.
25) ساقطة في ب.
26) في ب : درج البروج.

تحت الأفق بقدر 20 درجة وعلم على منتهاه علامة، ثم ضع عليها الأفق المائل وانقل العلامة الى الأفق ثم حركه الى جهة اليسار مثل ارتفاع رأس الحمل فان وافقت العلامة مدار ثمانية عشر أبدا فذلك المطلوب، وان لم توافقه وكانت أقل فزد في البعد من نقطة الطلوع والغروب، وان كانت أكثر فانقص منه وعلم على منتهاه علامة وضع عليها الأفق وانقل العلامة اليه وحركه بارتفاع الحمل حتى توافق العلامة مداره (27)، فاذا وافقته فزد الأفق المائل الى مدار قوس الشمس وانقل العلامة التي فيه الى قوس الشمس. فالبعد الذي بين هذه العلامة ونقطة الطلوع والغروب هو مقدار ما يدور الفلك من غروب الشمس الى مغيب الشفق، ومثله من طلوع الفجر الى طلوع الشمس، وهذا الدائر من الفلك يسمى المدة، والعمل في استخراجها كالعمل في الباب التاسع غير أنك تدخل هنالك في قوس النهار وتدخل هنا في قوس الليل.

الباب الرابع عشر
في معرفة بعد الكواكب من مواضعها لغروب الشمس ولسائر أجزاء الليل

اذا أردت ذلك فاعلم مطالع درجة الشمس في الفلك المستقيم من أول الجدي – كما تقدم – وزد عليها نصف (28) قوس النهار، فما اجتمع فهو بعد الكواكب من مواضعها في الصفيحة لغروب الشمس، ومتى اجتمع لك أكثر من دور فأسقط منه دورا، فما بقي فهو البعد للغروب.

فان أردت بعد الكواكب لمغيب الشفق فزد على البعد للغروب المدة فما اجتمع فهو بعد الكواكب لمغيب الشفق.

وان أردت بعدها لطلوع الفجر فاعلم (29) قوس الليل وانقص منه المدة وزد الباقي على البعد للغروب، فان كان المجتمع أكثر من دورة فانقص منه دورة أبدا، فما بقي فهو بعدها لطلوع الفجر، وكذلك تعمل في البعد لأي جزء شئت من أجزاء الليل.

الباب الخامس عشر
في معرفة مواضع الكواكب عند غروب الشمس ومغيب الشفق وطلوع الفجر وعند سائر أجزاء الليل ومعرفة جهاتها من الأفق والظاهر منها والغارب

اذا أردت ذلك فاعلم بعد الكواكب للغروب والشفق والفجر (وسائر أجزاء الليل – كما تقدم –) (30) وحرك الكوكب الذي تريد معرفة موضعه للوقت المفروض من وضعه المرسوم في الصفيحة مثل ذلك البعد صاعدا في قوسه ان كان اسمه هابطا، أو هابطا في قوسه ان كان اسمه صاعدا على الخلاف أبدا، فحيث نفد العدد علّمت عليه علامة في القوس تكن (هذه العلامة) (31) موضع الكوكب عند الوقت المفروض.

27) في ج : حتى توافق العلامة لمدار 18.
28) في ب : مثل.
29) في ب : فاعرف.
30) ساقطة في ج.
31) ساقطة في أ ج.

فإن أردت معرفة جهة الكوكب وهل هو ظاهر أو غائب فاجعل الأفق المائل في الربع الأعلى الجنوبي على مثل ارتفاع رأس الحمل، ثم انظر علامة الكوكب، فان كانت فوق الأفق المائل فالكوكب ظاهر، وان كانت تحت الأفق فالكوكب غائب، فان كان فوق الأفق أو تحته صاعدا في قوسه فهو في جهة المشرق، وان كان هابطا في قوسه فهو في ناحية المغرب.

الباب السادس عشر
في معرفة ارتفاع الكواكب لغروب الشمس ومغيب الشفق ولطلوع الفجر ولسائر أجزاء الليل

اذا أردت ذلك فاعلم موضع الكوكب الذي تريد للوقت المفروض – كما تقدم – وعلّم عليه علامة تقدر بها الكوكب، ثم ضع الأفق المائل على العلامة وانقلها اليه وحركه من موضعه ذلك (32) في دائرة نصف النهار الى جهة اليسار مثل ارتفاع رأس الحمل، ثم تنظر على كم وقعت العلامة التي في الأفق من المدارات، فما كان عددها فهو ارتفاع ذلك الكوكب في الجهة التي وجدته فيها ظاهرا.

الباب السابع عشر
في معرفة ما مضى من الليل من ساعة من قبل ارتفاع الكوكب

اذا أردت ذلك فاستخرج الدائر من الفلك من حين طلوع الكوكب الى الوقت الذي أخذت فيه الارتفاع – كما تقدم في بابه – ثم اعلم موضع الكوكب عند غروب الشمس، وخذ ما بين نقطة طلوعه وغروبه وبين موضعه لغروب الشمس من عدد الممرات، ثم انظر : فان كان الكوكب عند غروب الشمس فوق الأفق صاعدا فانقص ذلك من الدائر من الفلك، وانقص من المجتمع قوس نهار الكوكب يبقى ما مضى من قوس الليل، وان كان الكوكب (33) تحت الأفق هابطا فزد ذلك على الدائر من الفلك يكن ما مضى من قوس الليل، ومتى اجتمع لك من هذا العمل أكثر من دورة فأسقط دورة والباقي هو المطلوب. ومتى كان المنقوص منه أقل فزد عليه دورة وانقص من المجتمع فما بقي فهو المطلوب.

فاذا علمت ما مضى من قوس الليل فاقسمه على أزمان ساعة واحدة ليلية، فما خرج فهو ما مضى من ساعات الليل الزمانية، وان أردت الساعات المعتدلة فاقسم ما مضى من قوس الليل على 15 فما خرج فهو ما مضى من الليل من ساعة معتدلة.

وبهذا العمل تعلم على كم ساعة يغيب الشفق ويطلع الفجر : تقسم المدة على زمان ساعة واحدة ليلية يخرج لك ما يمر (34) من ساعات الليل عند مغيب الشفق، ومثل ذلك يبقى من الليل عند طلوع الفجر فانقصها من 12 يبقى ما يمر من ساعات الليل عند طلوع الفجر.

32) ساقطة في أ.
33) في أ : وإن كانت الكواكب.
34) في ب : ما مضى.

الباب الثامن عشر
في معرفة درجة وسط السماء ودرجة الطالع

اذا أردت ذلك فخذ الساعات الماضية من النهار أو الليل، فان كانت أقل من ذلك فانقصها من ست، وان كانت أكثر فانقص منها ستا، فما بقي فاضربه في أزمان ساعة واحدة فما خرج فهو البعد من وسط السماء، ثم استخرج مطالع نظيرها (35) بالليل ـ والنظير على مثل درجة الشمس من البرج السابع أبدا ثم انظر : فان كانت الساعات الماضية أقل من ست فانقص البعد من المطالع وإن كانت الساعات اكثر من ست فزد البعد على المطالع وحول المجتمع الى درج البروج من خط الطول ـ كما تقدم ـ فما كانت الدرجة من البروج (36) فهي درجة وسط السماء، فاذا علمت درجة وسط السماء فاخرج مع الممر الذي يمر بها الى جهة الشمال حتى تلقى المدار الذي على مثل عرض بلدك، وعلّم هنالك علامة ثم اخرج من العلامة مع أقسام البروج راجعا الى خط الطول، فما كانت الدرجة من البرج فمثلها من البرج الرابع منه هو الطالع.

الباب التاسع عشر
في معرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل والارتفاع (37)

اذا أردت ذلك فاعلم الدائر من الفلك ـ كما تقدم في بابه ـ ثم ادخل به في قوس نهار الشمس أو الكوكب وابعد عن نقطة الطلوع والغروب وعلم على منتهاه علامة ثم ضع عليها الافق المائل وانقلها اليه، ثم عد من المدارات الشمالية في دائرة نصف النهار مثل عرض بلدك في أعلى الصفيحة، وعلم عليه علامة تكن نقطة سمت الرؤوس، ثم اعلم كم بين طرف الأفق وبين نقطة سمت الرؤوس من أجزاء دائرة نصف النهار، وعد مثلها من قطب معدل النهار الشمالي صاعدا، وعلم على منتهاه علامة ورد (38) عليها طرف الأفق المائل الأقرب الى العلامة، ثم انقل العلامة من الأفق المائل الأقرب الى العلامة، ثم انقل العلامة من الأفق الى وجه الصفيحة، فما وقعت عليه من المدارات فهو ارتفاع الشمس أو الكوكب لذلك الوقت، وما وقعت عليه من الممرات فاعلم كم بينه وبين أفق الاستواء من عدد الممرات فما كان فهو السمت، ثم ضع الأفق المائل على نقطة سمت الرأس (39) وانظر : فان كانت العلامة التي نقلت الى الأفق من وجه الصفيحة في جهة القطب الشمالي عن الأفق وكنت قبل نصف النهار فالسمت في الربع الشرقي الشمالي (40)، وان كنت بعد نصف النهار فالسمت في الربع الغربي الشمالي (41)، وان وقعت العلامة في جهة القطب الجنوبي من الأفق وكنت قبل نصف النهار فالسمت في الربع الجنوبي الشرقي، وان كنت بعد نصف النهار فالسمت في الربع الجنوبي (42)؛ وبعد السمت أبدا يكون عن وسط المشرق أو وسط المغرب ويكون الارتفاع في جهة السمت.

35) في ب : نظائرها.
36) في ب : البرج.
37) في ج : من الارتفاع.
38) في ب : ورد (بالراء المهملة).
39) في ب : الرؤوس.
40) في ب : في الربع الشمالي الشرقي.
41) في ب : في الربع الشمالي الغربي.
42) في ب : في الربع الجنوبي الشرقي.

الباب العشرون
في معرفة تحديد الجهات الأربع ومعرفة القبلة

اذا أردت ذلك فاعلم سمت الشمس ان كان الوقت نهارا، على ما تقدم، ثم ضع طرف العضادة التي في ظهر الصفيحة على مثل ذلك السمت في الأرباع (43) ان كان السمت شرقيا جنوبيا، ففي الربع المتياسر عن العلاقة ـ وهو الربع المقابل له، وان كان غربيا جنوبيا ففي الربع المتيامن، وان كان شرقيا شماليا ففي الربع المقابل له، ثم ضع الصفيحة على وجهها وضعا موازيا للافق ثم حرك الصفيحة يمنة ويسرة حتى يعتدل ظل الشظية على حرف العضادة فيكون حينئذ القطر الذي يخرج من العلاقة هو خط وسط (الجنوب والشمال، والقطر القائم عليه) (44) هو خط وسط المشرق والمغرب، وان كان الوقت ليلا فاستخرج سمت الكوكب القريب من الأفق في الوقت الذي تريد واصنع به كما صنعت بالشمس سواء،إلا أنك تحرك الصفيح في يدك حتى ترى الكوكب مارا بحرفي الشظيتين في جهة واحدة، وتنزل الصفيحة على وجهها على الأرض من غير أن تحركها عما هي عليه فتحدد لك الجهات الأربع كما تقدم في قطري الظهر، والعلاقة تلي الجنوب أبدا. فاذا تحددت لك الأرباع وأردت معرفة القبلة وكان مقدار سمتها عندك معلوما فاترك الصفيحة على وضعها عند تحديدك الجهات، ورد العضادة على مثل سمت القبلة في الربع التي هي فيه ـ وهي في هذه البلاد في الربع الشرقي الجنوبي ـ فما قابل طرف العضادة من أفق الموضوع فهو سمت القبلة، وان لم يكن السمت عندك معلوما فضع العضادة على 45، في الربع الذي القبلة فيه، فما قابل طرفها من الأفق فهو سمت القبلة على المقاربة ان شاء الله تعالى.

الباب الحادي والعشرون
في معرفة أصابع الظل المبسوط والمنكوس والأقدام من قبل الارتفاع وعكس ذلك

اذا أردت ذلك فاجعل طرف العضادة على الارتفاع وانظر حرف العضادة من الطرف الاخر فان كان واقعا على أصابع الظل المبسوط وكان هو المطلوب فذلك الذي أردت، وان وقع على الظل المنكوس فاقسم على عدد أصابعه 144 فما خرج فهو أصابع الظل المبسوط لذلك الارتفاع، وكذلك تفعل ان كان مطلوبك الظل المنكوس ان وقع حرف العضادة على أصابع الظل المنكوس والحرف من الطرف الاخر هو موضوع الارتفاع، فذلك الذي أردت.

وان وقع حرف العضادة على أصابع الظل المبسوط فاقسم على عدد أصابعه 144 فما خرج فهو الظل المنكوس لذلك الارتفاع.

واعلم أن هذه المئة والأربعة والأربعين التي أمرتك بقسمتها هي ما يجتمع من ضرب عدد أصابع القائم في مثلها. فان أردت معرفة الأقدام من قبل الأصابع فاضرب عدد الأصابع في خمسة أتساع أبدا فما خرج فهي أقدام

43) في أ : الارتفاع.
44) عبارة ساقطة في ب.

الظل الذي عملت به (45)، فان أردت معرفة الارتفاع من قبل الأصابع فانظر : فان كانت أقل من 12 فاجعل عليها حرف العضادة فما وقع عليه طرفها في الربع الأعلى فهو الارتفاع، وان كانت أكثر من 12 فاقسم عليها 144 فما خرج فهي أصابع الظل الاخر فاجعل عليها العضادة وانظر طرفها على كم وقع من الربع الأعلى فهو الارتفاع لتلك الأصابع التي أردت فاعلم ذلك.

فان أردت الأصابع من قبل الأقدام فاقسم ما معك من الأقدام (46) على خمسة اتساع فما خرج فهي أصابع الظل المبسوط، فافهم.

الباب الثاني والعشرون
في معرفة أصابع ظل الزوال في كل يوم ومعرفة وقت الظهر أو العصر من الأصابع ومعرفة الارتفاع لهذه الأوقات

اذا أردت ذلك فاعلم ارتفاع الشمس في نصف النهار على ما تقدم ثم ضع طرف العضادة في ربع الارتفاع على مثل ذلك فما وقع عليه الطرف الاخر من أصابع الظل (المبسوط) فهو ظل الزوال في ذلك اليوم.

وأما معرفة وقت الظهر والعصر فانك تزيد على أصابع ظل الزوال المبسوط ثلاثة أصابع يكن المجتمع اصابع ظل صلاة الظهر، وتزيد على أصابع ظل الزوال المبسوط(يب)أصبعا فما اجتمع فهي أصابع ظل صلاة العصر فزد عليها (5 د) اصبعا تكن اصابع اخر وقت العصر وتزيد على أصابع ظل الزوال المبسوط 144 أصبعا فما اجتمع فهي أصابع ظل آخر وقت العصر.

وتعرف الارتفاع لهذه الأوقات من الأصابع كما تقدم في الباب الذي قبل هذا، فما كان فهو الارتفاع لتلك الأوقات، وان شئت فانقص ارتفاع الزوال من 90 وخذ عشر الباقي وزده على نصف ارتفاع الزوال فما (بقي) فهو ارتفاع آخر العصر فاعلم ذلك.

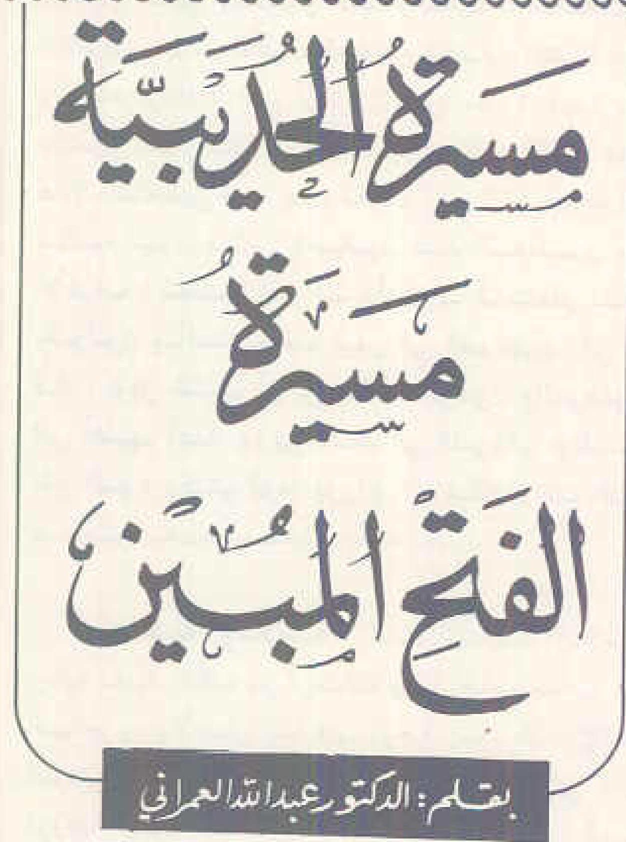
الباب الثالث والعشرون
في معرفة ارتفاع الجدار وعمق الآبار وعرض الوادي وما شابه ذلك

فاذ أردت ارتفاع قائم ما فانظر أولا من ثقبي الشطبتين حتى ترى أصل ذلك القائم ثم انظر على كم وقع حرف العضادة من الارتفاع فما كان فاعرف منه أصابع الظل المبسوط أبدا فما كانت فاضربها فيما بين بصرك والأرض من الأذرع واقسم المجتمع على 12 أبدا فما خرج فهو ما بين قدميك وأصل ذلك القائم في الأذرع، وبهذا العمل تعرف عرض الوادي وشبهه؛ فاذا عرفت ما بينك وبين أصل القائم فخذ ارتفاع أعلاه كما تأخذ ارتفاع كوكب وتعلم من الارتفاع أصابع الظل المبسوط أبدا فما كانت فاتخذها اماما ثم اضرب البعد الذي بينك وبين أصل القائم في 12 أبدا واقسم المجتمع على الامام فما خرج فزد عليه ما بين بصرك والأرض من الأذرع فما اجتمع فهو ظل ذلك القائم.

فان أردت عمق البئر وشبهها فاعلم أولا ما (في) قطرها من الأذرع ثم قف على حاشية البئر وانظر من ثقبي الشطبتين حتى ترى الفصل المشترك بين الماء وجانب البئر المقابل لك، ثم انظر على كم وقع حرف العضادة من الارتفاع واعلم منه الأصابع المبسوطة أبدا، فما كانت فاتخذها اماما واضرب ما في قطر البئر من الأذرع في 12 واقسم المجتمع على الامام فما خرج لك فانقص منه ما بين بصرك الى الأرض من الأذرع فما بقي فهو عمق البئر فاعلم ذلك. وبالله التوفيق لا رب الا هو والحمد لله كثيرا، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

45) في أ : علمت به.

46) في أ : الأصابع.



قبل الدخول في صميم الموضوع نتعرض لكلمة «الحديبية» فنتعرف على ماهيتها وضبطها. يقول الراوية العربي الشهير أبو سعيد عبد الملك الأصمعي: إن «الحديبية» مخففة الياء الأخيرة، ساكنة الأولى، ويقول عالم اللغة أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي: الحديبية كدويهية - وقد تشدد - بئر قرب مكة، أو لشجرة حدباء كانت هناك. ويذكر علي بن المديني في كتاب «العلل والشواهد» أن الحجازيين يخففون ياء «الحديبية»، والعراقيين يثقلونها.

ومثل هذا الخلاف وقع في «الجعرانة» وهي عبارة عن ماء يقع بين مكة والطائف، وهو إلى مكة أقرب. فالحجازيون والأصمعي وأبو سليمان الخطابي يسكّنون العين ويخففون الراء، أما العراقيون فيكسرون العين، ويشددون الراء.

ويجدر بالملاحظة أن المؤرخين اختلفوا في «المضاف» إلى الحديبية، فالمؤرخ المعروف علي بن الحسين المسعودي يجعله غزوة... وبعضهم يجعله «صلحا» والصلح في عرف الساسة: «إيقاف إطلاق النار بين فريقين متحاربين، ورفع الحرب بينهما تحت شروط معينة». ونحن هنا في الواقع لسنا أمام فريقين متحاربين بالفعل، وإن كانا في حالة حرب، بل نجد أنفسنا أمام فريق مسالم يكاد يكون أعزل من السلاح، وفريق آخر استعد للحرب، ويريد خوض غمارها، ضاربا عرض الحائط بحرمة البلد والشهر معاً... ومن جهة أخرى نجد أن بعض كتاب السيرة النبوية يعدلون عن كلمتي «غزوة» و«صلح» إلى كلمة «عهد» أو «ميثاق». ومهما يكن من أمر فالغرض واضح، والقصد بين، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقال... على أن الوضع كان جد متأزم، وكادت الحرب تنشب بين الفريقين (المسلمين وكفار قريش) فإذا استعمل مؤلف كلمة: «غزوة» الحديبية، أو «صلح» الحديبية، فلن يبعد كثيرا عن الصواب، لأن الحرب كانت تستعر أوارها - كما سنرى بعد - ولكن الله سلم، ولطف برسوله وعباده المؤمنين.

شعيرة الحج: فكرة الحج شعيرة دينية قديمة ترجع إلى عهد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حين أمره الله ببناء الكعبة المشرفة، وبتطهير بيت الله للطائفين والقائمين والركع السجود، قال الله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾**. وقال عز من قائل: **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا، وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾**.

وهكذا تم وضع هذا الركن الهام من أركان الديانة الإبراهيمية - الإسماعيلية السمحة، وصار الناس من أطراف شبه الجزيرة العربية، يتقاطرون على بيت الله الحرام في الأشهر الحرم التي أصبح العرب يقدسونها ويأنفون أن يشعلوا خلالها فتيل حرب، إلا من طغى وتجبر، أو انحرف واستهتر، فقام بتعديل بين الشهور سمي النسيء ووصفه القرآن الكريم بأنه زيادة في الكفر ﴿**إنما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

كان العرب - قبل تأدية مناسك الحج - يذهبون للتسوق، فيقضون في سوق عكاظ العشرين يوما الأولى من شهر ذي القعدة الحرام، وبعدها يقضون نحو عشرة أيام في كل من سوقي (مجنّة) و(ذي المجاز)، ثم يقضون مناسك حجهم كل على طريقته الخاصة، لأن عقيدة التوحيد الإبراهيمية لم تبق على نقائها، فصارت الكعبة مثابة للأصنام، وبات العرب يعبدونها لأنها في نظرهم تقربهم إلى الله زلفى، وصاروا يقدمون لها القرابين ويذكرون أسماءها على ما يذبحون.

ولما جاء الإسلام أقر هذه الشعيرة الدينية الهامة، وطهرها مما علق بها من أدران الشرك، وصار المسلمون القادرون - صحيا وماليا - يؤدون فريضة الحج الأكبر مرة في العمر على الأقل، وصاروا يؤدون الحج الأصغر (العمرة) متى شاءوا، ولكن قريشا - بعد هجرة رسول الله إلى المدينة المنورة - حرمت على المسلمين دخول مكة، فحرمتهم بذلك من أداء هذا الركن الركين.

رؤيا صادقة : في هذه الأثناء، وبعد ست سنوات من الحرمان، رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم أن المسلمين سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون. وفي صبيحة يوم، والمسلمون مجتمعون بمسجد الرسول، جاءهم - عليه الصلاة والسلام - وأنبأهم بفحوى الرؤيا الصادقة - والرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة - ففرح المسلمون فرحا شديدا، واستبشروا خيرا، وسرى خبر الرؤيا في المدينة سريان البرق الخاطف.

وأراد رسول الله إشراك غير المسلمين مع المسلمين في هذه المسيرة المظفرة، فأذن المؤذن في الناس كي يأخذوا أهبتهم، ويستعدوا للقيام بالعمرة، فاستجاب الكثيرون، غير أن الأعراب البدويين تباطأوا، اعتقادا منهم بأن هذه الرحلة لا تعدو أن تكون مجرد مغامرة انتحارية، فاعتذروا بأعذار ملفقة مصطنعة. ولكن القرآن الكريم فضح هؤلاء المتخلفين فيما بعد، فكشف نيتهم السيئة، ودعاهم بالقوم البور، قال : ﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب : شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾. إلى أن قال : ﴿**بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمومنون إلى أهليهم أبدا، وزين ذلك في قلوبكم، وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا**﴾. أي هالكين عند الله، متوجبين سخطه، ومستحقين عقابه وعذابه.

التشكيلة الإسلامية : كانت التشكيلة الإسلامية ربانية سلمية. تتألف من أربعمائة وألف حاج وحاجة من المهاجرين والأنصار، بما فيهم زوجة رسول الله ﷺ أم المومنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي، التي كان تزوجها الرسول منذ عامين فقط، في شهر شوال من السنة الرابعة من الهجرة النبوية.

كان مع الركب النبوي الكريم سبعون بدنة، بما فيها بعير أبي جهل الذي غنمه المسلمون في معركة بدر. وكانت البدن - حسب التقاليد الإسلامية - معلمة بعلائم وشعارات، ومقلدة بقلائد مميزة. وكان الغرض منها الهدي والنحر وإطعام السائل المحتاج : ﴿**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير، فاذكروا اسم الله عليها صواف. فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون**﴾.

لم يكن مع هذا العدد من الحجاج سلاح حربي يعتد به، غير سلاح المسافرين، أي السيوف المغمدة في قربها. ومعنى هذا أن المسيرة سلمية مسالمة تكاد تكون عزلاء من السلاح، ولا غرض لها إلا أداء شعيرة دينية يؤديها العرب

أجمعون، مسلمون وغير مسلمين، كل بطريقته الخاصة... استخلف الرسول على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وعقد اللواء لعلي بن أبي طالب، وتحرك الركب الكريم صوب مكة في غرة ذى القعدة الحرام من العام السادس الهجري الموافقة للرابع عشر من مارس من عام 628 م.

وصل الرسول ومرافقوه إلى ميقات أهل المدينة : ذى الحلفة، (1) فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الظهر وأحرم، وأحرموا. وأمر الرسول الكريم قائد الفرسان العشرين، بأن يتقدم بفرسانه كطليعة من طلائع الاستكشاف، وكان اسم القائد عباد بن بشر، وكان الفرسان مهاجرين وأنصارا.

التعبئة القرشية : علمت قريش بالمسيرة النبوية، فجمعت جموعها، وتباحثت الأمر، وقلبته على جميع الوجوه والاحتمالات، فقر رأيها على الصد والمقاومة، مهما كلفها ذلك من تضحية، جمعت جيشا جعلت قيادته لعكرمة بن أبي جهل، وجعلت خالد بن الوليد - قبل إسلامه - قائدا على مائتي فارس، أي أن نسبة فرسان المسلمين إلى فرسان قريش هي كنسبة واحد إلى عشرة المنصوص عليها في سورة الأنفال : **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾**.

تجمعت القوات القرشية أولا في (ذى طوى) ثم تحركت فعسكرت في (بلدح)، أما خالد بن الوليد فتقدم بفرسانه إلى (كراع الغميم) (2).

انطلاق المسيرة النبوية : ونعود إلى الركب النبوي لنرافقه متجهين صوب الجنوب، نحو مكة المكرمة، مارين بعدة محطات وقرى لا نطيل بذكرها، بل نكتفي بعد (ذى الحليفة) بذكر (العرج) و(الخرار) الواقع في نصف الطريق تقريبا بين مكة والمدينة، ثم (القديد) و(عسفان).

كان رسول الله ﷺ متشوقا للتعرف على أخبار قريش وتحركاتها، فجاءه رجل من قبيلة خزاعة التي ينتسب إليها عمرو بن لحي - أول من أدخل صنم (هبل) إلى الكعبة، فسن بها عبادة الأصنام - والتي صارت - بمسلميها ومشركيها - تتعاطف مع الدعوة المحمدية. ولعل أصل هذا التعاطف راجع إلى أنها في الماضي القريب، كانت متحالفة مع عبد المطلب جد رسول الله ﷺ.

هذا الرجل - ويدعى بسر بن سفيان الخزاعي - ذهب إلى مكة، وتعرف على استعدادات قريش ومقاصدهم، فأتى رسول الله ﷺ - وكان لا يزال وراء غسفال - فقال له :

«سمعت قريش بمسيرتك، فخرجوا معهم العوذ (3) المطافيل، قد لبسوا جلود النمور (4)، ونزلوا بـ (ذى طوى)، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبدا وخالد بن الوليد يتقدم بخيلهم إلى (كراع الغميم)».

قال رسول الله ﷺ متأسفا :

«ويح قريش، قد أكلتهم الحرب ! ماذا عليهم لو خلوا ما بيني وبين سائر العرب ؟ فإن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا إلى الإسلام وافرين، فإن أبوا، قاتلوا وبهم قوة»... ثم أضاف ﷺ مقولة تشبه تلك التي قالها لعمه أبي طالب حينما جاءته قريش تشكوه إليه :

«ما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به، حتى يظهره، أو تنفرد هذه السالفة !» والسالفة هي صفحة العنق، وانفرادها كناية عن الموت.

المواجهة : دنا خالد بن الوليد على رأس فرسان قريش، حتى تراأوا لأصحاب رسول الله ﷺ، فأمر الرسول عباد بن بشر أن يتقدم بخيله إلى جهته، فتقدم، وتمت المواجهة، وتأزم الموقف إلى حد كبير. وصف رسول الله أصحابه. وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف المنصوص عليها في سورة النساء من القرآن الكريم :

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة، فلتقم طائفة منهم معك، وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم. ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾.

---

1) ذو الحليفة : قرية تبعد عن المدينة المنورة بنحو ستة أميال أو سبعة.

2) كراع الغميم : مكان أمام (عسفان) بثمانية أميال. والغميم : اسم واد ؛ والكراع : جبل أسود مستطيل يشبه الكراع.

3) العوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الإبل والخيل والظباء، سميت عائذا لأن ولدها يعوذ بها. والمطافيل - أو المطافل - جمع مطفل وهي ذات الطفل من الإنس والوحش.

4) لبسوا جلود النمور : أي تكشفوا على حقيقتهم، وأظهروا العداوة.

«تكتيك» سلمي : لم يات رسول الله مكة غازيا، ومع ذلك قام بتكتيك سلمي رائع، أقلق راحة القرشيين رغم سلميته، ذلك أنه حينما جن المساء، قال رسول الله ﷺ لأصحابه :

«من رجل فيكم يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟»... وكان رسول الله ﷺ يستهدف تجنب أية مصادمة مع الخصوم، لأنه خرج من المدينة مسالما يريد أداء مناسك العمرة، ولم يكن يعتزم الحرب بأي حال... وخرج من بين الصفوف رجل ليسلك بهم طريقا وعرة، بين شعاب وجد المسلمون في سلوكها مشقة كبيرة، ولكنهم وجدوها آخر المطاف قد أفضت بهم إلى (ثنية المرار) (5) مهبط (الحديبية).

مسيرة الحديبية

رأى فرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد، ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه، فظنوهم راحوا ليهاجموا مكة، فرجع القرشيون أدراجهم، ليدافعوا عن مدينتهم، ولينذروا قريشا، ويستحثوها على القتال. وخرج القرشيون بقضهم وقضيضهم حتى نزلوا مياه (الحديبية).

وتقدم المسلمون في طريقهم وهم أشد ما يكونون تمسكا بسياسة السلم التي رسمها الرسول منذ غادروا المدينة المنورة. ولكن ما إن وقعت يدا الراحلة النبوية (القصواء) على (ثنية المرار) التي تهبط على القوم، حتى بركت (القصواء). زجرها المسلمون لتنهض، ولكن دون جدوى، فظنوها جهدت وتعبت، فقالوا : «خلأت القصواء !» يقصدون : حرنت فهي لا تريم - ولن تريم - مكانها ! فقال رسول الله : «ماخلأت القصواء، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس (الفيل) عن مكة. أما والله، لو يسألونني اليوم خطة فيها تعظيم (6) حرمة لأعطيتهم إياها».

ثم زجر رسول الله ناقته، فنهضت، وانصرف الرسول بصحبه عن القوم، حتى نزل بأصحابه على ثمد (7) من أثماد الحديبية، فقال بعضهم :

«يا رسول الله، ما بالوادي ماء تنزل عليه !» فانتزع رسول الله من كنانته سهما أمر به فغرز في بئر قديمة من آبار الحديبية، فجاشت مياهها : واغترف المسلمون بآنيتهم وهم جلوس على شفير البئر، واطمأنوا لوجود الماء.

المفاوضات : حانت الفترة الصعبة الحاسمة : فترة المفاوضات، لكن كيف تتم هذه المفاوضات بين الفريقين وهما على طرفي نقيض ؟ كلاهما يظن الظنون بغريمه،

---

5) ثنية المرار : مهبط الحديبية. والمرار (بضم الميم) : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها. وقد لقب جد امرئ القيس بآكل المرار، لكثر كان به.

6) فيها تعظيم حرمة : وفي رواية أخرى : «فيها صلة رحم».

7) الثمد : حفرة بها ماء مطر لا يلبث أن يجف بفعل الحرارة، أو هو الماء القليل.

فالقرشيون ـ أهل مكة ـ يحسبون أن محمدا أتى ليحاربهم، ولكنه انتحل صفة الإسلام ليخدعهم، وأنه جاء ليسلبهم حقوق سدانة الكعبة، والرفادة وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وهذه هي المفاخر التي تعتز بها قريش، وتباهي بها العرب أجمعين. ثم إن محمدا وصحبه منعوا قريشا من دخول المدينة المنورة، وحالوا دون متاجرتهم مع بلاد الشام، إذ سيطروا على الطريق الوحيد الذي يربط بين مكة وتلك البلاد.

أما المسلمون، وعلى رأسهم سيد الوجود، فكانت لهم وجهة نظر أخرى مخالفة. إنهم جاءوا مسالمين، لا يريدون حربا. جاءوا للطواف بالبيت العتيق، ولتعظيمه، وهو ملك للعرب جميعا، لا تختص به قريش دون سواها، فليس من حق القرشيين أن يحولوا بين أي عربي، وبين حج بيت الله الحرام... بل إن تقديس البيت وتعظيمه، قد تعدى العرب إلى غيرهم من الشعوب، فقد كان الهنود والفرس والصابئة يقدسون الكعبة، فها هو ذا شاعر فارسي مسلم يفتخر بأن أسلافه الفرس حجوا إلى الكعبة وقدسوها، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك. قال الشاعر :

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالأباطح آمنينا
و(ساسان بن بابك) سار حتى
أتى البيت العتيق بأصيدينا
وطاف به، وزمزم (8) عند بئر
لإسماعيل تروي الشاربينا

أجل، ليس من حق قريش أن تمنع المسلمين من أداء فريضته الحج، لأن الإسلام جاء، فأقر هذه الفريضة وجعلها من شعائره وأركانه. ولهذا لا يمكن للمسلمين أن يظلوا محرومين من أداء هذا الواجب سنين طوالا، ثم إن كثيرا من المسلمين يعتبرون مكة مسقط رؤوسهم، هاجروا منها مكرهين، ومازالت بها أموالهم وأقرباؤهم، ومن حقهم التفكير في زيارة الأهل وصلة الرحم معهم.

لكن، نعود للتساؤل من جديد : كيف تبدأ المفاوضات ؟ ومن من الفريقين يبدؤها ؟ لقد بدأت قريش المفاوضات. وكان هدفها إبلاغ محمد استحالة ما جاء لأجله. وتتابع السفراء القرشيون فكان أولهم :

بديل بن ورقاء الخزاعي : بعثت قريش سيد قريش هذا في رجال من قومه، ونذكر هنا بأن قبيلة خزاعة ـ مسلميها وكافريها ـ كانت مع رسول الله، لا تخفى عنه شيئا من أمر قريش. جاء الوفد القرشي، وسلموا على رسول الله، وتكلم بديل فقال :

«جئناك من عند قومك كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي. قد استنفروا لك الأحابيش (9)، واستنفروا كذلك من أطاعهم. معهم العوذ المطافيل، يقسمون بالله، لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم».

فقال رسول الله ﷺ : «لم نات لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت».

رجعت السفارة إلى قريش، وأبلغت القرشيين أن محمدا مسالم لم يات لقتال... فما كان من القرشيين إلا أن اتهموا أفراد السفارة، وجبهوهم قائلين :

«وإن كان جاء لا يريد قتالا، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا تتحدث بذلك عنا العرب».

الحليس بن علقمة الكناني : وكان ثاني سفراء قريش إلى النبي ﷺ زعيم الأحابيش : الحليس هذا، وكان متألها متعبدا متنسكا، فلما اقترب، ورآه رسول الله ﷺ قال الرسول لصحبه : «إن هذا من قوم يتألهون. ابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، ويتأكد من نيتنا السلمية».

أطلق المسلمون الهدي، فسالت البدن على أفراد السفارة من جانب الوادي، ورأوا القلائد في أعناقها. ورأوها وقد أكلت أوبارها من طول ما حبست... رجع الحليس الكناني أدراجه، ولم يرد الوصول إلى رسول الله ﷺ إعظاما واقتناعا بما رأى.

ولما أخبر القرشيين بما شاهد، قالوا له : «اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك». انتفض الحليس غضبا لما سمع،

---

8) الزمزمة في اللغة : تراطن العلوج ـ الفرس في هذه الحالة ـ على أكلهم وهم صموت لا يتكلمون، وإنما يخرجون من خياشيمهم وحلوقهم أصواتا فيفهم بعضهم عن بعض... ويذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (جـ 6 ص 149) أن بئر زمزم سميت بهذا الإسم لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها.

9) الأحابيش : قوم عرب حالفوا قريشا عند جبل حبيش، وحرصوا أن يكون تحالفهم معها في مثل رسوخ هذا الجبل، فنسبوا إليه.

وقال لهم : «ما على هذا حالفناكم ! أتصدون من جاء معظما لبيت الله ؟ لتخلن بين محمد، وبين ما جاء من أجله، أو لأنفرن الأحابيش منكم نفرة رجل واحد».

عندئذ، خفف القرشيون من غلواء الحليس زعيم الأحابيش، وقالوا له : «اكفف الآن، حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به جميعا».

عروة بن مسعود الثقفي : ورأت قريش أن توفد عروة هذا سفيرا عنها، ولكنه اعتذر أولا بما رأى من تعنيف من سبقه من السفراء، بيد أنهم طمأنوه وقالوا له : «إننا واثقون من حكمتك وتبصرك، وإنك عندنا غير متهم. قبل عروة المهمة، وذهب للقاء رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه وقال له :

«يا محمد، اجمعت أوباش(10) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا... لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك». وكانت هذه الكلمات شديدة على المسلمين، فتصدى أبو بكر الصديق لصاحبها، وأنكر عليه أن يصف المسلمين بالأوباش، كما استنكر أن ينصرف المسلمون عن رسول الله أو يتخلوا عن دعوته.

وكان عروة وهو جالس بين يدي رسول الله، يأخذ لحية الرسول ويتناولها بيده، وكان المغيرة بن شعبة واقفا إزاء رسول الله ﷺ فكان كلما فعل عروة ذلك، قرع المغيرة يده وقال له :

«اكفف يدك عن وجه رسول الله، قبل أن لا تصل إليك».

أجاب عروة المغيرة قائلا :

«ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! أي غدر هذا ؟ وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟

قال عروة قولته هذه ممتنا على المغيرة، ومذكرا إياه بأنه كان قد دفع عنه ديات ثلاثة عشر رجلا من بني مالك (من قبلية ثقيف) كان المغيرة قد قتلهم - قبل إسلامه - فتحمل عروة دياتهم عنه.

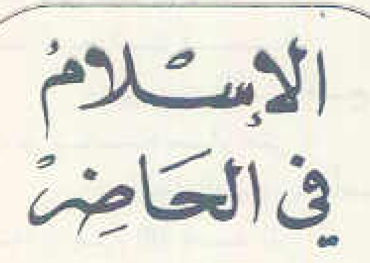
كلم رسول الله ﷺ عروة بمثل ما كلم به من سبقه من السفراء، مخبرا إياه أنه لا يريد حربا... ورجع عروة إلى قريش ليبلغها ما رأى وسمع... أجل، رجع في الواقع مشدوها، فقد هاله ما شاهد من شدة احترام المسلمين لرسول الله ﷺ، ومن كثرة محبتهم له، الأمر الذي دفعه إلى القول :

«يا معشر قريش، قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني - والله - ما رأيت ملكا في قوم - قط - مثل محمد في أصحابه : لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه... وإنهم لن يسلموه لشيء أبدا، فروا رأيكم».

(البقية في العدد القادم)

تطوان د. عبد الله العمراني

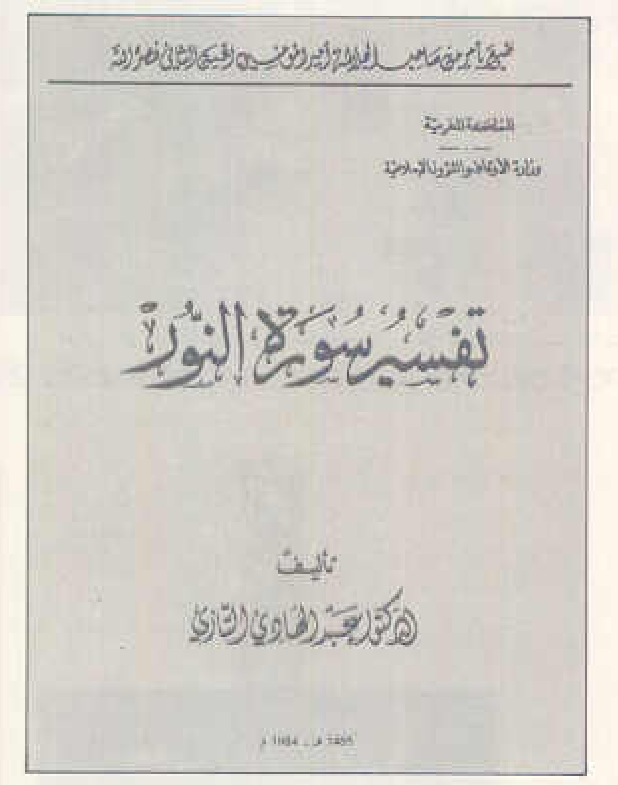
10) «أوباش الناس» : في رواية أخرى : «أوشاب الناس»، وكلتا الكلمتين بمعنى واحد هو أخلاط الناس وسفلتهم، وقيل : إن الأوباش جمع مقلوب للبوش بمعنى جماعة الناس المختلطين. ومنه الحديث : «قد وبشت قريش أوباشا لها».



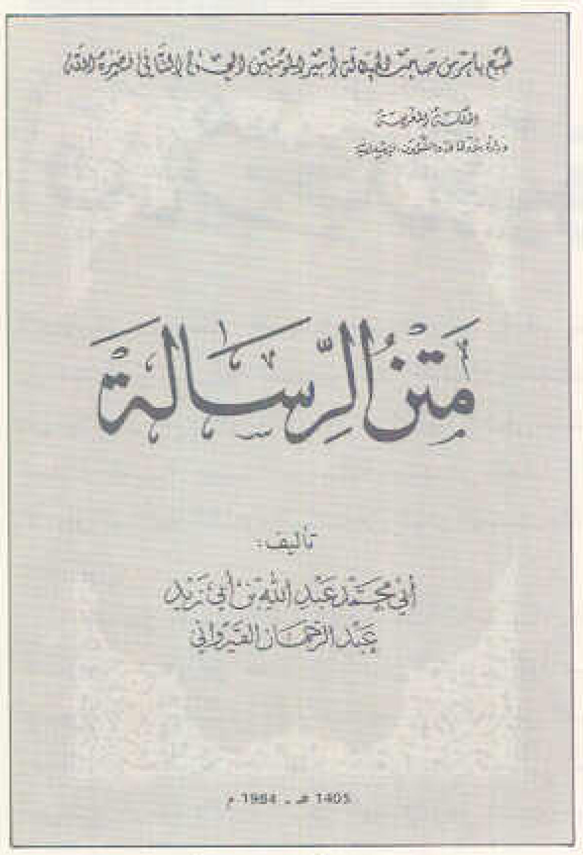
○ صدر مؤخرا في بون كتاب جديد حول الاسلام يعد بمثابة مرجع لمختلف الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية للاسلام وتطورها منذ نشوئه وحتى عصرنا الحديث.

وقد جمع ناشر الكتاب الذي يحمل عنوان «الاسلام في الحاضر» فارنز اندري واودو شتا ينباخ معلومات وافية حول الاسلام، وشارك في تأليفه عدد كبير من الاخصائيين في مختلف الميادين، ومن مختلف البلدان الاسلامية والجدير بالذكر انه تم تبويب الكتاب حسب الدول والمناطق الاسلامية في العالم وذلك لابراز تطورها السياسي والتشريعي والمقارنة بينها.

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية





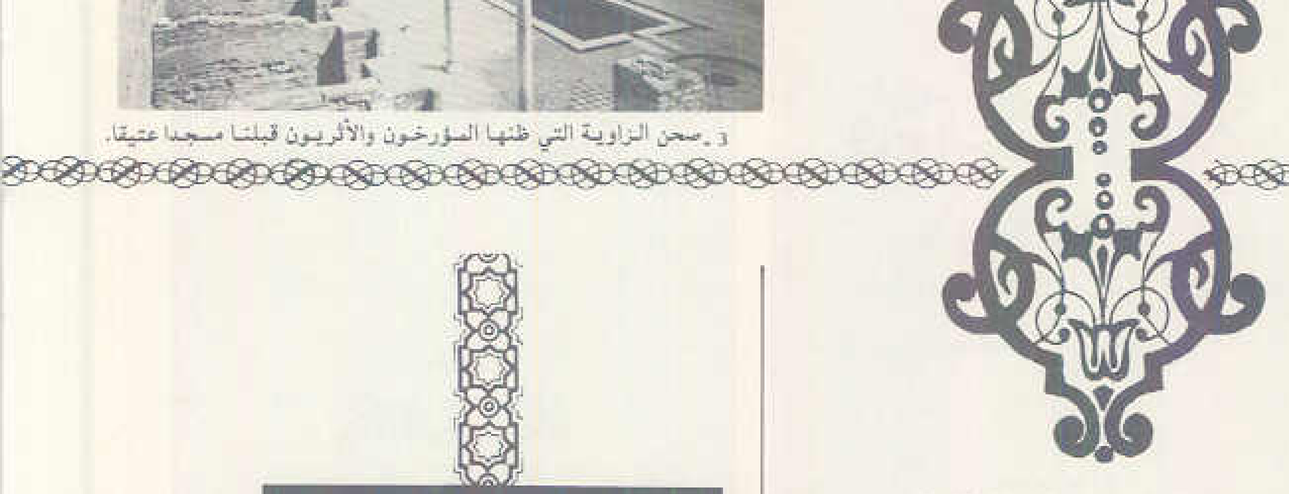


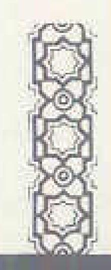


التوزيع : مكتبة الأوقاف، 5 زنقة بيروت، ساحة المامونية، الرباط



3 ـ صحن الزاوية التي ظنها المؤرخون والأثريون قبلنا مسجدا عتيقا.





بعض اكتشافاتنا الأثرية

أقدم مسجد عتيق

وبعد التقديم التاريخي بالمقال السابق، نستعرض الآن آثار الموقع ونتائج الحفائر والتنقيبات التي قمنا بها بين عامي 1959 و1963 م. ويتضح كما رأينا من اللوحة رقم (2) بالمقال السابق تخطيط أسوار شالة الإسلامية التي تضم مساحة مخمسة الأضلاع تحدد معالم شالة في عصر أبي



4 ـ اكتشافنا أثرا موحديا فوق الآثار الرومانية المكتشفة.

الحسن المريني فقط، لقد سبق أن بحث أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق عن بقعة يخصصها لدفن الملوك والمجاهدين من دولة بني مرين ورجالاتها، ذلك أنه اختار الساحة الحادثة للمدينة حيث كانت شالة تمتد في الحقيقة أسفل الأسوار المرينية الظاهرة إلى ساحل البحر المحيط منذ أيام الفينيقيين.

ويحمل مدخل شالة الكبير نقشا تأسيسيا بالخط الكوفي المضفر من عصر أبي الحسن المريني نقرأ فيه بوضوح عام التأسيس 739 هجرية، ويتضح من اللوحة رقم (1) تخطيط المسجد الذي نسبوه خطأ إلى أبي الحسن المريني وأرخوه بالقرن الثامن الهجري وهو يشتمل حاليا

للمؤرخ الأثري

الدكتور عثمان عثمان إسماعيل

2

منطقة رباط الفتح

على ثلاثة أساكيب وخمسة بلاطات، وخلف قبلته بقايا بعض الأضرحة من أبرزها قبة السلطان أبي الحسن باني الأسوار.

ويمتد في مجموع الركن الشمالي الشرقي للخلوة زاوية يتوسطها صحن حوله بيوت الطلبة ومصلى ومحراب وصومعة ظنوها سابقا مسجدا ونسبوه إلى أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.

وتوضح اللوحة رقم (4) بالمقال السابق اكتشافنا لقبر الأمير أبي الكمال تميم أمير مملكة شالة اليفرني. وتوضح اللوحة رقم (2) حفائرنا بالقبة التي نسبناها إلى السلطان أبي سعيد عثمان الذي اختلف العلماء المؤرخون والأثريون في موقع دفنه.

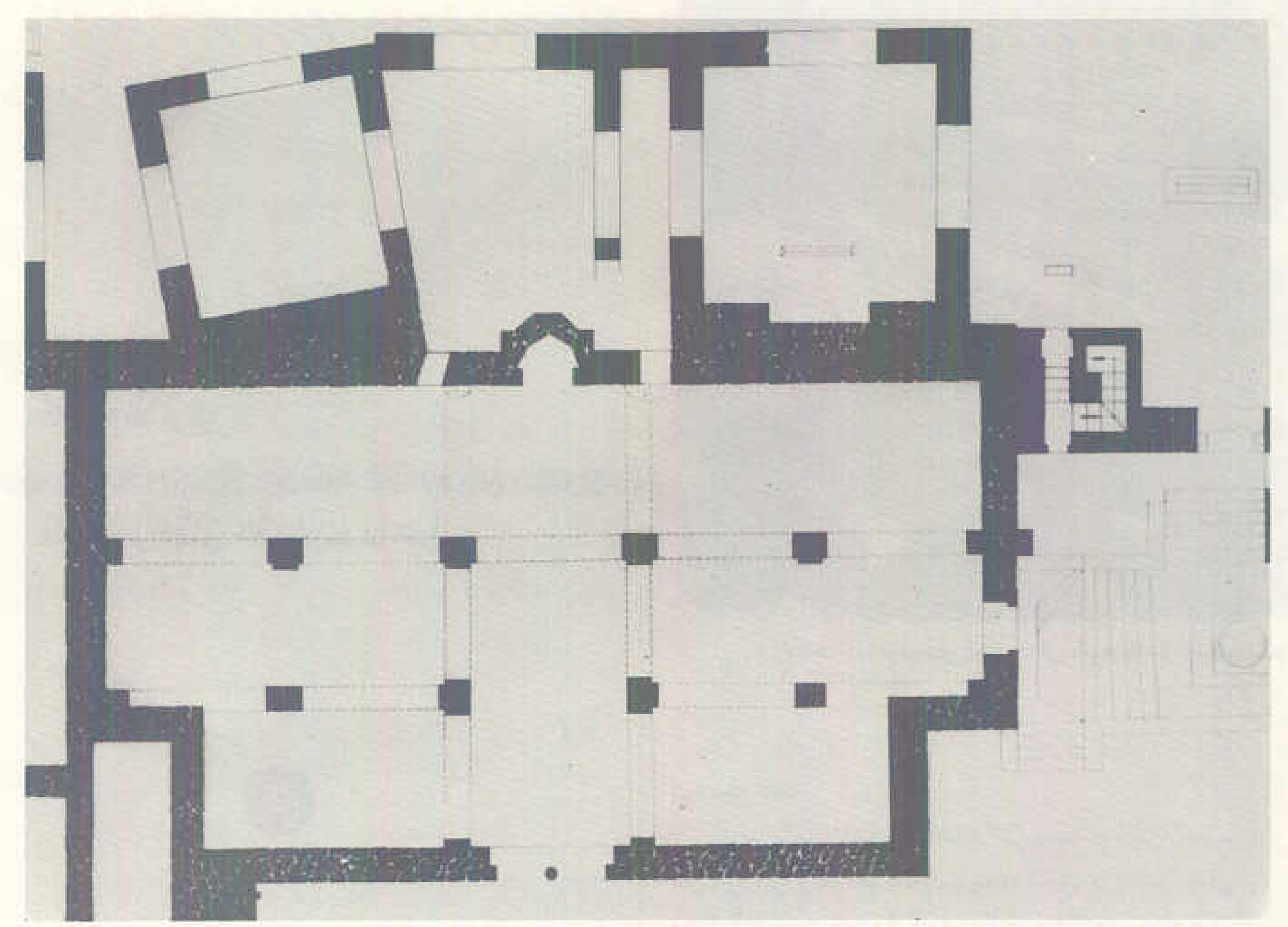


2 ـ اكتشافنا موقع دفن السلطان أبي سعيد عثمان المريني بخلوة شالة الإسلامية.

وقد واصلنا التنقيب بالقبة التي نسبناها إلى الوزير المريني أبي زيان عريف السويدي الذي وزر لثلاثة من ملوك المرينيين وبقاعة الدفن العامة وكشفنا موقع قبور شهداء موقعة طريف التي محص الله فيها المسلمين وكانت آخر سلسلة الجهاد المقدس قبيل نهاية النصف الأول من القرن الثامن أيام أبي الحسن وقد سماها الأثريون سابقا بقبة أبي العباس أحمد.

ودرسنا شاهد قبر منشوري الشكل من الرخام نسبه العلماء عربا وأجانب إلى السلطان أبي العباس أحمد وقد صححنا خطأهم في القراءة وحققنا التاريخ وكشفنا عن شخصية الأمير صاحب المقبرة وهو موضوع دراسة مفصلة بكتابينا حفائر شالة والفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

وقمنا بتخصيص دراسة موسعة لنقش التأسيس المنقوش بالزليج وكان قد عثر عليه جول بوريلي وقام المرحوم المعلم مصطفى فيلال (كما أفادني شخصيا) بإكماله وتركيبه على جدار الزاوية المذكورة بخلوة شالة. ان هذا النقش ينسب الزاوية في صراحة إلى عصر أبي سعيد عثمان



١ - تخطيط المسجد الوحيد بخلوة شالة، اسكوبان منذ عصر الأدارسة والزناتيين ثم أسكوبا مضافا متراجع الجانبين أيام المرينيين.

المريني المتوفى عام 731 هجرية وقد نشرنا دراسة حول الموضوع وصححنا الخطأ أو التزييف الذي أصاب النقش.

وتوضح اللوحة رقم (3) حقيقة البناء ووظيفته، فصحن الزاوية (المدرسة في نفس الوقت) حوله بيوت الطلبة من طابقين لازالت آثار دروجها باقية. أما صومعة الزاوية التي نسب بوجندار بناءها إلى أبي الحسن فوق قاعدة قديمة من عصر يعقوب، فإنها خلافا لما توهموا وبعد دراستنا وأبحاثنا الميدانية تبدو متجانسة البناء من الخارج، بينما بني أساسها الداخلي من حجارة غير منجورة كانت داخلة أصلا في مجموع البناء محجوبة بالملحقات، وقد كشفت أبحاثنا عن الحقيقة بأن بناء الصومعة متجانس من القاع إلى القمة ومن عصر بناء الزاوية أيام السلطان أبي سعيد والد أبي الحسن المريني.

كما واصلنا الحفر والتنقيب داخل محراب الزاوية لتمام الكشف عن تصميمه وتخطيطه والتأكد من بطلان الروايات التي زعمت بأن السلطان يعقوب المريني كان قد دفن بداخله ومن اللوحة رقم (4) يظهر اكتشافنا لأثر إسلامي قديم يرجع إلى عصر الموحدين كشفنا عنه داخل مصلى الزاوية المذكورة وعلى عمق أربعة أمتار من الأرض الحالية. وعندما واصلنا الحفر أسفل الأثر المكتشف وصلنا إلى أرضية رومانية مفروشة بالموزاييك وتأكدنا من اكتمال اكتشاف الأرضيات الإسلامية.

وهكذا فإن المسجد الذي ظنوه عتيقا ونسبوه إلى السلطان أبي يوسف يعقوب المريني كان في الحقيقة زاوية أسسها أبو سعيد عثمان المتوفى عام 731 هجرية.

أما المسجد الأعلى الذي نسبوه إلى أبي الحسن فيتضح تخطيطه العلوي (اللوحة 5) من ثلاثة أساكيب، الشمالي منها متراجع عن التخطيط شرقا وغربا. وأمكننا

التنقيب والكشف من الوصول إلى أرضية المسجد العتيق الذي أرجعناه إلى عصر الأدارسة فيما بين 213 ـ 220 هجرية أي قبل بناء جامع القرويين نفسه الذي أرست فاطمة الفهرية أم البنين قواعده عام 245 هجرية بفاس كما هو معلوم، وقد اعتمدنا في هذا التاريخ على نظام التخطيط وعناصر العمارة ومواد البناء. وكشف التنقيب أسفل أرضية المسجد العتيق عن طبقة العصر الروماني بعمارتها وفخارها ومخلفاتها. وتوضح اللوحة (1) التخطيط الجديد الذي وضعناه للمسجد العتيق الأول الذي كان مشتملا على أسكوبين اثنين فقط ثم الأسكوب الثالث المتراجع من الجانبين والمضاف في عصر الدولة المرينية أيام السلطان يعقوب بالذات. كما أن الحفر داخل الأسكوبين الأولين من جهة القبلة أسفر عن كشف أرضية المسجد الإدريسي العتيق ثم أرضية مسجد آخر فوق المسجد الإدريسي أرجعناه هو وصومعته إلى العصر الزناتي، بينما تتمشى الأرضية الأخيرة المرينية مع الأرضية الوحيدة بالأسكوب الثالث المضاف على عصر السلطان أبي يوسف يعقوب المريني. ومن اللوحة (6) تتضح لنا واجهة بيت الصلاة الأصلية بالمسجد العتيق المكتشفة بحجارتها الرومانية الكبيرة، وقد قطعت هذه الواجهة بمستوى أرضية الإضافة المرينية لبناء أرضية متجانسة لمجموع مساحة المسجد على عصر السلطان أبي يوسف المريني. وقد رجعنا إلى تفصيل عمارة وزخرفة الصومعة التي نسبناها إلى العصر الزناتي على أساس عمارتها وهندستها ومواد البناء والزخرفة وتحليلها، فأضفنا بذلك أختا ثالثة إلى الصومعتين الزناتيتين المعروفتين بالمغرب وهما صومعة جامع القرويين التي تحمل نقشا باسم أحمد بن أبي بكر الزناتي وإلى فاس من قبل بن الخير المفراوى سنة 344 للهجرة، وأختها صومعة مسجد الأندلسيين بفاس.

وإيمانا منا بمهام وظيفة الأثري الإنشائية قمنا بوضع تصميم لسقوف المسجد المتلاشية حاليا لوحة (7) كما أعددنا تصميم بناء المسجد إلى حالته الأولى مع وضع تخطيطات ورسوم وهياكل توضح عناصر بنيانه من الداخل والخارج.

على أن ظاهرة تراجع الأسكوب الثالث المكتشف التي سبق أن حيرت تيراس وباسيه وجورج مارسيه فقالوا

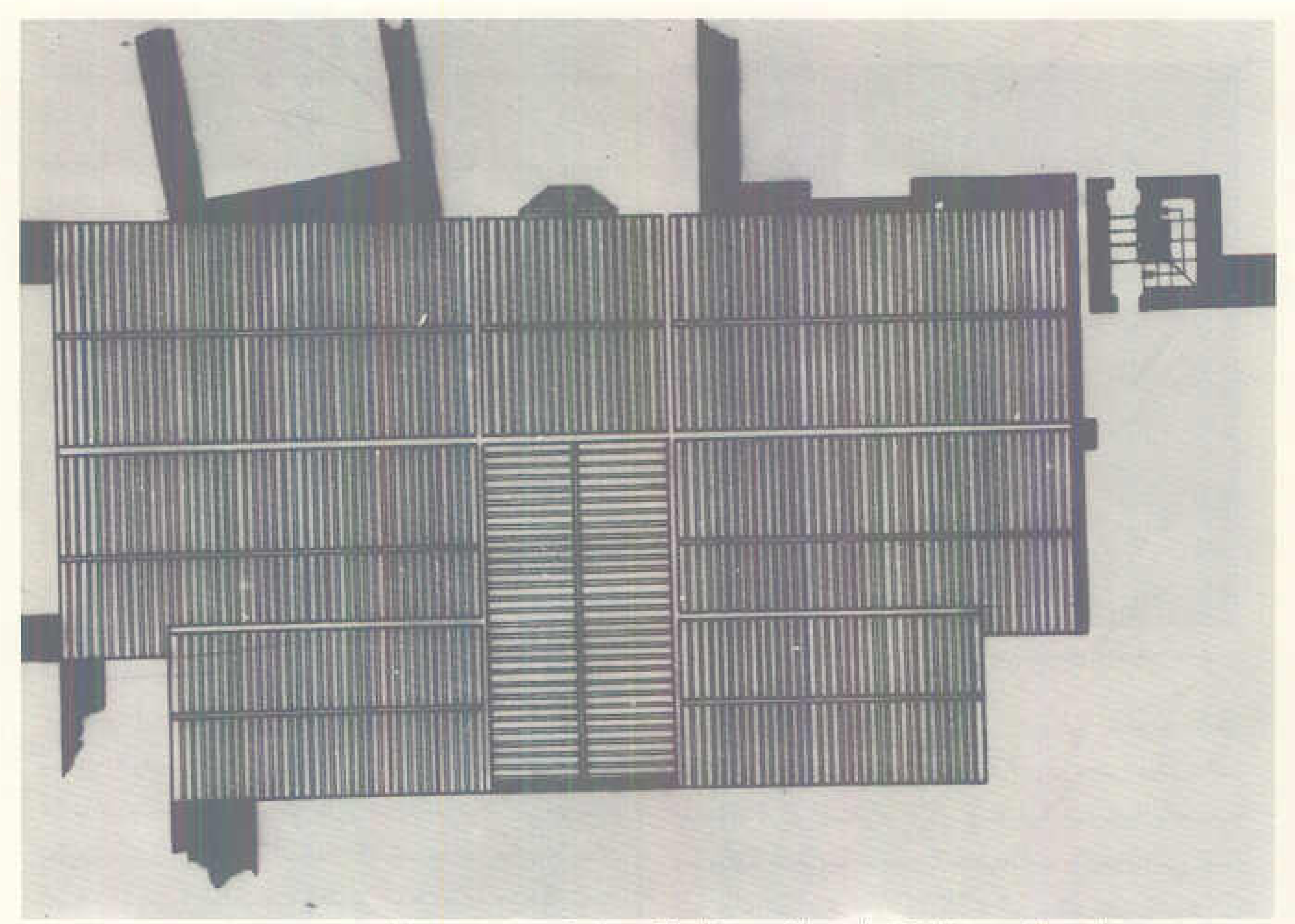


5 ـ عمارة المسجد وحالة الاسقف الراهنة ويتضح تخطيطه العلوي.

بأن بمسجد ابن صالح بمراكش تراجع في أسكوبه الأخير يذكر بمسجد أبي الحسن بشالة لا زال محيرا للآن. لقد دفعنا ذلك إلى استقراء الآثار الإسلامية الدينية والمدنية بالمملكة المغربية وحصر التخطيطات والرسوم التي تبدو فيها تلك الظاهرة. وتوصلنا بذلك إلى وضع نظرية جديدة في العمارة الأثرية المغربية تقول بأن ظاهرة القص المتماثل في العمائر الدينية والمدنية المغربية ظاهرة



6 ـ الجدار الأصلي للمسجد العتيق الذي كشفت عنه حفائرنا الأثرية.



7 ـ التصميم الذي وضعناه للاسقف بالمسجد الإدريسي ثم الزناتي بعد أن أضاف إليه المرينيون أسكوبا ثالثا، وهي من تصميمنا.

مرينية، وأن البناء المريني استمد من عناصر البنيان والتخطيط توقيعا لا سبيل إلى تبديله وتزييفه.

كما نشرنا دراسة حول جميع الأمثلة التي تعكس هذه الظاهرة حسبما يتضح على سبيل المثال من تخطيط مجموعة ابن صالح بمراكش وتفصيل تخطيط مدرسة الصهريج بفاس البالي وهي المدرسة التي أسسها أبو الحسن في حياة والده السلطان أبي سعيد عثمان فيما بين عامي 721 و773 للهجرة، وأخيرا تخطيط الجامع الكبير بالرباط الذي يرجع وجود هذه الظاهرة فيه إرجاعه إلى عصر الدولة المرينية بناء على أدلة عديدة سقناها في بحث سابق ومن بينها مواجهة المجموعة العزيزية المقابلة له. وهكذا أدت تنقيباتنا التي ناقشتها مؤتمرات رجال الآثار وعرضت تفاصيلها وخطواتها ونتائجها على أثريين متخصصين من الأجانب أقروها جميعا ونذكر منهم على سبيل المثال بوريس ماسلوف وجورج مارسيه وجاستون وفروان واسكندر ولبي والأستاذ تاراديل والدكتور أحمد فكري أشهر علماء الآثار الإسلامية من العرب.

نقول : لقد أدت هذه التنقيبات إلى وضع ترتيب تاريخي لمباني شالة الأثرية بعد أن قال مارسيه إنه من الصعب تحقيق ذلك، كما أدت حفائرنا وأبحاثنا إلى تفسير ظاهرة القص المتماثل في تخطيط العمائر الأثرية المغربية التي حيرت تراس ومارسيه وغيرهما. وقد مكنتنا تلك الحفائر أيضا من الكشف عن عدد من قبور الملوك والأمراء والأميرات والوزراء ورجال الدولة، وإلى إثبات حقيقة هامة وهي أن المسجد الوحيد بشالة أقدم من زاوية أبي سعيد عثمان التي ظنوها مسجدا عتيقا، وأن المسجد العتيق الذي اكتشفناه بشالة يرجع تاريخه الأول وتخطيطه القديم إلى عصر الأدارسة ثم الزناتيين قبل أن يخضع للتوسيع والإضافة على عصر المرينيين. وبهذا نستطيع القول بأن مسجد شالة العتيق الذي أرجعناه إلى عصر الأدارسة فيما بين 213 ـ 220 هجرية هو أقدم مسجد عتيق معروف إلى اليوم بمنطقة الرباط طالما لم يثبت البحث والكشف ما يبطل ذلك إلى الآن.

ناظر الوقف..



«الولاية الصالحة»...

الموقوف لابد أن يكون مالا، وهو بوقفه يخرج من يد مالكه عند من يرى ذلك، لذا لابد له من يد ترعاه وتتولاه، وذلك بالعمل على ابقائه صالحا ناميا، وإلا كان مالا سائبا، وهذا ممنوع، إذ لا سائبة في الإسلام لقوله تعالى : ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة، ولا وصيلة ولا حام**﴾ (1).

وهذا لا يكون إلا بولاية صالحة تحفظ الأعيان، بأمانة وتفان، وتوصل الحقوق إلى أصحابها، بلا مين وختل وخيانة، لذا، فلا يولى إلا القوي الأمين، والحفيظ العليم، والقادر النشيط، لأن الولاية مقيده بشرط النظر، وليس من النظر تولية الخائن والعاجز (2) والجاهل والظالم.

فالظلم في نظر الإسلام خيانة، والجهل خيانة، وكثيرا ما يتغلبان على النفوس الواهنة الضعيفة، فتزل قدم بعد ثبوتها، وتذوق السوء، وتزول بسببهما الأمانة.. والأمين آمن. والخائن حائن. كما يقول الزمخشري

1) سورة المائدة رقم الآية : 103، انظر عماد الدين بن كثير القرشي الدمشقي في تفسيره ص : 664 / 2.

2) «الإسعاف في أحكام الأوقاف» ص : 41، لبرهان الدين ابراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الطرابلسي (ت 902 هـ).

وبهذا المفهوم المتكامل كون النظام الإسلامي دولة ذات نموذج فريد للوظيفة العامة أو الخاصة من حيث الكفاية والطهارة وجدية الأداء، لا يحمل مسئوليتها إلا من كان قويا أمينا، لقوله تعالى : ﴿**إن خير من استاجرت القوي الأمين**﴾ (3).

لقد أكد الإسلام على أهمية الوظيفة. أية وظيفة، ومن يقوم بها، واعتبرها أمانة في عنقه يسأل عنها أمام الله... فرسول الله ﷺ يقول : «إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به، فيقال : هذا غدرة فلان... الا لا غادر أعظم من أمير عامه..» أي ليس هناك أعظم خيانة من التهاون في أمور المسلمين، فمن أسند إليه أمر من أمورهم، ولم يقم به كما يجب، فهو غادر، ويسأل عن ذلك يوم القيامة... وقوله عليه السلام : «ما وال يلي شيئا من أمور المسلمين، فيولي رجلا، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله، ورسوله والمومنين». روى الليث بن سعد عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من ولي ولاية، فأحسن فيها، أو أساء، أتى به يوم القيامة، وقد غلت يمينه إلى عنقه، فإن كان عدلا في أحكامه، أطلق من إغلاله، وجعل في ظل عرش الرحمن، وإن كان غير عدل في أحكامه، غلت شماله إلى

3) سورة القصص رقم الآية : 26.

يمينه، فيسبح في عرقه حتى يغرق في جهنم» !! فلهذا كان سيدنا عمر بن الخطاب يقول : «لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة، لخشيت أن أسأل عنها» لذلك لم يكن سيدنا عمر رضي الله عنه ينظر إلى صلاح الرجل في ذاته، ولكن إلى صلاحه للولاية والوظيفة، لذلك كان يولي الولايات ناسا، وأمامه من هو أتقى منهم، وأكثر علما، وأشد عبادة، وكان يقول : «إني لأتحرج أن استعمل الرجل، وأنا أجد أقوى منه».

لذلك كان رضي الله عنه يشترط على الولاة ما يعتبر ميثاقا ودستورا يلتزمون به أمام الناس، فإذا استعمل رجلا كتب عليه كتابا، أشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار بأنه لا يظلم أحدا في جسده، ولا في ماله، ولا يستغل منصبه لفائدة أو مصلحة له، أو لمن يلوذ به، فكان ذلك بمثابة القسم الذي يوجبه القانون على القضاة والأطباء وأمثالهم، قبل مباشرتهم العمل (4)، لقد كان عمر حريصا على أن يعلم جميع الناس مبدأه وشروطه على الولاة.. وقد خطب في جمعهم، فقال : «ولست ادع أحدا يظلم أحدا، حتى أدع خده على الأرض، وادع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق» وكان يقول للعامل بعد ذلك محددا سلطته، مبينا له حقيقة عمله : «إني لم استعملك على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولكن استعملتك لتقيم الصلاة، وتقسم بينهم، وتحكم فيهم بالعدل، ثم يشترط عليه أربعا : «ألا يركب برذونا، ولا يلبس ثوبا رقيقا، ولا يأكل نقيا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس (5)، ولا يتخذ حاجبا (6)، ولا يقبل هدية (7)»، فإذا قبل طالب الوظيف هذه الشروط كتب ماله وما يملكه... هكذا يستعمل عمر الرجال ويختارهم، ويشهد عليهم أمام الناس، وهكذا يجعل عمر الولاية مسؤولية، وخدمة عامة، لا مصدرا للرفاهية، أو بسط السلطان، أو الغلبة وقهر الناس، وهكذا لم يكن عمر، وهو العليم بطبائع البشر، يكل الحكام إلى ضمائرهم وحدها، ومن ثم وضع أمامهم رادعا قويا من العقاب الحاسم الذي لا يرتفع أحد فوقه، ولم يكن عمر بالرجل الذي يخلف وعده أو وعيده...

والإسلام الذي يحرص على حقوق العباد يضع شروطا هامة لاختيار الموظف الكفء الأمين القوي، منها الإعلان العلني عن الوظيفة، فكانت الإدارة، في المحيط الإسلامي الإداري، تعلن الشروط والمواصفات المطلوبة فيمن يرشح لولاية الوظيفة المعلنة من صفات ومؤهلات وخبرات تحتاج إليها طبيعة الوظيفة كشرط الهيبة (8) المقترنة بالتواضع الذي اشترطه سيدنا عمر رضي الله عنه حين ذكر له في إعلان له بقوله : «أريد رجلا، إذا كان في القوم، وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم، كان كأنه رجل منهم» قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي، قال : صدقتم فولاه (9)... فكان موفقا في

4) أخبار عمر : لعلي الطنطاوي، وأخيه ناجي ص : 141.
توجد عدة رسائل ملوكية في شأن القسم الذي كان يؤديه الموظفون المغاربة، وذلك كرسالة المولى عبد العزيز في شأن حلف موظفي دار النيابة بطنجة مع صيغة قسم يمين الخدمة على التحري عما هو مطلوب شرعا وعقلا... وكان الكاتب الطالب السيد الحسن الودغيري هو الذي يحضر لاستيفاء القسم في المصحف الكريم، وذلك في تاريخ 5، جمادى 1، عام 1320. كما هو موجود بكناشة قاضي الرباط وعالمه المرحوم أحمد بن محمد بناني الموجودة بالخزانة الصبيحية بسلا.
كما توجد رسالة من العزيز لقاضي تطوان باستيفائه يمين الخدمة من أمناء المرسى وعدولهم وذلك في 25 حجة عام 1322 (تاريخ تطوان للمؤرخ المرحوم محمد داود، القسم المخطوط).
وتوجد رسالة وزيرية لقاضي تطوان باستيفائه يمين الخدمة من أمناء وعدول المرسى مع صيغتين لقسم الموظفين، وقاضي تطوان هو الفقيه السيد التهامي أفيلال (تاريخ تطوان، محمد داود، القسم المخطوط).
أنظر مجموع هذه الرسائل في الجزء الثاني من «مظاهر يقظة المغرب الحديث» للأستاذ البحاثة القدير سيدي محمد المنوني الذي سيصدر قريبا إن شاء الله عن طبعة : «دار الغرب الإسلامي» بيروت.

5) الخراج، ص : 139، عيون الاخبار، ص : 53 / 1.
6) تاريخ الطبري ص : 207 / 4 «سيرة عمر» لابن الجوزي ص : 100.
7) تروى لعمر (ض) في هذا قصة طويلة، فقد كان رجل يهدي لعمر - قبل أن يتولى الخلافة - فخذ جزور، فلما أصبح خليفة، جاءه الرجل يوما بخصم، فقال : يا أمير المومنين : «أقض بيننا قضاء فصلا، كما يفصل الفخذ من سائر الجزور، قال عمر : فما زال يرددها، حتى خفت على نفسي، فقضى عليه عمر وكتب لعماله : أما بعد، فإياكم والهدايا، فإنها من الرشا... فالهدية تعدر عين الحاكم.
إذا دخلت هدية دار قاض
تطايرت الشريعة من كواها
«سيرة عمر بن الخطاب» لأبي الفرج (ت 597 هـ) تحقيق الأستاذين طاهر النعمان الحمدي، وأحمد قدري كيلاني.
8) عن ابن سيرين قال عمر : «والله لا نزعن القضاء فلانا، ولاستعملن على القضاء رجلا إذا رآه الجاهل فرقه : أي خافه... وكان يقول : أشكو إلى الله جلد الخائن، وعجز الثقة. (ابن الجوزي ص : 106).
9) «العقد الفريد للملك السعيد»، ص : 46، الإصابة ص 504 / 1 المحاسن والمساوئ ص 54 / 2.

اختياره، فأصبحت بذلك الاستشارة مع الإعلان من بين أساليب الاختيار التي طبقها الفكر الإسلامي، في تسيير الإدارة وليس من مبتكرات الفكر الإداري الحديث كما يدعي كثير من الإداريين المحدثين.

ومن شروط التولية للوظيفة، أيضا، شرط القوة والرحمة الذي أعلنه أمير المومنين عمر رضي الله عنه عندما عزل شرحبيل أحد ولاته على الشام، واختار مكانه معاوية، إذ برر عمر عزله بقوله : «ما عزلته عن سخط، ولكني أردت رجلا أقوى من رجل» ومثل ذلك قوله : «هذا الأمر لا يصلح له إلا القوي في غير عنف، واللين في غير ضعف».

وشرط الاختيار، كوسيلة للكشف عن الصالحين للولاية العامة، أمر كان يجري به العمل في صدر الإسلام، وكان من الأساليب الشائعة في دولة صدر الإسلام، وما تلاها، فمن الثابت في سيرة الرسول عليه السلام أنهم ما كانوا يشغلون وظيفة من الوظائف مهما كان شأنها قبل التثبت من عدة وسائل، أهمها : الاختبار، ويؤيد ذلك ما اشتهر من اختيار النبي الكريم معاذ بن جبل عندما أراد أن يوليه على اليمن حيث سأله، بم تحكم ؟ فأجاب : بكتاب الله، ثم سأله : فإن لم تجد ؟ فرد معاذ : بسنة رسول الله، ثم سأله : فإن لم تجد ؟ فأجاب : اجتهد رأيي، ولا آلو، فسر النبي عليه السلام، وأجاز صلاحيته للوظيفة.. ونجح في الامتحان بدرجة ممتازة جدا..

وتطور الفقه إلى ضرورة تقييد رئيس الدولة بإشراك من يقومون بامتحان المرشحين لولاية القضاء، حتى لا يقع اختياره إلا على من توفرت فيه الكفاية العلمية.

وقد قال الماوردي : «إنه لا يجوز أن يتولى من توفرت فيه الشروط الشرعية إلا بعد العلم باجتماعها فيه، إما بتقدم معرفة، أو باختبار ومسألة...

وكان ابن أكثم قاضي قضاة المتوكل يمتحن من يريدهم للقضاء؛ وأفردت الدولة العباسية موظفا خاصا لامتحان المرشحين للقضاء، وممن عين لذلك محمد بن عمران الضبي، (الخطيب البغدادي، التاريخ في ترجمة ابن عمران).

ولقد كانوا يتسامحون في كل الشروط إلا العلم والنزاهة، ولذلك قال مالك : «ما أرى خصال القضاء اليوم تجتمع في أحد، فإن اجتمع منها خصلتان، ولي القضاء، وهما العلم والورع كما في التبصرة لأبي فرحون».

هذا ما يتعلق بالوظيفة بصفة عامة، وباختصار، فما هي الإضافات الشرطية التي يجب توفرها في ناظر الوقف ؟.. وما هي الولاية ؟ وإلى كم تنقسم ؟ وما هو حق الواقف في تولية الناظر ؟.. ومن هم أحرص الناس على نماء الوقف ؟؟

الولاية على الوقف...

الولاية شرعا عرفها العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ) في التعريفات : بأنها تنفيذ القول على الغير، شاء الغير، أو أبى.

والولاية على الوقف حق مقرر شرعا على كل عين موقوفة، إذ لابد للموقوف من متول، وناظر يدير شؤونه، ويحفظ أعيانه، وهذه الولاية تنقسم إلى قسمين :

ولاية أصلية، وهي تلك التي تثبت للواقف أو للموقوف عليه أو القاضي.

وولاية فرعية، وهي التي تثبت بموجب شرط أو توكيل أو تفويض أو إيصاء.

والمالكية، في فقههم يجيزون ولاية الواقف على وقفه في حالة تسليمه الموقوف لحوزه من قبل الموقوف أو الناظر، إذا اشترط على الناظر أن يجمع غلات الوقف، ويسلمها له ليقوم بتوزيعها (10)، كما أن المالكية أجازوا للأب أن يلي الوقف على محجوره، كولده الصغير، بناء على ولايته على محجوره، وقد جاء في كلام الفقهاء عند مبطلات الوقف مانصه : «هذا إذا لم يكن على صغار ولده أو من في حجره، وأما من كان كذلك، فهو الذي يتولى حيازة وقفهم والنظر لهم، كما صرح به في المدنة» (11).

---

10) الدردير، على الشيخ خليل ص : 262 / 2.
11) «مواهب الجليل» ص : 25 / 6.

يخلص من هذا أن للواقف الحق في تولية من يشاء على الوقف، فلا يصح أن يمنع منها، وغيره يستمد الولاية عنه، كما أنه لم يصرف الولاية عن نفسه، فبقيت له حيث لا يصح أن يترك الوقف بدون ناظر يتولى شؤونه، ويحفظ أعيانه.

وقد اطبق الفقهاء على أن الموقوف عليه، لا يكون له الحق في الولاية على الوقف، مادام الواقف حيا، واشترط الولاية لنفسه، أو اشترطها لغيره، أو أوصى بها، إذ أن الواقف أحق بالنظر على وقفه من غيره لكونه هو المالك الأصلي للعين، والفقهاء يقولون في هذا الصدد : «فإن لم يجعل ناظرا، فإن كان المستحق معينا رشيدا، فهو الذي يتولى أمر الوقف، وإن كان غير رشيد، فوليه» (12).

ويعطي المالكية الموقوف عليه الحق في الولاية، بناء على أن الموقوف عليه، يملك منفعة العين الموقوفة، فإليه تعود، وبها يتصرف تصرف المالك في ملكه، فلما فقدت ولاية مالك الرقبة، أعطيت لمالك المنفعة (13).

ثم إن الموقوف عليهم أحرص من غيرهم على نماء الوقف وإدارته، والمحافظة عليه، لأنهم يشعرون أن الغلة لهم، وأن نماءه وعمارته ستعود بالربح والخير الوفير لهم، فهم لهذا يحافظون عليه محافظة المالك المطلق على ملكه، خلافا للناظر الأجنبي الذي لا يحرص على الوقف حرص مستحقيه.

وإذا مات الواقف ولم يعين ناظرا على الوقف ولا وصيا وكان الموقوف عليهم غير معينين، أو كانوا معينين إلا أنه لا يمكن حصرهم، أو كان الموقوف عليه غير آدمي كالوقف على المساجد، فللقاضي الحق في الولاية الأصلية على الوقف باتفاق.. والحاكم ولي من لا ولي له..

شروط ناظر الوقف...

يشترط فيمن يتولى النظر على الوقف، سواء كان من الواقف أو من القاضي عدة شروط :

1) **العقل :** وقد اجمع الفقهاء على شرط العقل لصحة التولية، فلا يكون الناظر مجنونا، أو فاسد التدبير، أو عديم التمييز، لأن أفعاله كلها لا يترتب عليها أثر شرعي.

2) **البلوغ :** فالولاية لا تتم إلا من المتولى البالغ ذي الرشد، لأن الصغير ممنوع من التصرف بأمواله، فكيف التصرف بأموال غيره.

3) **الأمانة :** ويشترط علماء المالكية في الناظر على الوقف أن يكون ممن يوثق في دينه وأمانته، سواء كان منصوبا من الواقف أو حسب شرطه، أو من القاضي كما في مواهب الجليل بما نصه : «النظر في الحبس لمن جعله إليه محبسه، يجعله لمن يثق في دينه وأمانته وورعه».

وفي ترجمة شمس الدين بن عدلان، أنه أفتى في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه إلا ورع.. والورع ترك الشبهات، وخالفه الشيخ الإمام، فقال : «الورع : اضطرب فيه العرف، واقله ترك الكبائر، فيكتفي فيه بظاهر العدالة» (14) وأفتى ابن عدلان، أيضا، في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه من له ولاية، فإنه يليه من له إمامة مسجد، وخالفه الشيخ الإمام لنص الشافعي : إن الإمامة ولاية في قوله : وما أكره الإمامة إلا لأنها ولاية.. وأنا أكره سائر الولايات..

والرسول عليه السلام على الرغم من صلته القوية بأبي ذر، ومعرفته بقوة إيمانه، فقد ذكر أبو ذر، كما يقول ابن زيان في الصحاح، قال : قلت يا رسول الله : ألا تستعملني ؟ قال : «فضرب بيده على منكبي، ثم قال : «يا أبا ذر : إنك ضعيف (15) !! وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة

---

12) الدردير ص : 267 / 2.

13) مواهب الجليل ص : 37 / 6.

14) «طبقات الشافعية» لابن السبكي ص : 71 / 2، ط : 2، دار المعرفة ـ لبنان، «بداية المجتهد» لابن رشد ص 502 /2، وفرق السبكي في اشتراط العدالة الباطنة بين منصوب الواقف، ومنصوب القاضي، فاشترطها في منصوب القاضي دون منصوب الواقف (مغني المحتاج، ص 393 / 2).

15) قال عمر (ض) : اعياني أهل الكوفة، إن استعملت لينا، استضعفوه، وإن استعملت عليهم شديدا شكوه، ولوددت اني وجدت قويا أمينا مسلما استعمله عليهم، فقال رجل : يا أمير المومنين : «أنا والله أدلك على الرجل القوي الأمين المسلم، فأثنى عليه... قال عمر : من هو ؟ قال : عبد الله بن عمر... قال عمر : قاتلك الله، والله ما أردت الله بها (ابن الجوزي ص : 103).

خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها...» فلا ينبغي أن يتقدم على العمل إلا من وثق بنفسه، وتعين له، وأجبره الإمام العدل عليه. وللإمام العدل إجباره إذا كان صالحا، وله أن يمتنع عنه إلا أن يتحقق أنه ليس في تلك الناحية من يصلح سواه، فلا يحل له الامتناع حينئذ لتعيين الفرض عليه كما قاله قاضي الجماعة بالبلاد الأندلسية أبو الحسن النباهي في كتاب «المرقبة العليا» كما أن الرسول عليه السلام يقول : «إنا لا نستعمل على عملنا من أراده وفي «إكمال المعلم» : اختلف العلماء في طلب الولاية مجردا، هل يجوز أو يمنع، وأما إن كان الرزق يرتزقه، أو فائد جائز يستحقه، أو لتضييع القائم بها، أو خوفه حصولها في غير مستوجبها، ونيته في إقامة الحق فيها، فذلك جائز له. ومن الحديث الصحيح : من ابتغى القضاء، واستعان عليه بالشفعاء، وكل إلى نفسه، ومن أكره عليه، أنزل الله عليه ملكا يسدده... ومنه : «من مال إلى الإمارة. وكل إليها، ومعناه : لم يعن على ما يتعاطاه، والمتعاطي أبدا، مقرون به الخذلان، فمن دعي إلى عمل، أو إمامة في الدين فقص نفسه على تلك المنزلة، وهاب أمر الله، رزقه الله المعونة...

4) **الكفاية** : ويشترط في الناظر أن يكون كفؤا، والكفاية قوة الشخصية، وقدرتها على التصرف فيما هو ناظر فيه الناظر، والولاية مقيدة بشرط النظر، وليس من النظر تولية العاجز، بل القوي الأمين، والحفيظ العليم (16)... وقد ولى عمر بن الخطاب عمار ابن ياسر الكوفة، ثم كتب أهلها إليه : إن عمارا واليهم ليس بأمير، ولا يحتمل ما فيه.. فكتب عمر إلى عمار أن اقبل.. فأقبل، ومعه جمع من الكوفة، فسألهم عمر، فقالوا : «هو والله، غير كاف، ولا مجز، ولا عالم بالسياسة، ولا يدري على م استعملته..؟ فسأله عمر أمامه عن ولايته، يريد أن يعرف مدى خبرته بها اقتصاديا وجغرافيا، فلم يجب إجابة مرضية، فعزله (17).!!

5) **الإسلام** : ويشترط فيمن يتولى النظر على الوقف الإسلام، فيجب أن يكون المتولي على الوقف مسلما، فلا يجوز تولية الكافر على الوقف عند الفقهاء، إذا كان الموقوف عليه مسلما، أو كانت الجهة جهة عامة كالمساجد والمستشفيات والرباطات وطلبة العلم، ولذا قال الإمام النووي في روضة الطالبين ما نصه : «ولا تجوز وصاية مسلم إلى ذمي، ويجوز عكسه، وتجوز وصية الذمي إلى الذمي على الأصح بشرط العدالة في دينه».

فالولاية على الوقف لا تصح إلا إذا كان المتولى مسلما، لأن الوقف تشريع إسلامي أريد به دوام الإنفاق على جهات البر والخير، ومصالح الأمة والجماعة... والكافر لا يسره أن يرى مساجد الله قائمة يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال..

فإذا توفرت هذه الشروط في شخص، وكان قادرا بنفسه أو بنائبه على إدارة شؤون الوقف، والقيام بمصالحه، كان أهلا لتولي النظر، سواء كان رجلا أو امرأة، أو غير مسلم في غير أمور العبادات، حرا، أو عبدا، بصيرا أو أعمى...

ويجب على الناظر إجراء ما يلزم لبقاء أعيان الوقف عامرة، وتنفيذ شروط الواقف الصحيحة، واستغلال المعد للاستغلال بأنجع الطرق وأصلحها، وأرخص الأثمان وأوفقها للدفاع عن الوقف، والذياذ عن حقوقه.

وطبقا للمنشور الحبسي (18) : يعتبر الناظر وحده

---

16) «مغنى المحتاج، شرح المنهاج» ص : 292 / 2، لمحمد الشربيني الخطيب (ت : 977 هـ).. وان سيدنا يوسف عليه السلام لم يقل لعزيز مصر الذي استخلصه لنفسه : «اجعلني على حفظ خزائن مصر «اني حسيب كريم»، وإن كان كما قال النبي عليه السلام : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم» ولا قال : «إني جميل مليح»، إنما قال : «إني حفيظ عليم»، فسأله المسؤولية على خزائن الأرض بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال والقرابة... («الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ص : 216 / 9).

17) «تاريخ الرسل والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : 310 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - سلسلة ذخائر العرب - دار المعارف بمصر 1963 ص : 163 - 164 / 4، «والكامل» لابن الأثير ص : 16 / 3.

18) الصادر بتاريخ : 7، ذي الحجة عام 1331 هـ. وانظر المعيار للونشريشي ص : 301 / 7.

مأذونا بالتصرف في الأحباس الموجودة بمنطقته ومكلفا بصيانتها، والمحافظة عليها، ووضع قائمة الإصلاحات اللازمة لها..

كما يجب على الناظر أن يكون كتوما في أعمال الوقف، محافظا على سرية المكاتب والأجوبة، وذلك طبقا للمنشور الوزيري (19) الذي يمنع النظار من إطلاع الغير على المكاتب والأجوبة التي تتبادلها الوزارة معهم في القضايا الحبسية.

فإذا كان الناظر خائنا، مشنوءا من طرف الموقوف عليهم، يبدر أموالهم، ولا يستثمرها في الوجوه الصالحة للتنمية والتوفير، ويستبد بما تحت يده، ويبخسهم أشياءهم، متعاليا متعجرفا، منتفخا متعاظما، فيجب تأخيره وعزله واستبداله بغيره رحمة بالموقوف عليهم..

متى يجب تأخير الناظر ؟!

في البهجة للعلامة أبي الحسن الدسولي (20) رحمه الله في باب، الحبس ما نصه : «إذا عين المحبس ناظرا، فليس له عزله، لتعلق حق المحبس عليهم، بنظره لهم حتى يثبت ما يوجب تأخيره من تقصيره وتفريطه» قاله في المعيار عن ابن لب (21)، قال : «وهذا بمنزلة مقدم القاضي على النظر في أمور المحجور أو الحبس، فلا يعزله أحد، لا القاضي الذي ولاه، ولا غيره إلا أن يثبت ما يوجب عزله، ونحوه في الوثائق المجموعة» (22). ونجد في النوازل الجديدة الكبرى المسماة بالمعيار الجديد لسيدي المهدي الوزاني (23) ما يلي : «سئلت عن ناظر الحبس ثبت بشهادة عدد كثير من العدول بغضه للمحبس عليهم ومقاطعته لهم، لم تظهر منه مصلحة ولا جلب منفعة، يبخس أكرية الحبس وغلله، ويستأصل ذلك، ويستبد به، ولا زال على ذلك مع التقاطع والعداوة للمحبس عليهم، وإن بقاءه ناظرا، هو ضرر عليهم !!

هل يجب تأخيره عن النظر في الحبس ؟ وإبداله بغيره ؟ أو لا ؟..

فأجبت.. الحمد لله وحده : حيث ثبت بالعدد الكثير من العدول أن الناظر أعلاه، لا مصلحة فيه، ولا جلب منفعة، وأنه يبخس أكرية الحبس وغلله، ويستأصل ذلك، ويستبد به، ولا زال على ما هو عليه إلى الآن، وأن بقاءه ناظرا هو من الضرر البين، فالواجب عزله وتأخيره عن النظر في ذلك الحبس والوصية فورا، إذ لا خفاء أن الناظر هو من جملة الأمناء، والأمين إذا لم يكن فيه مصلحة يعزل، فأحرى إذا كان فيه ضرر كما هنا..

وقد اجتمع في هذا الناظر على مقتضى هذه الشهادة

---

19) الصادر بتاريخ : 27 جمادى 2 عام 1336 هـ.

20) أبو الحسن علي ابن عبد السلام الدسولي قاضي فاس وتطوان الأعدل، فقيه متبحر حافظ المذهب، وحامل لوائه، جامع للعلوم، له شرح : «الشامل» في الفقه لأبي البقاء بهرام بن عبد الله الدميري في عدة أسفار، وشرح التحفة وحاشية شرح الزقاقية، وفتاو في سفرين وغيرها (ت : 1258 هـ).

21) أبو سعيد فرج بن قاسم بن لب الثعلبي شيخ شيوخ غرناطة، ومن انتهت إليه رسالة فتوى الأندلس في وقته... له تآليف مفيدة وفتاويه في المعيار وغيره ذات اعتبار، وكان بينه وبين عصريه ابن عرفة مراجعات فتاو وأحكام بين غرناطة وتونس (ت : 783 هـ).

22) أبو عبد الله محمد التاودي بسودة في هامشه على شرح التحفة ص : 219 / 2.

23) أبو عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر العمراني الوزاني المعمودي الغماري الفاسي، أحفظ أهل وقته للمذهب المالكي، تناقل الناس علومه وفتاويه والعمل بهما حتى بلغت أقصى السودان، وتواليفه متكاثرة، له المعيار الكبير في عشرة أسفار، والصغير والفتاوي، وحاشية شرح التاودي على التحفة، وأخرى على شرحه على الزقاقية كما أن له حاشية على شرح مصطلح الحديث، وأخرى على شرح : الجمل، وأخرى على شرح الأجرومية وأخرى على شرح الاستعارة، وشرحان على العمل الفاسي كبير وصغير، والثاني هو المطبوع في جزئين، وله تأليف في كراهة القبض في الصلاة، وتأليفه في إباحة ثوب الخز للرجال، وتأليف في الرد على الإمام الشيخ محمد عبده في مسألة «منع التوسل إلى الله بالأولياء والأنبياء»، وموافقته في إباحة ذبيحة الكتابي التي أفتى بها أبو السعود عبد القادر الفاسي، وحرمها أبو بكر ابن العربي، وله أيضا كتاب آخر اسماه : «بغية الطالب الراغب القاصد، في إباحة صلاة العيدين في المساجد» وقد ملأت المغرب فتاويه ودروسه وطروسه (ت : 1342 هـ) عن نحو السبعين، (انظر معجم الشيوخ ص : 48 - 51 / 2).

أمور كل منها بانفراده، يوجب عزله، فكيف بها كلها، منها :

1 - أنه سيء النظر غير مامون، وقد قال العلماء إن المحبس عليهم إذا اتفقوا على عزله، وهو بهذه الحالة فإن القاضي يعزله عنهم.

2 - تقصيره وتضييعه للحبس ببخسه لغلته.

3 - تعديه باستئصاله وأكله واستبداده به.

4 - ثبوت العداوة الدنيوية بينه وبينهم إلى غير ذلك...

قال الشيخ الرهوني في حاشيته : «هل يعزل الناظر عن الحبس ؟

- إذا ثبت تفريطه وتقصيره وتعديه فإنه يعزل مطلقا... وقد اختلف العلماء، وتباينت آراؤهم في مسألة تنحية ناظر الوقف وانعزاله، ولعل منشأ الخلاف هو اختلافهم في اشتراط قيام شروط التولية فيه وعدمها... واختلاف نظرهم في حق الواقف أو الموقوف عليه في الولاية الأصلية، ومدى حق هؤلاء في عزل من أسندوا إليهم النظر على الوقف (24).

محاسبة الناظر...

جاء في «الطرق الحكمية، في السياسة الشرعية» لابن القيم الجوزية أن النبي ﷺ كان يستوفي الحساب على عماله، فيحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي.

وقد استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللُّتْبِيَّة فلما جاء حاسبه، فقال : «هذا مالكم، وهذا هدية» فقال رسول الله ﷺ : «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول : هذا لكم، وهذا أهدي لي، فهلا جلست في بيت أبيك حتى تأتيك هديتك، إن كنت صادقا، ثم خطب ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال : «أما بعد، فإني استعمل الرجل منكم على العمل، فيأتيني، فيقول : هذا مالكم، وهذا هدية، أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا، بغير حقه إلا لقي الله عز وجل، يحمله يوم القيامة على رقبته إن كان بعيرا فله رغاء، أو بقرة فلها خوار، أو شاة «تَيْعَر» ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتَيْ إبطيه، ثم قال «اللهم هل بلغت» ثلاثا (25).

وكان الخلفاء بعده عليه السلام على طريقته في ذلك، فذكر ابن قتيبة في «عيون الأخبار» أن معاذ بن جبل قدم من اليمن بعد وفاة النبي عليه السلام على أبي بكر، فقال : «ارفع حسابك» فقال له : «احسابان ؟!..» حساب الله، وحساب عنكم، والله لا ألي لكم عملا...

ولقد كان عمر يدعو العمال، وموظفي الدولة لمحاسبتهم، ويجمعهم جميعا إلى مؤتمرات وندوات أو دورات تدريبية على غرار ما تصنع اليوم الدول والحكومات الراقية، حين تجتمع بسفرائها أو ولاتها ومدرائها لمدارسة المشاكل المطروحة، والقضايا المعلقة.

فقد كتب مرة إلى عماله أن يوافوه جميعا في موسم الحج، فوافوه، فقام. فقال : «أيها الناس، إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم، وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك، فليرفعه إلي، فو الذي نفسي بيده لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص، فقال : يا أمير المومنين : أرأيت أن كان رجل من المسلمين واليا على رعية، فأدب

---

24) «أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية» للكبيسي ص : 276 / 2، «المعيار المعرب، والجامع المقرب» للونشريسي، ص : 91 - 92 / 7، ط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

25) «الأموال» : ص : 266، «والخراج» لأبي يوسف ص : 46 - 47.
واللتبية، بضم اللام، وفي القاموس، «لتب» : وبنو لتب، بالضم، حي منهم عبد الله ابن اللتبية الصحابي واللتبية أمه...
ومنه : عمر بن اللتبية : وقيل ابن الأتبية، قيل الأول الصحيح، والأول قول ابن دريد، والثاني قول ابن الكلبي، والمعول على قوله أكثر.. («تحفة الأبيه، فيمن نسب إلى غير أبيه» لمجد الدين الفيروزباذي ص : 107، تحقيق عبد السلام هارون) وصوابه من تذكرة الحفاظ، قال : «عده الصغاني في : «نقعة الصديان في الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم» وذكره في الإصابة : 1931 باسم عبد الله.
واليعار (بضم الياء) صوت الغنم والمعزى...
والعفرة : بضم فسكون : بياض ليس بالناصع الشديد، ولكن كلون عفر الأرض، وهو وجهها.

بعضهم، إنك تقصه منه ؟ قال : «أي والذي نفسي بيده، لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه : الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم، فتكفروهم، ولا تزلوا بهم الغياض فتضيعوهم (26).

وفي الاكتفاء لسليمان الكلاعي : كان عمر في كل سنة، ملازما للحج في سني خلافته كلها، وكان من سيرته أن يأخذ عماله لموافاته لكل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك من الرعية، ويحجر عنهم الظلم، ويتعرف أحوالهم في قرب، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون فيه شكاويهم (27).

وقد يأخذك الدهش والعجب للأسماء الكبيرة من رجالات الصحابة أسد الغابة، وسهام الاصابة الذين ولاهم عمر بشروطه ومواثيقه، وتابعهم بحسابه ورجاله، ثم عزلهم أو عاقبهم أو صادر مالهم حين رأى بعض تصرفاتهم انحرافا عن العهود والمواثيق، مهما كان الانحراف ضئيلا، أو مستترا وراء رداء شرعي.

فقد أوقع عمر في كثير من وقائعه عقوبات تعزيرية، بإحراق البيت، ومصادرة المال أو بعضه.

فحين اتخذ سعد ابن أبي وقاص، بطل القادسية، وفاتح القلوب القاسية، ورمز الفتوحات الإسلامية الكبرى، قصرا بالكوفة وأغلق بابه دون الناس، أرسل إليه عمر رضي الله عنه محمد بن مسلمة (29) فأحرق باب قصره، ودفع إليه كتاب عمر، وكان فيه : «بلغني أنك بنيت قصرا، اتخذته حصنا، ويسمى (قصر سعد) وجعلت بينك وبين الناس بابا، فليس بقصرك، ولكنه قصر الخبال، انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخولهم، وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت (30).

ثم إن حساب عمر الدقيق قد أدى إلى أن يقاسم سعدا ماله !. ويعزله عن ولايته بعد ذلك، وكان عمر رضي الله عنه مبتغيا من وراء ذلك مصلحة الناس، واستقامة أمورهم وأمور ولاتهم، كما كان متبعا لأهداف التشريع الإسلامي ومقرراته، وما تدل عليه مجموع نصوصه الخاصة والعامة...

وفي عام 23 هـ استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم معه مال، فقال : «ما هذا يا عتبة ؟ قال : «مال خرجت به معي، وتجرت فيه !!» قال عمر : «وما لك تخرج المال معك في هذا الوجه ؟ فصيره عمر، في بيت المال (31).

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يستعمله عمر على البحرين، وتجتمع له اثنا عشر ألفا، فلما قدم على عمر، قال له : «يا عدو الله، وعدو المسلمين، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة : «لست بعدو الله والمسلمين، ولكني عدو من عاداهما، ولم أسرق مال الله، ولكن خيلاتنا نسلت، وعطاء تلاحق، وسهاما اجتمعت» قال أبو هريرة : «فأخذ مني عمر اثنا عشر ألفا، فلما صليت الغداة، قلت : «اللهم اغفر لعمر» (32).

ويرى بعض الفقهاء المسلمين، فيما يتصل بالعقوبات المالية التي أوقعها عمر ببعض ولاته، أن من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع أخذ جزء من المال كعقاب على خطأ أو جريمة، وعلى هذا يفسر أبو اسحاق ابراهيم بن موسى

---

26) الخراج : 138 ـ 139، والطبري 20 / 5.
الخراج لأبي يوسف ص : 66، المسند للإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر. ط : 4 دار المعارف بمصر 1954، ص 279 / 0، المصباح المنير : وأقصه من فلان، جرفه مثل جرحه.

27) التراتيب الإدارية ص : 238 / 1.

28) التعزير عقوبة على مخالفة ليس فيها حد معين يلتزم به، وكما يقول ابن فرحون فإنه لا يختص بفعل معين، ولا قول معين، فقد عزر الرسول بالهجر، (كما في قصة الثلاثة الذين خلفوا، انظر القرطبي وابن كثير) والنفي. (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ص : 212 / 2) انظر : «التعزير في الشريعة الإسلامية» للدكتور عبد العزيز عامر.

29) «شرح نهج البلاغة» ص : 177 ـ 178 / 1، لابن أبي الحديد (ت : 606 هـ) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة : 1959.

30) تاريخ الطبري ص : 47 / 4، فتوح البلدان ص : 391.

31) تاريخ الطبري ص : 220 / 4.

32) انظر «فتوح البلدان» ص 112، لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري (ت 279 هـ) تحقيق الأستاذين : عبد الله، وعمر أنيس، دار النشر للجامعيين بيروت 1957.

الشاطبي (ت : 790 هـ) (33) عمل عمر حين شاطر بعض ولاته مالهم بأنه : «لم يبتدع العقاب بأخذ المال على خلاف المألوف من الشرع، وإنما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية، وإحاطته بتوسعته. فلعله ضمن المال، فرأى شطر ماله من فوائد الولاية، فيكون استرجاعا للحق، لا عقوبة في المال، لأن هذا من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع».

لهذا تباينت آراء الفقه بعد صدر الإسلام، وعصر الصحابة في مشروعية التعزير بأخذ المال، فمنهم من يراه مشروعا... ويستدل بما فعله عمر، ومنهم من يمنعه خوف ظلم السلطان للناس بمصادرة أموالهم دون وجه حق، وقد فصل هذه القضية، وأتى بمقطع الحق فيها الدكتور عبد العزيز عامر (34).

ولقد كانت الدولة المغربية تفرض رقابة شديدة على أموال الوقف، وتحرص كل الحرص على رعايته وتنميته، وتلاحق النظار ملاحقة صارمة، وتفرض عليهم رقابة بأن تكون حساباتهم مضبوطة دقيقة، كما تتعقب كل ناظر يخيس بأمانته، ويخون ما عهد إليه، فتحاسبه حسابا عسيرا، فإذا تبين اخلاله تنبذه نبذ النواة، وتطرحه طرح القشر، وتلفظه لفظ الغثاء، لذلك كان لا يختار لهذا الوظيف السامي إلا من كان مشهودا له بالفضل والاستقامة والكفاية وأصالة الرأي، وحسن الأحدوثة ولسان الصدق حتى يتسنى لتلك الدخول المالية أن تكون نامية لفائدة الموظفين الدينيين، وتسيير شؤون المسجد، وتشجيع العلم وطلبته، وحتى تكون رغبات المحبس الواقف مستجابة ملباة...

وكانت هذه الرقابة الصارمة الحازمة الضابطة المسؤولة التي تتغيا مصالح الوقف وأمواله وثراوته تسير في خط متواز مع مواقف الدولة ومؤسساتها ومرافقها، ونظام بيت المال، والميزانية العامة... ولذلك كانت الدولة المغربية الرشيدة تسير في تنمية اقتصادها، وتطور مؤسساتها على خير ما يكون السير والنظام، وعلى أحدث الوسائل التي كانت معروفة في ذلك العهد والتي تكفل لها وللمواطن حياة هادئة مطمئنة يطرز حواشيها النعيم...

فلقد كان بيت المال أو حساب الموازنة المالية لصندوق الدولة العلوية على أتم وأضبط ما يكون، وإن من يطالع ويفحص الدفاتر التي لا تزال ناطقة بحسن النظام، وترتيب حساب الموازنة في هذا العصر والذي قبله، يدهشه ما يعثر عليه من دقتها ونظامها، ولا يكاد كثير من غير المطلعين يعرفون شيئا منها... إذ بيت المال كان عهده وعهد سلفه سائرا تحت نظام لا يختلف في شيء من أصوله ومؤساته عن نظام الموازنة المالية العصرية المعمول به.. وان قليلا من ارسال رائد النظر يدرك معه ما كانت عليه حسابات الدولة العلوية من النظام الذي ـ كما يقول ابن زيدان ـ لا أخشى أن أرده عنه من أنه لا يقل شيئا عن حساب الموازنات المالية في هذا العصر إن لم نقل إن ذلك عنا أخذ.

ولقد كان السلطان يطلع بنفسه ويراقب مراقبة دقيقة التراتيب المخزنية، وحساب الموازنة المالية، ويعلمه، ويدققه احتفاظا بحقوق الأمة، وتصرفا بالحق والعدل والنصفة في مال الدولة والرعية، واستعمالا لذلك في وجوهه الشرعية والقومية التي يصرف فيها، ومن أجلها وقعت جبايته وتحصيله.

كل ذلك يجعل في موازنة السلطان ليطلع على فصوله وبنوده ويتوخى الدقة والمراقبة التامة على جليل الأشياء وصغيرها مع إحكام النظام والحساب على نمط يشبه أحدث الطرق العصرية المستمدة من علم الحسابات ومسك الدفاتر، وفنون التجارة والاقتصاد (35).

ولقد كانت الوسيلة الوحيدة الضامنة لحفظ الأموال هي المراقبة الساهرة، والملاحقة الحافظة للمرافق العامة، والمؤسسات الكبرى، عن طريق المحاسبة الرشيدة المبصرة...

أما في النظام الوقفي، فكانت له أجهزته الحية

33) كتاب «الاعتصام» ص : 299 / 2، ط : المنار بمصر 1913.

34) «التعزير في الشريعة الإسلامية» ص : 231 ـ 234.
دار الكتاب العربي بمصر عام 1955.

35) انظر : «الاتحاف» لابن زيدان ص : 548 / 3.

الفعالة، التي ترمي إلى حفظ أعيانه وأمواله من العبث والضياع، وذلك عن طريق قسم التفتيش الذي يعمل ليل نهار لملاحقة كل خائن غادر مقصر يمد يده إلى مال الوقف، وهذا القسم ليس من مبتكرات هذا العهد. وإنما كان قائما فيما مضى، يعمل على السهر والحفظ والرعاية لمصالح الأوقاف...

يؤكد هذا ما نجده من ظهائر وتقييدات في محاسبة النظار، فهذا تقييد في محاسبة الناظر السيد الحاج الطيب المطاسي فيما دخل عليه من مستفاد المسجد الأعظم من مدينة مكناس، وأوقاف السور، ومسجد المولى اسماعيل، ومسجد الأزهر، وأوقاف المساكين، وروضة مولاي عبد الله بن أحمد عن مدة أربعة عشر شهرا، أولها المحرم فاتح 1202 وآخرها صفر من عام 1203 هـ (36).

وهذا نص ظهير رحماني فيما يتعلق بمحاسبة الأمين أبي العباس أحمد عواد السلوي حيث يقول الظهير : «خديمنا الناظر الأرضى الحاج أحمد عواد السلوي، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد، فقد وصلنا كتابك، وصحبته زمام داخل الحبس وخارجه، وعلمنا مبلغهما، فأما ما ذكرت على شان أبواب المدينة فقد جرى العمل بذلك بسلا، وغيرها، فابق ما كان، على ما كان...»، في 5، ذى القعدة عام 1252 هـ...

بل لقد كان النظار الأمناء يحرصون أنفسهم، كل الحرص على تقديم دفاتر الحسابات كلما عن لهم أمر، وذلك لتأكيد أمانتهم، كما إذا عزموا السفر إلى جهة من الجهات، أو أرادوا القصد إلى الحج حتى يريحوا ضمائرهم ويبرئوها... فهذا جواب من المولى عبد الرحمن للناظر الحاج أحمد عواد يخبره فيه بأنه وصل الكتاب مخبرا بالطاعة والامتثال لما أمره به من إصلاح ماء سلا.. ثم يقول الكتاب الرحماني : «وقد طلبت المحاسبة لتتوجه إلى الحج أنت وولدك، فقد أذنا لك في ذلك، فتلك وجهة لا يرد عنها أحد. وها نحن كتبنا لخديمنا الأمين الحاج أحمد الحداد يحضر محاسبتك مع القاضي محمد ازنيبر، وأذنا له في أعمال الكور الواقعة في مستفاد الأحباس وأمرناهما أن يعينا من يقوم مقامك.. والسلام، في 21 جمادى الأولى عام 1259 هـ (37).

وكان يشرف على أجهزة أقسام المحاسبة مفتش عام يتولى النظر في محاسبة كافة النظار بطريق مباشر، كما هو الشأن بالنسبة للسيد أحمد الطالب ابن سودة المري الذي أسندت إليه تولية النظر والتفتيشية العامة في محاسبة نظار جبل زرهون ومكناس وذلك بإقرار السلطان المولى عبد العزيز له على ذلك، ودونك لفظ الظهير، «أقررنا، بحول الله وقوته ما سكه الفقيه القاضي السيد أحمد بن سودة على ما تضمنه كتاب سيدنا المقدس الذي بيده من الإذن له في محاسبة كافة نظار مساجد ومداشر زرهون على نسق محاسبة مساجد مكناس، ومسطرتها عندهم إقرارا تاما» (38).

وكانت الدولة العلوية تحرص على الدقة في المحاسبة، ومراقبة مؤسسة الأوقاف وأجهزتها المالية بطريقة دقيقة، وملاحقه كل ناظر لتقديم حساب مدة خدمته ناظرا في الأحباس فهذا ظهير عزيزي يقول نصه : «خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد، فنأمرك أن توجه لشريف حضرتنا العالية بالله حساب مدة خدمتك بالأحباس المذكورة داخلا وخارجا مبنيا على آخر محاسبة صدر بها أمرنا الشريف إن كانت، وإلا، فمن يوم تصرفك إلى تاريخه مع بيان القدر الموفر الذي تحت يدك، كما نأمرك بأن تكون توجه لشريف أعتابنا عند استهلال المحرم من كل سنة نسخة من الحساب داخلا وخارجا مفصلا بكناش خاص والسلام (39).

على أن الناظر كان مفروضا فيه الأمانة والثقة والجدية والكفاية، كما أن الذين يسندون إليه هذه المهمة

36) «الاتحاف» ص : 351 / 3.

37) «الاتحاف» ص : 230 / 5.

38) في 25، صفر عام 1312. (الاتحاف ص : 460 / 1).

39) وذلك في 17، صفر الخير عام 1323 (الاتحاف : 442 / 1).

كانوا يتوسمون فيه هذه الخصال. لما ينعمون به من حدس وفراسة وحسن اختيار.

قــد عرفنــاك بــاختيــارك إذ كــا
ن دليـــلا على اللبيب اختيــــــاره

ولهذا قرر الفقهاء أن الناظر أمين على ما تحت يده من أموال الوقف، فإذا ثبت لهيئة المحاسبة أثناء قيامها بمحاسبة الناظر أنه قد خان هذه الأمانة، بأن ادعى خلاف الحقيقة فيما قبض من واردات الوقف، وأنفق منها، فإن لهذه الهيئة الحق في إحالة الناظر إلى حاكم التحقيق لاتخاذ الاجراآت القانونية بحقه تمهيدا لإحالته على المحاكم المختصة، ومحاكمته بجريمة خيانة الأمانة.

ومحاسبة الناظر بصفة عامة، أحكام اجتهادية، لا تستند إلى نص من كتاب أو سنة، وإنما هي آراء اقتضتها ظروف الحال، وأوجبتها متطلبات الحياة وتقلباتها، كما أن هذه المحاسبة تحال في معظم نوازلها وأحكامها إلى القواعد الخاصة بالأمناء كالأوصياء والأجراء والوكلاء.

وضبط المصاريف المتعلقة بالوقف أساسه القانوني راجع إلى الشروط التي نص عليها الواقف في وثيقة الوقف، وهي شروط تتمتع باحترام كبير في نظر الشريعة وعرف المسلمين لدرجة أنهم ينزلونها منزلة النصوص التشريعية التي لا يجوز تغييرها ولا تبديلها...

وهكذا نجد، تنفيذا لهذه الشروط، النظار في كتب الوقفيات يجددون وينفذون بدقة أوجه المصاريف المشار إليها في شروط المحبس، لذلك نراه لا يتعدى، مثلا، المقادير المخصصة لأجور الأئمة والمؤذنين والخطباء والشيوخ والمكافآت العلمية، ومنح الطلبة، وشراء الحصر والأدوات والأوراق والحبر والأقلام، وغير ذلك من وجوه البر والعرف والاحسان المنصوص عليها في الوثيقة والتي تختم في الغالب بالعبارة التالية : «من بدل أو غير، فالله حسيبه، وهو ولي الانتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»...

تحدد مسؤولية الناظر المدنية، على أساس أمانته....

الناظر أمين على ما في يده من أموال الوقف، ووكيل عن المستحقين، فلا يبخسهم أشياءهم، ولا يسطو على ما اؤتمن عليه، فإذا بدد مال الوقف، عومل قانونيا معاملة الوكيل الذي يبدد مال موكله، ولا يقبل قوله في الصرف في مصالح الوقف، أو تسليم الغلة إلى المستحقين إلا بدليل كتابي، وما دام ناظر الوقف أمينا على ما بيده من أمواله، فعلى أساس أمانته تحدد مسؤوليته المدنية، أي يعرف متى يضمن ما يهلك في يده من أموال الوقف، ومتى لا يضمن، والقاعدة العامة، ان ناظر الوقف أمين، ولولايته على أموال الوقف حدود، فإذا لم يقصر في حفظ الأمانة، ولم يتعد عليها، ولم يتجاوز في التصرف فيها حدود ولايته، لا يضمن ما يهلك في يده منها، بل إن الناظر إذا ادعى أنه صرف على الوقف مالا من ماله الخاص، صدق من غير يمين، إلا أن يكون متهما، كما في الدسوقي على الشرح الكبير، وأما إذا قصر في الحفظ أو تعدى على الأمانة، أو تصرف فيها تصرفا غير مشروع ضمن ما يهلك في يده بسبب من هذه الأسباب...

والذي جرى به العمل هو أن الناظر إذا كان موسوما بالصدق والأمانة، موصوفا بالعدل والاستقامة يكتفى منه ببيان حساب الوقف بالإجمال في مصروفه وإيراده، ويقبل قوله في الصرف على شؤون الوقف ومصالحه، وفي تسليم الريع لمستحقيه بدون سند، وبغير يمين بناء على أنه أمين، والأصل في الأمين الصدق، وبراءة الذمة (40)...

أما إذا كان الأمر على العكس، وكان الناظر مفرطا في مأموريته مقصرا في واجبه، متقاعسا متوانيا، متلاعبا بأموال الوقف، ويبذرها بغير علم ولا هدى ولا سلطان مبين، فالواجب يقضي بمحاسبته، بأن يقدم دفاتره أمام مفتشيه لينظروا فيها حتى تثبت إدانته أو براءته، وكل ذلك بالطرق المعروفة الجديدة التي تستند إلى أصول تنظيمية عصرية تدافع عن الطرفين (41)...

---

40) «المعيار المعرب» للونشريسي ص : 141 / 7.

41) المصدر السابق ص : 145 / 7، جواب البرقسطي.

وعندما يكلف الناظر بتقديم حساب الوقف مؤيدا بالدلائل الكتابية، والحجج القاطعة فيماطل في تقديمه على الوجه الذي طلب، فالقانون المصري أوجب مؤاخذتهم ماليا عن امتناعهم، وروعيت في ذلك الشدة نوعا ما لمنع التواني في تقديم الحساب، أو ما يتعلق به على أنه يجوز اعفاؤه مما أخذ به أو من بعضه إذا نفذ ما كلف به، أو أبدى عذرا مقبولا...

كيفية المحاسبة...

يرى جمهور الفقهاء أن الناظر، وهو الأمين على ما تحت يده من أموال الوقف، لا يلزم ببيان ما تحت يده من أموال الوقف، وما أنفقه منها بيانا تفصيليا، بل يكتفى منه ببيان إجمالي يبين فيه ما حصله من ريع الوقف، وما أنفقه منه، وما بقي عنده من أموال الوقف، لأن الناظر أمين على ما تحت يده، والأمانة، كما هو معلوم لدى الفقهاء، تنافي الضمان، إذ الأصل أن ذمته بريئة غير مشغوله لأحد، فلا يجب عليه تفصيل ما حصل وما أنفق...

فالناظر على الوقف إذا ادعى ضياع أموال الوقف أو تلفها بدون تقصير أو اهمال منه، قبل قوله مع يمينه، لأنه أمين على الوقف والمعهود في الأمين الصدق، ولم تقم قرينة على كذبه، ولم تثبت عليه خيانة أو ختل أو ازورار لما اؤتمن عليه...

وقد تحدث الفقهاء عن رأي المالكية في محاسبة الناظر، حيث قالوا : (42) «يفرق المالكية في محاسبة الناظر الأمين بين حالتين :

الحالة الأولى : أن يشترط على ناظر الوقف أن لا يدخل في مال الواقف أو يخرج منه شيء إلا باشهاد... فإذا كان الأمر كذلك، فإنهم يقررون : ان الناظر لا يصدق بقوله فقط، وإن كان أمينا، بل لابد من الإشهاد على الصرف والتحصيل، وذلك تنفيذا للشروط، ففي الدسوقي على الشرح الكبير (43) مانصه : «وإذا ادعى الناظر أنه صرف الغلة، صدق إن كان أمينا أيضا، ما لم يكن عليه شهود في أصل الوقف، لا يصرف إلا بمعرفتهم.

الحالة الثانية : أن لا يشترط عليه الاشهاد في الصرف، فإنه ـ والحالة هذه ـ يصدق فيما أنفقه وصرفه إن كان أمينا، ولا يلزم بحلف اليمين، إذا كان ما ادعاه يشبه ما قال وادعى، أما إذا كان ما ادعاه من الصرف لا يشبه ما قال، أو اتهمه القاضي، أو الموقوف عليهم، أو الواقف فإنه يحلف اليمين، فإن حلف اليمين برئت ذمته، وإن نكل عن اليمين ألزم بدفع ما ادعى به عليه...

ففي الدسوقي ما نصه : (44) «وإذا ادعى أنه صرف على الوقف مالا من ماله الخاص، صدق من غير يمين، إلا أن يكون متهما، فيحلف...».

وفي مواهب الجليل للرعيني، (45) ينقل الحطاب آراء فقهاء المالكية بما نصه : «قال البرزلي (46) : وسئل السيوري (47) عن إمام مسجد ومؤذنه، ومتولي جميع أموره، قام عليه محتسب بعد أعوام في غلة حوانيت له، وقال : فضلت صيغة الخروج، فقال : لا يجب على ذلك، ولو علمت أنه يجب، ولولا هو لضاع، هل يقبل قوله ؟ أم لا ؟

فأجاب : القول قوله فيما زعم أنه أخرجه إذا كان يشبه ما قال... البرزلي : وهذا إذا لم يشترط دخلا ولا خرجا إلا بإشهاد (48)...

42) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ص : 257 / 2.

43) الدسوقي على الشرح الكبير ص : 88 ـ 89 / 4.

44) المصدر السابق.

45) مواهب الجليل : ص : 40 / 6.

46) أحد الأئمة المالكية الأعلام في المغرب، إليه انتهت الفتوى في تونس (ت : 741 ـ 844).

47) أحد الأئمة المالكية في افريقية، وآخر طبقة من علماء إفريقية وخاتمة أئمة القرويين، أخذ عن أبي عمران الفاسي وأبي بكر بن عبد الرحمن وطبقتهما، وكان من الحفاظ المعدودين، يحفظ المدونة، ودواوين المذهب، انعدمت المدونة يوما من القيروان، فأملاها من حفظه وقد خالف مالكا في بعض المسائل اجتهادا منه (ت 460). (انظر ترجمته في شجرة الدر الزكية ص : 116، والفكر السامي ص : 48 / 4).

48) أحكام الوقف ص : 258 / 2.

وقد سئل سيدي عبد الله العبدوسي (49) عن كيفية المحاسبة في الأحباس... فأجاب : المحاسبة أن يجلس الناظر والقابض والشهود، وتنسخ الحوالة كلها من أول رجوع الناظر... المحاسبة وتقابل وتحقق، ويدفع كل مشاهرة أو مساهنة أو كراء أو صيف أو خريف، وجميع مستفاد الحبس حتى يصير ذلك كله نقطة واحدة ثم يقسم تخلص، ومن لا، وينظر في المصير، ولا يقبل في ذلك إلا جميع شهود الأحباس، وكذلك جميع الإجارات من لقط زيتون وآلة ونفض، ويطلب كل واحد بخطته، ومن أفسد شيئا لزمه غرمه، ومن تعدى على خطة غيره أو ضيع منها شيئا، وأخذ عليه مرتبا لزمه غرمه، ومن ضيع شئيا من ذلك من شهود الأحباس، وجب القيام به عليهم، وتعجيل ذلك، وهذا يجب على الناظر، وهو المطلوب به، وإلا فلا يجوز تركه، فإن كان تركه، كان مضيعا وإن كان ضعيفا (50)...

ومما ينبغي أن يلحق بهذا الموضوع فتاوي وقعت متفرقة في كتب الفقه ومظانه عموما، وأحباس المعيار خصوصا تتضمن حكم محاسبة الناظر واغرامه بالتفريط وعزله، وطلبته الأجرة على قيامه وما في معنى ذلك (51).

ففي المعيار، إنه سئل سيدي موسى العبدوسي من تلمسان عن ناظر الأحباس، إذا أدعى أنه أنفق في الأحباس، أو دفع لأهل المرتبات مرتباتهم ؟

فأجاب : بأنه يضمن، ولا يقبل قوله إلا بالإشهاد، لأن عرف الناس قد جرى على الإشهاد في ذلك (52).

وسئل المواق (53)، كما جاء في المعيار عن ناظر الأحباس أمضى الكراء فيها لابنه ؟..

فأجاب : الواجب أن ينظر فيه، فإن كان فيه غبن أو محابات فسخ، وكذلك الناظر في الحبس، إن أكل منه أكثر من حقه أو ضيع، فإنه ضامنه، وهكذا الحكم في كل نائب عن غيره من ناظر أو وصي على محجور.

ـ وسئل سيدي عبد الله العبدوسي عن ناظر الأوقاف إذا ظهر تفريطه، ولم يوجد إلا من هو أكثر تفريطا منه، وفي الاستغناء عن الناظر بالكلية فساد الحبس !! فهل يجوز تقديم هذا. أم لا ؟ وهل يجوز أن يشهد فيما نفذه هذا في البناء وغيره، وتسوغ الأجرة للشاهد أم لا ؟

فأجاب : يجوز التسبب في تقديمه إذا تحقق ما ذكرتم ولم يوجد من يقوم به حق قيامه تخفيفا للمفاسد، وما نفذه هذا الناظر بمقتضى الشرع جاز للشاهد أن يشهد عليه، ويأخذ ما عين له من الأجرة (54) فيه، وإلا فلا يجوز أن يشهد عليه (55).

الرباط : محمد بنعبد الله

---

49) عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي الإمام الحافظ مفتي فاس وخطيبها، وعالم الديار المغربية ومحدثها وصالحها، وهو من العبادسة بني معطي اعقاب أبي عمران موسى العبدوسي (ت : 849 هـ) ولي فتوى فاس والمغرب وخطابة القرويين كان راسخ الباع في الحفظ، والإتقان، عريق المجد والسخاء، وبيته اشتهر فضله وعلمه، وأقام العلم ورئاسته فيهم زمنا طويلا حتى في نسائهم، وآخرهم فقيهة فاس الصالحة الأحوال أم هانئ بنت محمد أخت عبد الله، وهي آخر فقهاء هذا البيت الذي رفع العلم عماده، كما أن لهذه أختا اسمها فاطمة العبدوسية يشار إليها بالفقه والدين والصلاح.. كان سيدي عبد الله يعمل الخوص خفية، ويعطيه لمن لا يعرف أنه له، يبيعه، فيتقوت منه في رمضان، له فتاو كثيرة في المعيار وغيره...
له أجوبة فقهية أجاب بها عن الأسئلة التي رفعها له القاضي محمد ابن خليفة بن صالح الصنهاجي السجلماسي، وهي بخط مغربي رائعة مجموع بالخزانة الناصرية بتامكروت رقم : 2325.
والعبادسة من مدينة مكناس، كما في «الروض الهتون» لابن غازي، ولست أدري الرابط الواصل بينهم وبين سعيد بن عبدوس الذي لقي مالكا فسمع منه الموطأ والذي كان مفتي بلده بطليطلة.
(ترتيب المدارك للقاضي عياض ص : 3/113، و4/222، ط : وزارة الأوقاف المغربية.

50) «المعيار المعرب» للونشريسي (ت 914 هـ) ص : 302 / 7.

51) انظر في موضوع عزل الناظر : «روضة الطالبين» للإمام ابن زكرياء يحيى بن شرف النووي (ت : 676 هـ) ص : 347 / 5، «وأحكام الأوقاف» لأبي بكر أحمد بن عمرو الشيباني المعروف بالخصاف (ت : 261 هـ) ص : 202 حاشية ابن عابدين ص : 532 / 5، مواهب الجليل، ص : 39 / 6، و«النفع الوسائل» ص : 121، و«الاسعاف» ص : 41 ـ 44.

52) المصدر السابق ص 300 / 184 / 207 ـ 221 / 7.

53) أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق الغرناطي، له شرح على مختصر خليل، شرحه بنقل كلام الفقهاء الذي يؤيده وما لم يجد له عاضدا سكت عنه، وقد طبع بمصر عام 1328 (ت 897).

54) يوجد كتاب بعنوان «الوجه الناضر فيما يقبضه الناظر» نسبه إلى جلال الدين السيوطي جميل العظم من «عقود الجوهر» والبغدادي في «هدية العارفين» ص : 544 / 5، وهو رسالة في ورقة حررها فيما يأخذه الناظر أجرا على حفظه غلة الوقف، وتوجد مخطوطة ضمن مجموعة دار الكتب المصرية.

55) المصدر السابق من المعيار ص : 83 / 7.

الحوالات الحبسية

مصدر أساسي للتعرف على التاريخ الحضاري للمغرب.

بقلم: الدكتور عمر الجيدي

بقدر ما يمتاز التراث المغربي بالكثرة، يمتاز بالتنوع والطرافة، ويشكل في مجموعه ثروة هائلة تعين الباحث على فهم تطور التاريخ الحضاري للمغرب، وتهديه إلى التعرف على نشأته ونموه، ورصد حركته، وتسجيل مواطن الضعف والقوة فيه، ومن ثم فإن الاكتفاء بمصدر واحد للتعرف على تاريخ المغرب وحضارته قلما يسعف الباحث بإعطاء نظرة شاملة لكتابة هذا التاريخ كتابة صافية، بل تفوته زوايا خفية وفجوات واسعة لا يستطيع أن يقول فيها شيئا، إلا إذا استند إلى الظن والتخمين والافتراضات التي غالبا ما تجمح بصاحبها إلى ركوب الوهم والخيال، ومن ثم توقعه في الخلط والخبط.

وإذا كان كل باحث يفترض فيه أن لا يستهين بالأشياء التافهة، ولا يهمل أي شيء ـ مهما تضاءلت أهميته ـ فإن الأمر بالنسبة للباحث في حركة التاريخ يصبح أكثر ضرورة، وأشد تأكيدا.

إن تراثنا الثقافي يتميز بتشعبه وتداخله، وكتابات المغاربة يطغى عليها الاستطراد والحشو، فالمؤرخ وهو يتحدث عن الوقائع والأحداث يحلو له أن يحشر أنفه في الفقه والتشريع، والفقيه وهو يقرر حكما تشريعيا يجمح به قلمه إلى الحديث عن الظواهر التاريخية والقضايا الاجتماعية والسياسية والحضارية.. وهكذا..

فلو تصفحنا مثلا كتب الفقه والنوازل والتوثيق لوجدنا فيها حقائق تاريخية في منتهى الأهمية، يستفيد منها المؤرخ استفادة جلى، قد لا تسعفه بها المصادر المتخصصة، ومن ذلك ما يسمى بالحوالات الحبسية، إذ تضمنت أشياء طريفة تتصل بتاريخ المغرب وحضارته، وتضم معلومات نادرة وقيمة لتصوير المجتمع المغربي، وتسجيل ظواهره ومختلف أحواله، لكن ما هي الحوالات الحبسية ؟ كيف نشأت وتطورت ؟ ما هي الضرورات التي دعت الناس إلى الاهتمام بها ؟ وما وجه تسميتها ؟ وما هي الحجية التي تعطاها في ميدان التشريع والقضاء ؟ حول هذه التساؤلات يدور هذا الحديث المقتضب.

والمظنون أنها سميت بالحوالات لأنها حولت إليها وثائق فردية وضمت إلى ديوان شامل لها، أو لعلها آتية من الحول بمعنى العام، لملاحظة أنها تتجدد في كل سنة في

أكثر الظروف التي مرت بها الأوقاف، كما أنها تعرض باستمرار للمراجعات والمتابعات، الأمر الذي يدل على اشتقاقها من الحول أو من التحويل، لأن وثائق التحبيس تحول وتنقل إلى هذه السجلات، وفي هذا يقول أستاذنا الجليل الباحث سيدي سعيد أعراب : «وتعرف اليوم بالحوالات الحبسية لأن وثائق التحبيس حولت ونقلت إليها، وكان كلما تجمعت أملاك وأوقاف دونها القاضي بنفسه أو أمر بعض العدول البارزين لديه بتدوينها»، ولو رحنا نتعرف على نشأة هذه الحوالات وتطورها، وكيف بدأ التفكير فيها لوجدنا أستاذنا الجليل الباحث سيدي محمد المنوني يقول : «إن أقدم المعروف منها يرتقي إلى أيام المرينيين، ثم تتكاثر تدريجيا وتكثر مع العصر العلوي» كما أن الدكتور المؤرخ النابه عبد الهادي التازي يؤكد أن أقدم ورقة ما تزال شاخصة بتاريخها المجل كتابة بخط واضح مقروء على العموم متآكلة، وهي تتضمن لائحة بالربع المستدرك الشراء عام 893 هـ، ثم حوالة عام 904 هـ، وأستاذنا الجليل سعيد أعراب يرى أن هذا التدوين مر بمراحل تبتدئ المرحلة الأولى من نحو سنة 980 هـ ـ 1012 هـ على يد القاضيين أبي العباس ابن عرضون (992 هـ) وأخيه أبي عبد الله (1012 هـ) اللذين يرجع إليهما الفضل في تنظيم هذه الأوقاف والسهر عليها، بعد أن دوناها في كنانيش خاصة وجعلاها حجة أمام المحاكم تقضى بها الحقوق.

والحوالات الوقفية لا تزال لم تدرس دراسة مفصلة، ولم يعن بها أحد ـ فيما نعلم ـ ولا تصدى لبحثها باحث، مع أنها تشكل جزءا مهما من تراثنا الثقافي المجيد.

ونظرا لأهمية الوقف في الإسلام، كان الحرص على حفظه واستمراره واجبا لا غنى عنه، فهو كما يقول شيخنا الجليل سيدي محمد المكي الناصري «تراث خالص للمسلمين تركه السلف ضمانة لاستمرار تعاليم الإسلام، ونظرا كذلك لما للأوقاف من قدسية وحرمة دينية، وكلوا أمرها إلى من يكون أكبر حارس لها، وأحرص الناس على حفظها من عوادي الزمن، وعبث الأيدي الأثيمة من أن تمتد إليها، وهكذا وكلت إلى نظر القضاة الشرعيين، وأصبحت من اختصاصاتهم، وإليهم أسند أمر حفظها وصيانتها، وكان النظار يعتبرون بمثابة نواب عن القضاة يديرون الأوقاف تحت إشرافهم ومراقبتهم الفعلية، وكانوا بذلك ملزمين أمامهم وأمام جماعة المسلمين بصرف مداخيلها طبقا لرغبات الواقفين...

ولما كثرت الأحباس وتعددت أنواعها من رباع وعقار وأموال وثمار... وخيف عليها الضياع والنسيان، أمر النظار في كل جهة من الجهات بإحصاء الأوقاف وتسجيلها في دفاتر وكنانيش خاصة ورسمية تكون وثيقة قانونية وتاريخية بين أيدي الأجيال القادمة حتى يتعرفوا بواسطتها على أملاك الأوقاف ومقاصد الواقفين، وكان من ذلك ما سمي بالحوالات الحبسية ونحن لا نعرف بالتحديد متى بدأ التفكير في تدوين هذه الحوالات واعتبارها حجة قانونية أمام المحاكم، وكل ما نعرفه أن أول من فكر في تدوين هذه الأوقاف ودونها بالفعل هو القاضي أبو العباس أحمد بن عرضون الغماري قاضي شفشاون ونواحيها المتوفى سنة 992 هـ، وإن كان أستاذنا الفاضل محمد المنوني يرجع بها إلى العصر المريني كما سبق القول.

ويغلب على الظن أن الدافع الذي دفع ابن عرضون إلى القيام بهذا العمل الجليل هو ما كان يتصف به هذا العالم من غيرة على حقوق الغير خشية أن تضيع وقد كان ذلك دأبه فيما يروى عنه في جميع الأمور، لا سيما ما تعلق منها بشؤون الدين، جاء في مقال أستاذنا الباحث سيدي سعيد أعراب ما نصه : «ويجب أن نشير هنا إلى أنه (يقصد ابن عرضون) أول من نظم الأوقاف بشمال المغرب، فقد أحصى أملاك الأوقاف الشفشاونية وما حولها من القبائل التابعة لها، ودونها بخطه في سجلات خاصة، وجعل على كل مسجد ناظرا يقوم على شؤونه ويطوف على رباعه وأملاكه، فانتظمت الأوقاف، وأدرت ريعا كثيرا، أغنى الفقراء والمحتاجين، وشجع الوعاظ والمرشدين، وساعد العلماء والمتعلمين، مما أدى إلى قيام نهضة فكرية روحية بالمدينة الراشدية»، ويقول القاضي أبو عبد الله محمد مخشان الغماري (1042 هـ) وقد تقرر ضبطه رحمه الله (يقصد ابن عرضون) للأوقاف وغيرها حتى إنه لم يدع وقفا من أوقاف

عمالته الشفشاونية حاضرة وبادية إلا دونها، وجعل عليها عاملا يطوف عليها مدة دولته احتراسا من الضياع».

وقد قدر لي أن أزور نظارة أوقاف شفشاون في صيف 1975 لأطلع على ما عمله ابن عرضون هذا بهذه الأوقاف، والخطة التي اتبعها في تسجيلها وحفظها، فاتضح لي من خلال الكنانيش التي لا تزال محفوظة بهذه النظارة لحد الآن، الجهد الطيب الذي بذله هذا العالم في تدوين هذه الدواوين.

هناك دواوين تضمنت نحو 807 صفحة تحتوي على أكثر من ألف وثيقة كلها خطها يراع ابن عرضون وهو ما بقي محفوظا منها بنظارة شفشاون وإلى الآن، ولا يبعد أن يكون ضاع منها الكثير، وهذه الدواوين تتعلق بأحباس المسجد الأعظم ومسجد أبي خنشة، منها كناشان وملحق لأحباس الجامع الأعظم، يحتوي الكناش الأول على 200 ورقة، في حين يتضمن الكناش الثاني 92 ورقة، بينما يتضمن الملحق 306 صفحة، أما ما يتعلق بمسجد أبي خنشة فهناك ديوانان الأول يقع في 28 صفحة والثاني يقع في 306 صفحة، ولنا أن نتصور مدى الدقة والضبط في عمل ابن عرضون في تدوينه لهذه الكنانيش، فهو يتثبت من الوثيقة ويتحرى في وصفها بشكل شمولي مطلق، فعندما ينتهي من كتابة الوثيقة يعقب على ذلك بقوله : «الحبس أعلاه صحيح لا يجوز بيعه... وقد حضر صاحبه» واصفا الموقوف رباعا كان أو عقارا أو ثيابا، وإن كانت الكتب يحدد اسم الكتاب وأجزاءه، وخطه، بدايته، ونهايته ومؤلفه، ونوع المادة التي احتواها... إلى غير ذلك من الأوصاف الكاشفة التي تضبط النوع الموقوف وتزيده تعريفا وتلك هي شدة عنايته رحمه الله بتحديد الأشياء وبفضل عمله هذا حفظت الأوقاف الشفشاونية.

حجية هذه الحوالات في الفقه : وإذ عرفنا وجه تسميته هذه الحوالات ونشأتها وبداية التدوين فيها، والدور الذي اضطلع به ابن عرضون في شأنها، يجدر أن نعرف أيضا حجيتها، بمعنى : هل يمكن اعتبار هذه الدواوين حجة قانونية وشرعية يعمل بها أمام المحاكم تقضى بها الحقوق وتعطاها الصبغة القانونية والشرعية ويجري بها العمل ؟

حول هذا يدور سؤال القاضي أبي عبد الله مخشان الغماري في إحدى رسائله التي وجهها إلى عالم عصره أبي حامد الفاسي يسأله عن صحة الاحتجاج بهذه الدواوين الوقفية التي دونها القاضي ابن عرضون بخط يده بعد أن اختلطت أوقاف المسجد الأعظم بمسجد أبي خنشة بمدينة شفشاون، وتعذر التفريق بينهما مما أدى إلى خصام بين ناظري المسجدين، ونورد سؤاله بكامله ـ على طوله ـ، قال مانصه : «أوقاف مسجدين، كل واحد منهما مدون بخط القاضي المبرز في العدالة والفصل، وهو سيدي أحمد بن عرضون رحمه الله، ثم إن ناظرا تولى النظر على المسجدين في زمانه فجمع أوقاف المسجدين، وجعل يصرف الغلة عليهما من غير تمييز، بل كلما احتاج المسجدان أو أحدهما يأخذ من مجموع الغلتين ثم صرف ذلك الناظر في دولة القاضي المذكور، وتولى آخر مكانه واستمر على ما استمر عليه الناظر قبله، بقية حياة سيدي أحمد المذكور، ثم مدة أخيه سيدي محمد رحمه الله، إلى قرب انقضائها، ومات الناظر الثاني والغلات مجموعة تصرف على ما ذكر، وخزن الغلات كلها في بيت في حرم أحد المسجدين طول المدة، وقدرها ما يقرب من ثلاثين سنة، ثم مات سيدي محمد رحمه الله، وجعل لكل مسجد ناظر، وأخذ ديوان كل مسجد ناظره، والجميع بخط سيدنا المذكور (يقصد أبا العباس ابن عرضون)، وقد تقرر ضبطه رحمه الله للأوقاف وغيرها، حتى إنه لم يدع وقفا من أوقاف عمالته الشفشاونية حاضرة وبادية إلا دونها، وجعل عليها عاملا يطوف عليها مدة دولته احتراسا من الضياع، ولا شك أن بعد القاضيين رحمهما الله وقع إهمال، لا سيما ما كان من أوقاف المسجدين في البوادي، وهو أكثرها، أدى الإهمال إلى دفع غلة أحد المسجدين للآخر، واشتهر في الناس أن الأحباس هي للذي كان الخزن فيه، فمن أتى بزيت أو ثمار وفاكهة، إنما يحمله لموضع الخزن، فلا يدرى تفصيل ذلك، والآن وقع الاختلاف في بعض الأوقاف، ناظر المسجد الذي كان يخزن فيه، يقول هذا إلى نظري أنا أتولاه، والآخر يقول : «هذا في ديواني بخط

الموثوق به، فلا عبرة بنسبته للذي كان الخزن به، من ذلك غلط نشأ من الإهمال وأقام ناظر الذي كان يخزن به بينة شهدت بأن هذا الوقف، وهو زيتون لا نعرفه إلا لمسجد أبي خنشة، وهو الذي كان الخزن فيه، واحتج الآخر بخط من ذكرنا، وأنه رسمه في ديوانه إلى الجامع الكبير، وأن البينة المذكورة لا تعارض الديوان المذكور، فعلى ماذا نعمل في النازلة مأجورا إن شاء الله».

فأجاب أبو حامد الفاسي بأن المرسوم في ديوان القاضي العالم العادل المتثبت الموثوق به رحمه الله، أحق بأن يعمل عليه، ولا يعارض ببينة تنسبه إلى حوز المسجد الآخر.

هذا هو سؤال القاضي مخشان وجواب أبي حامد الفاسي عنه، ولعلنا نستطيع أن نثبت من خلال السؤال والجواب أن ابن عرضون لم يكن مسبوقا في عمله هذا، إذ لو كان أحد سبقه إلى هذا العمل لما أشكل الحكم على مخشان هذا، وهو الفقيه المتمرس بالأحكام الشرعية، والمطلع على خفاياها، إذ كان قاضيا فكيف يغيب عنه ذلك ؟ وأيضا فإن جواب أبي حامد الفاسي قد يؤكد ذلك إذ لم ترد في جوابه إشارة إلى تعليل هذه الحوالات أو مقارنتها بعمل سابق مماثل، كما أنه لم يورد في ذلك أقوالا وآراء لعلماء سابقين، وفي تصورنا أنه لو اطلع على شيء من ذلك لاحتج به، ولكن كل ما أجاب به، هو أنه سلم القضية دون تعليل ولا تحديد، على خلاف العادة في أجوبة فقهاء ذلك العصر، إذ كثيرا ما كانوا يلجأون إلى إيراد نصوص مماثلة لفقهاء سابقين قصد التنظير والمقارنة اتفاقا أو اختلافا، لا سيما إذا كانت القضية ذات أهمية كهذه، ومع ذلك فإن هذا ليس إلا استنتاجا لا يقوم حجة ولا يخصص دليلا على صحة الدعوى، على أن أستاذنا الجليل سيدي سعيد اعراب استنتج من عبارة الزرهوني في نوازله ما يؤكد ذلك إذ جاء في نوازل الزرهوني «وزمام تكسير الأحباس المعبر عنه اليوم بالحوالة...».

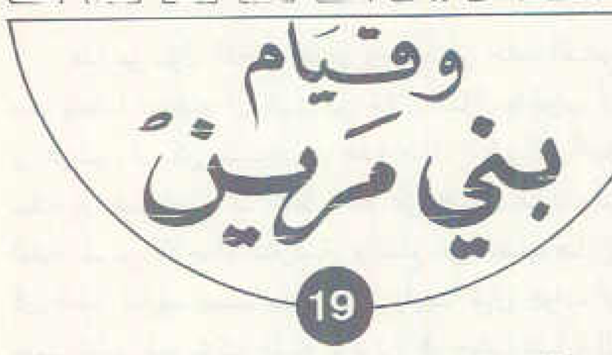
وهكذا استمر العمل على عهد القضاة الذين جاءوا بعد ابن عرضون ـ على مر العصور والأجيال ـ يحتجون بهذه الدواوين.

والقصد من هذه العجالة : هو لفت أنظار الباحثين في التراث المغربي إلى أشياء قد يستهين بها الباحث أو يحسبها بعيدة عن ميدان تخصصه مع أنها تحتوي على مادة نافعة في مختلف مجالات الفنون. وما قلناه عن الحوالات يمكن أن يقال عن النوازل بصفة عامة، وكتب التوثيق بصفة أخص، وللحديث عنها مجال آخر.

د : عمر الجيدي







الأستاذ عبد الكريم التواتي

كان الشمال الإفريقي الذي تقطنه الدول العربية الأربع الحالية : المغرب، الجزائر، تونس وليبيا مضافا إليها موريتانيا، إلى ماقبل النصف الأول من القرن الثالث عشر المسيحي، السادس والسابع الهجري يكون وحدة سياسية بإشراف الموحدين.

ولما تداعت هذه الدولة، توزعت هذه الرقعة الترابية ثلاثة اتجاهات سياسية، تبلورت في قيام المرينيين بالمغرب، وبني عبد الواد في الغرب الأوسط : الجزائر، والحفصيين في تونس والقيروان وما حاذاهما إلى حدود مصر.

أما الأندلس فقد بقي غربها تحت نفوذ بني الأحمر النصريين، بينما استولى الاسبان القسطلانيون والقشتاليون على بقية أجزائها الأخرى.

أما كيف حدث ذلك، وكيف انتثر عقد دولة الموحدين، أعز ما كانت شموخا ورفعة وتطاولا، وكيف تداعى بنيان مجدها الباذخ، وهرم عزها الشامخ، فإن عدة أسباب ـ في نظرنا ـ اجتمعت على ذلك يتلخص أهمها فيما يلي :

أولا : انهزام الموحدين في معركة العقاب،
التي حدثت قرب المكان المسمى (حصن سالم) بالأندلس والتي كانت بين أبي عبد الله محمد الناصر وبين الآد فونش ملك الاسبان، يوم الإثنين منتصف شهر صفر الخير سنة 609 هـ، والتي شهدت أشنع انهزام لأعظم جيش موحدي، كان يتألف ـ في أكثر الروايات الإسلامية تحفظا واعتدالا ـ مما لا يقل عن مائة ألف مقاتل، انهزامه أمام جيوش النصرانية الاسبانية ذلك الانهزام الفظيع والشنيع، الذي جسم عواقب انعدام التخطيط المركز، وجسم نتائج الانفراد بالرأي فيما يجب فيه الاعتماد على ذوي الاختصاص والكفاءة، ذلك أن انفراد الناصر بوضع التكتيك الحربي للموقعة في غيبة من قادة الجيش ومع الإصرار على رفض إشراك الجانب الأكثر إدراكا للمعطيات، وما يتطلبه الموقف، والأعمق فهما للمراكز الاستراتيجية للمكان، والأعظم تفهما لنفسيات الأعداء، حين لم يقبل الناصر ما أشار به الأندلسيون من تكتيك لمواجهة مخططات نصارى الاسبان الحربية لأخذهم على غرة، كما تقتضي الأساليب الحربية، ولد في نفوس جيش الناصر المغربي نوعا من

التحفظ، وولد في نفوس الأندلسيين نوعا من الشك في نجاح العملية المهيأة في غيبتهم، وبعيدا عن توجيهاتهم ودون اعتبار حتى لاستشارتهم.

ويضاف إلى كل ذلك، ما كان معروفا زمانئذ من تنافر قلوب جيش الموحدين واختلافه على قيادته، بسبب ما يحكيه المراكشي صاحب المعجب، من أن هذا الجيش على عهد يعقوب كان يأخذ العطاء في كل أربعة أشهر لا يخل ذلك من أمرهم، فأبطأ عنهم أبو عبد الله العطاء، وبالأخص في هذه الغزوة، فنسبوا ذلك للوزراء وخرجوا إلى لقاء العدو وهم كارهون. قال المراكشي : «فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفا، ولا شرعوا رمحا، ولا أخذوا شيئا من أهبة القتال، بل انهزموا دون حملة الافرنج عليهم قاصدين لذلك» المعجب صفحة 322.

إن ذلك كله، وغيره من أسباب الهزيمة التي قد لا نكون نحن اهتدينا إليها، قد ولد في الجيش الموحدي بشقيه : المغربي والأندلسي تحفظا وشكوكا بل ريبة في نجاح الحملة، وذلك الشك والتحفظ والريبة أحدث شعورا نفسانيا بعدم غناء وعدم جدوى تكتيك ومعدات الجيش الإسلامي أمام أعدائه. وهذا الشعور ولد بدوره وأحدث الخوف في نفوس هذا الجيش الموحدي مما انتهى معه إلى تلك الهزيمة الشنيعة والعار الذي لحق المسلمين في هذه الموقعة.

ولاشك أن هذه الهزيمة كانت أحد الأسباب التي عجلت بانهيار دولة الموحدين لاعتبارين اثنين :

الأول : من حيث ما نتج عنها من إصابة الناصر بجروح مميتة مع فرار أكثرية جيوشه من المعركة وما اتخذه هو من قرارات انتقامية ضد بعض القادة العسكريين متهما إياهم بعدم القيام بالواجب، بل وبنشر الروح الانهزامية في صفوف فيالقهم، ولاشك أن مثل هذه القرارات تحدث بل أحدثت آثارا سيئة لا في نفوس القادة فحسب، ولكن أيضا في نفوس جيوشهم، وربما أتباعهم وأسرهم بالدرجة الأولى.

الثاني : من حيث أن هذه الهزيمة جرأت المصطادين في الماء العكر، وكل المتربصين الدوائر بالموحدين على الانتفاضات والثورات التي كلفت الدولة كثيرا من المال والرجال، ومزيدا من التكاليف والأعباء مما زاد في ضعف قدرة الدولة على التماسك والصمود أكثر، وجرأت تلك الهزيمة - من جهة أخرى - الاسبان على متابعة ضغوطهم ومهاجمة المسلمين وجيشهم المنهزم، وفي مركز لم يكن قبل ذلك مما يتطاولون إليه.

ثاني أسباب انهيار الموحدين - وهو من نتاج معركة العقاب المباشر - وفاة الخليفة الناصر التي وقعت يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة 610 هـ متأثرا بجراحه التي أصيب بها في تلك المعركة، مع ما صاحبها من الآثار النفسية الناشئة عن إحساسه العميق بالغم والكمد من هزيمته، حتى لقد قيل إن وفاته كانت بإصابته بالسكتة القلبية، بسبب ورم نتأ في دماغه. وتذهب روايات أخرى - في سبب وفاته - إلى أن عبيده أصابوه خطأ، وهم يقومون بتنفيذ تعليماته وأوامره التي كان أصدرها، والتي كانت تقضي بإباحة دم كل من ظهر بالليل، وحدثت وفاته حين هم هو أن يتجول ليلا ليقف بنفسه على مدى تقيد الحرس بتعليماته، قالت الرواية : وحين هاجموه بالرمي أخذ يصيح فيهم أن توقفوا أنا الخليفة، أنا الخليفة، ولكن الحراس كانوا قد فقدوا السيطرة على أسلحتهم التي رشقت الخليفة وحولته إلى خبر كان.

ولاشك أن هذه الوفاة - بعد تلك الهزيمة وقبل التآم جراحها، وقبل رأب الصدع الذي أحدثته في مختلف القطاعات الشعبية - كانت ضربة قاضية لما كانت تتمتع به شرائح المجتمع من استقرار، ثم هي في نفس الوقت أحدثت فراغا هائلا ومهولا في مركز رئاسة الدولة، مما شجع الانتهازيين والوصوليين على محاولة استغلاله والاستفادة مما هيأه من فوضى وعدم استقرار، إما بالوثوب على هذا المركز وتمزيق وحدة الدولة، وهذا ما اغتنمه وباشره عمليا حفدة أبي حفص الهنتاتي حين بادروا إلى تكوين دولة الحفصيين بتونس، على أنقاض الوجود الموحدي هناك، كما همت قيادات أخرى بذلك بما أثارت

من انتقاض كالذي شبَّهُ بنو عبد الواد في الجزائر والذي تمكنوا بواسطته من تأسيس دويلة لهم بالمغرب الأوسط.

وإما بتضعيف مركز دولة الموحدين ـ في المغرب نفسه وفي منطلق الدولة ذاته ـ عن طريق إقامة دمية بشرية تحرك من الخلف، وهذا ما ارتأته، بل ونفذته بطانة الناصر الذي قضى، حين اختارت لخلافته ابنه الصبي الذي كان دون بلوغ، ليتمكنوا بذلك من التحكم في شؤون الدولة وتحريك دواليبها لصالحهم دون عامة الرعايا، وإن يكن هذا التحريك من وراء ستار.

فكان هذا التهافت في القمة، والهلهلة في الحكم، والتفكك للوحدة الوطنية، مما أغرق البلاد في أتون من الاضطرابات والفوضى، وعرض الموحدين لاجتياز نفس المحن التي أذاقوها لأسلافهم المرابطين، وكما يدين الفتى يدان.

ثالث أسباب انهيار الموحدين : التفسخ والانحلال الأخلاقيان، مع ما صاحبهما من انتشار الرشاوي واستغلال الظروف المتقلقلة، مما أدى إلى عدم الاستقرار الداخلي وإلى الاضطراب السياسي، وانقطاع الميرة، وانتشار الأمراض ومختلف الأوبئة النفسية والاجتماعية. ولاشك أن هذه الأوبئة متى تفشت أوجدت لنفسها التربة الصالحة لتوالدها، وما كان في مثل هذه الحالة أن تتمكن أقوى الدول أو تستطيع أن تجتازها بسلامة أو أن تتغلب على مخلفاتها بيسر، فكيف بالدولة التي كان سوس الانهزامية قد بدأ ينخرها، ويسيطر على أهم قطاع فيها أي الجيش أن تتحاشى نتائجها السيئة.

وفي هذا الجو المشحون بالتناقضات، بسبب ما أشرنا إليه من انعدام المركزية الواعية، وانعدام القيادة الحكيمة الرشيدة، وبسبب تحلل كل الناس في المجتمع الذي يكونه، من أخلاقية ما، إلا ما يحقق الأطماع الدنيوية الآنية والشخصية، ويوصل إلى الإثراء السريع بأي طريق أو سبيل، ويجمح بها إلى الرغبة المطلقة في الحكم، أقول في هذا الجو كانت هناك ـ في جنوب المغرب ـ جماعات زناتية صحراوية، تنتجع المشرب والكلأ، وتنشد الخصب والمرعى حينما قدرت وجدانه في تلك الصحراء الشاسعة الأطراف المترامية الآفاق، كانت تضرب في تخوم تلك الأصقاع بحثا عن الغدن والمربع، وكانت اعتادت ـ في نفس الوقت، ومتى أعوزها المرعى في صحرائها ـ أن تنتجع المغرب، قاصدة مراعيه الخصبة، وأنهاره المتدفقة، وعيونه الثرة، وسماحة وكرم بنيه الأنجاد الميامين.

ولم تكن تلك القبيلة الصحراوية الزناتية سوى قبيلة عبد الحق المريني رأس الدولة المرينية، وأول ملوكها العظام، وموجهها الروحي والاجتماعي، ومؤسس وجودها السياسي، فقد صادف أن حلت هذه الجماعات الزناتية قصد ما اعتادته من انتجاع وطلب مرعى بالمغرب، سنة حلت بالموحدين كارثة العقاب، التي فتحت ـ كما قلنا ـ أبواب الفوضى على مصاريعها، وأمدت مريدي الفتنة والانتهازيين بالظروف المناسبة لمباشرة تجاربهم، وتنفيذ مخططاتهم الإجرامية، وهكذا شهرت معاول الهدم على الموحدين تنتقص أطراف سلطانهم، مما أغرق البلاد كلها في حروب اطماعية ـ إن صح التعبير ـ وشغل الناس عن التفكير في غير ما يحقق هذه الأطماع، فإذا الفوضى الاجتماعية تضرب أطنابها على البلاد، وتشغل المسؤولين عن تتبع حركات الرعايا بالرقابة التي تقتضيها الحيطة، والكون على أهبة الاستعداد لمواجهة كل طارئ.

ويبدو أن تلك الجماعات الزناتية برئاسة عبد الحق المريني استمرأت الاستيطان النهائي بالمغرب، مستغلة اللا مسؤولية واللا مبالاة اللتين كانتا تفشتا في كل أجهزة الموحدين، للتدخل في توجيه الأحداث لصالحها، وراء شعار : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البداية، هذا الشعار الذي تسترت ـ وتتستر ـ وراءه كثير من الحركات السياسية والاجتماعية في البلدان العربية والإسلامية وفي مختلف الميادين والأزمنة والأمكنة.

ويبدو كذلك أن مما أعان هذه الجماعات الزناتية على توطيد مركزها الديني، الذي هو وحده المركز المقدر





قديما وحديثا في المجتمعات الصحراوية التي كانت تخيم هناك، أمران :

الأول : ما كانت تتمتع به من شبه استقلال ذاتي عن سلطة الموحدين المركزية، ضرورة إقامتها طويلا في تخوم الصحراء مما جعلها تبقى محتفظة بقيمها الروحية بعيدة عن مضاعفات الحضارة التي تصيب ميادين الأخلاق والدين بالشلل متى لم يحسن استعمالها.

الثاني : شخصية رئيسها عبد الحق الذي كان يتمتع بنفوذ كبير على مختلف عشائر هذه القبيلة، بما اشتهر عنه من تقوى وصلاح دين، وذود عن صالح العشيرة.

فكان أن اكتشف بحكم واقعه ذاك أن من الممكن أن يكون رجل الساعة وصاحب الموقف، فجرب أن يستغل مركزه ذاك ـ في البداية ـ لمجاذبة الموحدين حبل السلطة في تلك الأنحاء القاصية عن مركز تلك السلطة.

وإذا كان الموحدون ـ وكما أشرنا قبل ـ قد نخر سوس الأطماع نظامهم، وزعزعت الانقسامات الداخلية المثارة من أجل الاستحواذ على السلطة جذور أركانهم، فقد تمكن الزناتيون بقيادة عبد الحق هذا، أن يكونوا لأنفسهم داخل الأراضي المغربية التي كانوا اتخذوها مرعى ومنتجعا ثم مقاما وطنيا أن يكونوا وجودا، وأن يبسطوا نفوذهم على معظم جنوب البلاد، بحيث لم يقض عبد الحق، زعيم هذه الجماعات وينتقل إلى عفو الله، ولم تفض روحه حتى كان قد وطد لأبنائه الأربعة : أبي سعيد عثمان، وأبي معرق محمد، وأبي بكر،ويعقوب، أكناف سلطان بدأت ترفرف أعلامه على أجزاء مهمة من جنوب المغرب، وتخفق ألوية دعوته في كثير من المجتمعات، بل وكون لهم قوة يخشى بأسها، ويحسب لها ألف حساب، الشيء الذي شجع أولئك الأبناء على مواصلة ما بدأه أبوهم من مناجزة الموحدين ومنازعتهم السلطان، بل ومحاولة التطويح بنفوذهم كلية وبالمرة للإحلال محلهم.

وأخيرا، وفي موقعة المشعلة التي حدثت سنة 674 هـ تمكن أولئك الأبناء المرينيون من الموحدين واستأصلوا شأفتهم وضعضعوا كيانهم، وأفقدوهم القدرة على الاستمرار في النضال حتى أدخلوا وجودهم بأسره في خبر كان.

ثم كان تحقق ذلك عمليا وتمامه على يد يعقوب بن عبد الحق وبقيادته وامرته، مما استحق معه أن يتوج نفسه ـ بعد هذه المعركة ـ سلطانا على المغرب ويلقب بالمنصور.

وقد واصل النضال المستميت والكفاح المرير حتى أفقد الموحدين كل قدرة على التحرك، حتى انتهى أمره إلى تحقيق انتصاره نهائيا، وهكذا استتب الأمر لهذه الجماعات الزناتية الصحراوية المرينية، وكونت لنفسها ملكا وسلطانا حمل اسم (دولة المرينيين)،وكان له ما سنراه من آثار ومخلفات في مختلف ميادين الحياة، وبالأخص في مجال الفكر والثقافة بصفة عامة، وفي مجال الأدب والشعر بصفة خاصة.

ولكن قبل التعرض لهذه المجالات الفكرية والثقافية نرى أن نعرض أولا نقاطا خمسا، تتصل بما حيك حول عروبة هذه الدولة ـ وحول اتجاهها الديني العام ـ ثم سياستهم الداخلية ـ فسياستهم الخارجية ـ ثم علاقتهم بافريقيا والشرق الإسلامي، وهذا ما سنحاول إلقاء اضواء عليه فيما بعد إن شاء الله.

للحديث صلة

فاس : عبد الكريم التواتي



أثر التناقض في حياة المجتمع

للأستاذ
الحسن السائح

استطاع سينسر أن يوضح في كتابه (أصول البيولوجيا) وأصول علم النفس، كيف تقدمت الحياة بفعل المواءمة المستمرة بين العلاقات الداخلية في الكائن الحي والعلاقات الخارجية في عناصر البيئة.

ويرى في كتابه (أصول علم الاجتماع) أنه كلما تطور المجتمع انفصل الفرد عن الكيان الاجتماعي وازداد حرية.

وفي تطور الأخلاق يرى أنها تطورت نحو التوفيق بين حقوق الفرد والجماعة وألح سينسر إلى مبدأ العودة إلى الطبيعة والعناية بالجسد والصحة، وإشاعة الروح العلمية وتوجيه الأفكار إلى قوانين التطور الفكري والنفسي، والتربية الذاتية.

وقد عدل مذهب سينسر جون ستيوارت 1873 ـ 1806 الذي عاد إلى مذهب الرازي في فلسفته Emergement et Evolution والذي قال بأن التطور الانبثاقي والتركيب المنتخب كيمياء عقلية (أي أن امتزاج الأفكار تنشأ عنه أطوار فكرية جديدة لم تكن واضحة في الأفكار المتعددة قبل امتزاجها).

وجاء ليود مورجان Leoyd Margan فحاول تعديل مذهب سينسر الذي قال بالارتقاء في عالم العضوية وغير العضوية، وأنه ارتقاء البساطة إلى التركيب، ومن التشاكل إلى التنوع، وبأن الله تعالى هو الوجود المطلق الذي يتجلى في الوجود المشهود والعقل الإنساني (آخر مثال) وصل إليه الوجود في التجلي.

وأكد مورجان أن الانتقال يجب أن يحتوي شيئا جديدا. والتركيب الجديد يبرز خصائص كانت مكنونة،

وهذه الخصائص نفسية وحيوية تعلو وتبرز بعد الخفاء، ويرى أن درجات الارتقاء تكون في المادة في إخلاطها الكمية والكيمائية، ثم في الحياة ثم في العقل. فلكل ذرة عقل. ولذلك يجوز أن تقول عقل الشجرة، لأنها لا تخلو من عنصر العقل المحرك والمدبر وهو بالنسبة للشجرة في حالة النزارةالتي تكفيها للحياة وضبط قوانين نموها ﴿**وإن شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ أما الذي يخرج الأطوار ويبرر العقل ويحله فهو المدير الأول، وبجانب هذا الفيلسوف جاء حموئيل اسكندر 1855 الذي عدل التطور وقال بأنه في المادة صورة عن الزمكانية فليس الزمان عدما إذا انعزل عن المكان ولا يمكن ذلك، وتجمع الزمان والمكان هو الحركة وهي أصل المادة وأصل جميع الموجودات ومن الانبثاقيين من يجمع بين مذهب التطور ومذهب هيجل ذلك لأن هيجل يرى أن الله هو الوجود المطلق الذي يتمثل في حدود الوجود المشهود والعقل الإنساني آخر مثال وصل إليه الوجود في هذا التجلي فهو أرفع مثال. والمادة ومظهرها نشأت عن الكون المؤلف من الزمان والمكان، وإذا فطبقات المادة ذات الخصائص الأولية (والحجم والشكل والعدد والحركة) ثم خصائص الأعراض (اللون، والصوت، والرائحة ودرجة الحرارة). وهذا التركيب هو نظام، وكلمة نظام يستلزم منظما.

ومن الانبثاقيين من يرى أن الكون كله كيان عضوي كالبنية الحية في تركيب أجزائه، والكون يتجلى في حوادث لا في أشياء، لأنها تتجدد باستمرار.

وتوضيحا لفلسفة الوجود والعدم في الفلسفة الإسلامية وعلاقتها بالتطور والصيرورة حسب أصول الثقافة الإسلامية نجد هذه الفلسفة ترى :

أن جميع القضايا، وجميع الأفكار، وجميع الآراء والنظريات، فيها جوانب السلب وجوانب الإيجاب، سواء في المفاهيم والمنظورات الفكرية أو في التعابير اللغوية. فجملة زيد ليس واقفا هي زيد جالس، فالإيجاب والسلب متواجدان حتى في التعبير اللغوي، وإذا فالوجود والعدم بينهما ترابط وعلاقة، أي سلب الربط وربط السلب، فمصداق السلب ومصداق الإيجاب واحد، والمقابلة بينهما تولد الصيرورة أي التدرج والسيلان، أو ما عبر عنه برجسون بالوجود السيال وهو يعنى بالفكر السيال في أن يكون وجودا مستمرا.

والإسلام يرفض المنهجية الجدلية الماركسية التي تصور الحياة الإنسانية في صراع تراه أساس الحركة والتغيير والتطور على أنها توافق حين تكون نسفا بين العلاقات البعيدة عن التناقض... وتدخل (النص) باستمرار يكبح الغرائز العدوانية لتحل محلها الانصياع لصوت الوحي الذي هو صوت مصلحة الأمة جمعاء بينما ترى الماركسية في النزعة الغرائزية محركا أساسيا للتطور والتغير.

وكذلك يرفض الإسلام أن يسمى مفهوم عمل العامل إذا اشتغل مع غيره استغلالا لجهود العامل متى ضمنت له حقوقه.

وضع مفهوم خارجي لما يحدده الفكر ولو لم يكن هذا المفهوم موجودا بل ولو لم يكن قابلا للفهم، وإنما يكفي أن يحدد عقليا ويخطط لإبرازه، وتكون النتيجة أن العمل الناتج عن التفكير قد يكون خياليا غير ممكن الوقوع، يضطر الفكر إلى خداع نفسه بخلق صور موهومة.

لقد كان أرسطو أول فيلسوف ميز ذاته عن الخارج وكان أفلاطون المبرز لعالم المثل خارج الذات، ولقد كانت الفلسفة اليونانية رائدة الفصل بين الذات والوضوح والحقيقة والحياة، وبذلك وضعت أسلوبا للتفكير بينما كانت الأديان تضع أسلوبا للحياة.

إن المجتمع الإسلامي حين يستخدم هذه المحاور بوعي لا تخطئه العناية الإلهية، وحتى أشد الفلاسفة إمعانا في العقلانية مثل (كلود برنارد) يقول : بوجود فكرة موجهة في الطبيعة، وهي (العناية الإلهية كما يسميها الإسلام) وهذه الفكرة مسؤولة عن التكامل والانسجام بين الأعضاء التي تقوم بالوظائف كيفما كانت وكأنها قوانين في الفيزياء والكمياء.

كما يؤكد (برجسون) على وجود مبدأ حيوي وقوة اختراع خاصة بالطبيعة تتجلى في الأجهزة المسؤولة عن استمرار الكائن الحي وهذا ما جعل الغائيين لا يقولون بأن الحياة صدفة ومجرد تفاعل كيميائي فزيائي. بل لابد من الغاية والاستعانة بها في كل نظام ولابد من هدف لكل

جهاز وكما يقول الله تعالى : ﴿**وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾. وكما يقول Lachelier إن فكرة الكل المحيط سبقت الجزء... والغاية قد تكون في ذاتية العضو وقد تكون خارجية، وهي أي الغاية للاستمرار والإبداع الكوني وهي القدر الإلهي، والقوة الحيوية وهي التي عبر عنها القرآن الكريم : ﴿**وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾. لأن النظرة الإسلامية لضرورة العمل قبل كل شيء فالعمل كفاية وليس باستغلال، فلا يوجد استيلاب لا للعمل ولا للمال.

والإسلام كذلك لا يوافق الماركسية في تحليلاتها للموضوع إيديولوجيا... فالإيديولوجيا عائق إبستمولوجي فالتجربة Empirisme سواء في العلوم أو في الفكر العلمي يجب أن تنطلق من الواقع المحسوس، لا من البنية الفوقية ليتأتى الدخول في البنية الداخلية للظاهرة، فمثلا يرى الماركسيون في تعبير التطور الاقتصادي بأن فائض القيمة Plus Value نتاج طبيعي لترويج رأسمال رب العمل... فهكذا يبدو في الظاهرة وتأتي الايديولوجية لتصوغ من هذه الظاهرة مفاهيمها العلمية، ولكن التحليل العميق لميكانزم العمل في إطار النمط الرأسمالي للإنتاج (في نظر ماركس) هو نتاج لعملية وعلاقة غير ملموسة بين قوة العمل وراء مجهود العامل وما يتقاضاه والذي لا يمثل إلا نسبة بسيطة مما يستحقه والفرق بين ما يتقاضاه العامل وما يبذله هو فائض القيمة وهو السر في تراكم الرأسمال وعند التدقيق نلاحظ أننا لا نصل بهذه الطريقة إلى حقائق موضوعية لأن التجربة تعوقنا عن الوصول إلى العلاقات الحقيقية الظاهرة، ولهذا فإن (لويس التوسير) يرى أن ماركس هو في الواقع من رواد المنهج البنيوي، وان تحليل ماركس بعيد عن كل نزعة تجريبية وأن لا علاقة له بالاعتبارات الإيديولوجية. بل إن ماركس بعيد عن كل نزعة تجريبية أو تاريخية أو إنسانية. وقد صدر التوسير كتابه (دفاعا عن ماركس) و(إقرأ رأسمال) التوازن بين المحاور (العدل).

المحاور مترابطة بينها ارتباطا بنيويا، لتكون شخصية متماسكة قوية ومجتمعا مسلما متراصا فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وإذا كانت البنيوية المعاصرة تفرق في التحليل (الأفقي سانكرونك) والتحليل العمودي (دياكرونك) فالإسلام يؤكد عليهما جميعا ويلاحم بين التحليلين معا ليحقق التعادل. ولهذا يرى في التاريخ عاملا لا يجوز إغفاله ولكن لا يجوز الاعتماد عليه كليا، فليس الإسلام كالبنيوية التي ترى التاريخ عائقا ابستمولوجيا بينما يؤكد الإسلام على أثره في التحليل دون السقوط في التحليل الوهمي (الرجم بالغيب).

إن العدل والتعادل أساسي في الربط بين مختلف أجزاء البنية، ولقد توصل أنصار الحركة الربطية أو السيكولوجية الربطية إلى وضع قوانين الترابط التي تحكم الحياة النفسية كالترابط بالاقتران والتضاد وتؤكد المدرسة الربطية على أهمية الوظيفة والدور دون الاهتمام بالزمان سواء الماضي أو المستقبلي، بل بالعلاقات بالوظائف الاجتماعية حيث تشكل منها كلا متوازنا. أو ما سماه الإسلام بالعدل، فإذا اختلت العناصر اختل التوازن وفي التوازن الوضع الطبيعي للمجتمع واختلاله (Diofouctros) تغير اجتماعي واصطدامات يجوز وقوعها واحتمالها إلا أنها ليست ضرورية.

فالمجتمع بناء ونظام ووظيفة، وفساده في عدم التوازن أو التأويل على خلاف ما يفسره الرأي العام، والتأويل سواء كان مثاليا أو ميتافزيقيا هو تغيير للطاقة المسيرة. وعلى هذا فإن الماديين يرون أن الظواهر لا يمكن معرفتها بأسبابها بل بغاياتها وأهدافها ويقول الفيلسوف العقلاني (كلود برنار) : إن تعدد الظواهر البيولوجية دليل على وجود فكرة موجهة في الطبيعة ومنبهة والقوانين تصدر عن هذه القوة التي بها قوة الخلق الكامنة.

البنية الفردية :

المجتمع بنيات متعددة، تنظم بالمؤسسات المختلفة أما الفرد فهو بنية واحدة ذات طاقات متعددة جسدية، عقلية، نفسية، روحية، تاريخية، ومستقبلية، خلاقة، محافظة الخ... وقد رسم الإسلام الحد الأدنى لكل طاقة. وذلك أن لكل طاقة قدرة على إنجاز شيء. والأصل في الأشياء

الاباحة أما المصالح فتتفاوت حسب الإنسان ومصالحه وتغيرات الزمان والمكان والموضوع. وينبني على ذلك الحكم الشرعي متدرجا من الجواز إلى الكراهية إلى التحريم.

ولهذا فالحكم الشرعي قد يكون مباحا وقد يصبح حراما إذ يناط كل عمل مباح شرعا أن لا يتجاوز الحد فيصبح له ضرر جسمي أو مادي أو في إضاعة الوقت سدى أو تبديد الطاقة عبثا، سواء طاقة الإنسان أو طاقة الزمان أو طاقة المجتمع.

والمبدأ الأساسي في الجواز، أن يكون الموضوع غير ضار ولا مضعف... ثم يدور الحكم الشرعي مع العلة وجودا أو عدما. وأزيد وارتباطا مع مختلف الطاقات الأخرى للإنسان.

وهكذا فكل حكم له موضوع وإنسان وبيئة، فلكل شيء زمانه المحدد له كالصلاة والصيام والحج... وكل حق وواجبه يعرض على محك الضرورات، وأخفها والأضرار وأخفها كذلك.

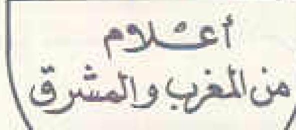
ولذلك فالتنظيم هو حفظ الصحة، والكساء والمسكن، والدواء والمواصلات وحماية النفس وتنطيط الضرورات بمنطق العقل وطبيعة الفطرة والغريزة.

نداء إلى أساتذتنا وعلمائنا

مجلة دعوة الحق مقبلة على تطوير موضوعاتها وتجديد شكلها استجابة للدور المسؤول والهام الذي تضطلع به بلادنا نصرة لقضايا الامة الاسلامية ودفاعا عن توجهاتها المصيرية.

واذا كان الفكر الاسلامي الذي انشأ حضارة انسانية اعطت للعالم ينابيع متدفقة لا ينضب معينها ارشدته الى الطريق الضامن لتقدمه وتطوره في اجواء يهيمن عليها الهدوء النفسي، وتطبعها الفضيلة والاخلاق المثلى، فان من آكاد الواجبات على مثقفينا ومفكرينا ان يوالوا الاسهام الجاد والمبدع في المسيرة التي تنهض بها امتنا الاسلامية في مختلف اصقاع العالم لكي يبقى عالمنا الاسلامي عالما تظلله الحكمة والفضيلة والتعاون والوئام.

ودعوة الحق وهي توجه هذا النداء الفكري الى اساتذتنا وعلمائنا لتنتظر منهم المشاركة المتواصلة على صفحاتها في مجال الفكر والثقافة الاسلاميتين.







للأستاذ مصطفى الشليح

72 ـ صالح بن طريف : (توفي نحو 175 هـ) (... ـ 791 م).

صالح بن طريف البرغواطي، متنبئ من قبيلة بورغواطة من المصامدة، من أهل تامسنا بالمغرب الأقصى بين سلا وآسفي. ملك، وانتحل دعوى النبوة، وشرع دينا، فرض فيه صلوات خمسا بالليل، وخمسا بالنهار، وصيام رجب بدلا من رمضان، وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين، والسجود خمسا في الركعة الأخيرة وما قبلها إيماءا، والسارق يقتل، وللرجل أن يتزوج من النساء ما يشاء. ودام ملكه 47 عاما، ثم خرج إلى المشرق، من آثاره : كتاب سماه القرآن في ثمانين سورة زعم أنه أوحي به إليه.

ط : الزركلي : الاعلام 3 : 676 ـ 677.

(5 : 8)

73 ـ صالح الفاسي : (... ـ 653 هـ) (... ـ 1255 م).

صالح الفاسي (أبو محمد). من فقهاء فاس وعلمائها. ينسب إليه شرح الرسالة.

ط : الكتاني : سلوة الأنفاس 2 : 42 ـ 43.

(5 : 9)

74 ـ الطالب بن الحاج : (... ـ 1273 هـ) (... ـ 1857 م).

الطالب بن حمدون بن الحاج السلمي. من علماء المغرب الأقصى. توفي في 9 ذي الحجة. من آثاره حاشية على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، والعقد الجوهري من فتح الحي القيوم في حل شرح الأزهري على مقدمة ابن آجروم.

خ : فهرس المؤلفين بالظاهرية.

ط : سركيس : معجم المطبوعات 70.

فهرس التيمورية 3 : 68.

(5 : 29، 30)

75 ـ الطاهر الفاسي : (... ـ 1362 هـ) (... ـ 1943).

الطاهر بن محمد بن عبد السلام بن الحاج الأودي، أصلا، الفاسي دارا (أبو الفضل) مؤرخ. من مؤلفاته : الاستبصار في عجائب الأمصار والأرضين والجبال والأنهار والبحور ومنافس الأنهار بسطوة الواحد القهار.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 41 ـ 42.

(5 : 38)

76 ـ الطيب الفاسي : (1064 ـ 1113 هـ) (1654 ـ 1701 م).

الطيب بن محمد بن عبد القادر المالكي (أبو عبد الله) فقيه، مؤرخ. من مؤلفاته : أسنى المقاصد لحلية المشايخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد، ومطمح النظر ومرسل العبر بذكر من غبر من أهل القرن الحادي عشر.

ط : البغدادي : هدية العارفين 1 : 433.

البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 82، 2 : 501.

(5 : 46)

77 ـ أبو العباس بن أحمد : (... ـ 1260 هـ) (... ـ 1844 م).

أبو العباس بن أحمد بن محمد (أبو نافع) محدث، حافظ، فقيه، نحوي، مشارك في بعض العلوم. توفي بفاس في ذي القعدة له شرح على الألفية في سفرين، وفهرسة ضمنها شيوخه.

ط : الكتاني : سلوة الانفاس 3 : 236 ـ 237.

(5 : 59)

78 ـ العباس العلوي : (... ـ 1296 هـ) (... ـ 1878 م).

العباس بن (السلطان) عبد الرحمن العلوي (أبو الفضل) له كناشة.

ط : ابن سودة دليل مؤرخ المغرب 517.

(5 : 60)

79 ـ العباس الفاسي : (... ـ 1271 هـ) (... ـ 1855 م).

العباس بن محمد بن كيران، الفاسي الأصل، المكناسي. عالم مشارك في أنواع من العلوم توفي بمكناسة الزيتون في 2 ذي القعدة.

ط : ابن زيدان : أخبار مكناس 5 : 408 ـ 412.

(5 : 64)

80 ـ عبد الحفيظ بن الحسن : (1260 ـ 1356 هـ) (1863 ـ 1950 م).

عبد الحفيظ بن الحسن. سلطان المغرب الأقصى. ولد بفاس، ونشأ في قبيلة بني عامر في الجنوب الغربي من مراكش. تولى السلطنة سنة 1325 هـ وخلع نفسه سنة 1331 هـ، ثم حج، وذهب إلى المدينة، ومنها إلى بيت المقدس. من آثاره : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل، كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام، ونفائح الأزهار في أطايب الأشعار.

خ : فهرس المؤلفين بالظاهرية.

ط : فهرس التيمورية 2 : 33، 3 : 191.

فهرس الأزهرية 1 : 345.

فهرس دار الكتب المصرية 2 : 227، 7 : 43.

المكتبة البلدية : فهرس الفقه المالكي 12 ـ 21.

الزركلي : الاعلام 4 : 50 ـ 51.

بروكلمان : 2 : 889.

(5 : 89)

81 ـ عبد الحفيظ الكبير : (... ـ 1295 هـ) (... ـ 1878 م).

عبد الحفيظ الكبير الفاسي، الفهري. له نتيجة الاعتصار من دسائس الانتصار.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 131 : 132.

(5 : 90)

82 ـ عبد الحق المكناسي : (كان حيا سنة 761 هـ) (... ـ 1360 م).

عبد الحق بن سعيد بن محمد المغربي، المكناسي، المالكي (أبو محمد) فقيه. ولي القضاء بمكناسة الزيتون، وأخذ عليه لسان الدين الخطيب. من تآليفه : الجازمة على الرسالة الحاكمة لأبي بكر المعافري في الفتاوي صنفها سنة 761 هـ، والحسام المحدود في الرد على اليهود.

ط : التنبكتي : نيل الابتهاج 185.

البغدادي : هدية العارفين 1 : 502.

البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 348، 349.

(5 : 91)

83 ـ عبد الرحمن الفاسي : (... ـ 1040 هـ) (... ـ 1630 م).

عبد الرحمن بن أحمد بن علي الفاسي الأندلسي (أبو محمد، عبد الواحد) متكلم : من تصانيفه : المرشد المعين على الضروري من علم الدين.

ط : بروكلمان 2 : 461.

(5 : 121) .

84 ـ عبد الرحمن الإدريسي : (... ـ 1177 هـ) (... ـ 1766 م).

عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجوة الحسني، الإدريسي، التلمساني، ثم الفاسي، المالكي (أبو زيد). مقرئ، مشارك في اللغة وعلوم العربية والأصول والمنطق والفقه والتفسير والحديث والتصوف توفي بفاس في 5 ذي الحجة. من تآليفه : حاشية على الجعبري الكبرى وأخرى صغرى على فتح المنان، فهرست سماها الإسناد للشفيع يوم التناد وبما حضر من الذخائر عند الانتقال من دار الأكابر، شرح الدالية، وحاشية على المرادي.

ط : الكتاني : سلوة الانفاس 2 : 270 ـ 272.

الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 197.

الكتاني : فهرس الفهارس 2 : 9.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 323.

(5 : 124)

85 ـ عبد الرحمن الفاسي : (كان حيا 1060 هـ) (... ـ 1650 م).

عبد الرحمن بو الذنب الفاسي. موسيقي، له منظومة الجموع في علم الموسيقى والطبوع. فرغ من نظمها سنة 1060 هـ.

ط : فهرست الأزهرية 6 : 464.

(5 : 131)

86 ـ عبد الرحمن الجامعي : (كان حيا 1132 هـ) (... ـ 1719 م).

عبد الرحمن الجامعي، الفاسي (أبو زيد) رحالة له الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسنية.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 379.

(5 : 132)

87 ـ عبد الرحمن الكتاني : (... ـ 1333 هـ) (... ـ 1915 م).

عبد الرحمن بن جعفر الكتاني (أبو زيد) أديب، نسابة من آثاره : منظومة الجوهر النفيس في النسب الكتاني ذي التقديس.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 427 ـ 428.

(5 : 133)

88 ـ عبد الرحمن الفاسي : (1040 هـ ـ 1096 هـ) (1631 ـ 1685 م).

عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي، الفهري، المالكي (أبو زيد) عالم، فقيه، محدث، أديب، مشارك في أنواع من العلوم من مؤلفاته الكثيرة : مفتاح الشفا وأزهار البستان في أخبار الشيخ عبد الرحمن، الاقنوم في مبادئ العلوم، القطب الداني في البيان والمعاني، شرح جواهر العلوم في الكلام، واللمعة في القراءات السبع.

خ : فهرس مخطوطات الظاهرية.

ط : الكتاني : فهرس الفهارس 2 : 133.

فهرس التيمورية 2 : 147، 203، 289، 290.

الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 195 ـ 196.

السلاوي : الاستقصا 4 : 51.

البغدادي : هدية العارفين 1 : 550.

فهرست الخديوية 5 : 331.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى 75.

البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 9، 106، 113، 162، 296، 378، 2 : 142، 234، 412، 499، 525، 561، 659.

بروكلمان 2 : 460.

(5 : 145)

89 ـ عبد الرحمن الجزولي : (1185 ـ 1269 هـ) (1286 ـ 1317 م).

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التملي، الجزولي، الحشمي (أبو زيد) فاضل، له مناقب الشيخ عبد الله الحضيكي.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى 260.

(5 : 151)

90 ـ عبد الرحمن بن سودة : (... ـ 1365 هـ) (... ـ 1946).

عبد الرحمن بن علي بن سودة (أبو زيد). له كناشة :

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 520.

(5 : 156)

91 ـ عبـد الرحمن بن القــاضي : (999 ـ 1082 هـ) (1591 ـ 1671 م).

عبد الرحمن بن أبي القاسم المكنـاسي الأصل، الفاسي الدار والمنشأ، المالكي، ويعرف بابن القـاضي، عـالم، أديب، مشارك في بعض العلوم. توفي بفاس. من آثـاره : تقـاييـد في طبقات الصوفية. الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع، ازالة الشك والالتباس في نقل آلم احسب الناس. الاستحسان وما أغفله مورد الظمآن. وأجوبة منظومة منثورة في أحكام الضبط والرسم.

ط : الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 193.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب.

الكتاني : سلوة الأنفاس 2 : 223 ـ 225.

البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 65 ـ 70.

فهرس التيمـوريـــة : 1 : 36، 43، 44، 65، 281، 484، 3 : 192.

(5 : 165)

92 ـ عبـد الرحمن الفـــاسي : (... ـ 1070 هـ) (... ـ 1660 م).

عبد الرحمن بن محمد التمنارتي، الفاسي، المـالكي (أبو زيـد) فقيـه، شـاعر، مشارك في أنواع من العلـوم. من آثاره : ديوان شعر، فهرسة سماها بالفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة : الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات.

ط : الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 193.

البغـدادي : إيضـاح المكنـون 1 : 145، 2 : 205.

(5 : 172)

93 ـ عبـد الرحمن بن زيـدان : (1290 ـ 1365 هـ) (1873 ـ 1946 م).

عبـد الرحمن بن محمـد بن عبـد الرحمن بن علي بن زيدان بن اسماعيل الحسني، العلوي، السجلماسي (أبو زيـد). مؤرخ، شاعر ولد ونشأ بمكناسة الزيتون، واستكمل دراستـه في جامعة القرويين بفاس، وولي نقـابة الاشراف بمكنـاس وزرهون، وزار مصر حاجا، واستقر في الدار البيضـاء، يـدير المدرسـة الحربيـة المغربيـة فيهـا وتـوفي بمكنـاس. من مؤلفاته : اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حـاضرة مكنـاس في خمس مجلدات منـه، الـدرر الفـاخرة لمـآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، ديوان شعر أكثره مدائح نبوية.

ط : الزركلي : الاعلام 4 : ١١١.

(5 : 178 ـ 177)

94 ـ عبـد الرحمن السـلامي : (... ـ 1118 هـ) (... ـ 1706 م).

عبـد الرحمن بن محمـد بن عبـد الرحمن بن عمران السـلامي الأصـل : الفـاسي، المـالكي، نحـوي، مشـارك في البيـان وغيره، تـوفي بفـاس، من آثـاره : شرح على أبيـات البطليـوسي في تصريف الفعـل المحـذوف الفـاء واللام في صيغة الأمر.

ط : الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 196.

الكتاني : سلوة الأنفاس 1 : 372 ـ 373.

البغدادي : هدية العارفين 1 : 551.

(5 : 177)

95 ـ عبد الرحمن السـايح : (كـان حيـا 839 هـ) (... ـ 1435 م).

عبـد الرحمن بن محمـد بن علي بن أحمـد السـايـح، فـاضـل. لـه الـدر الفـاخر في منـاقب الشيـخ عبـد القـادر (الجيلي) فرغ من تأليفه سنة 839 هـ.

ط : حاجي خليفة : كشف الظنون 732.

البغدادي : هدية العارفين 1 : 530.

(5 : 184)

96 ـ عبد السـلام القادري : (1058 ـ 1110 هـ) (1648 ـ 1698 م).

عبـد السـلام بن الطيب بن محمـد القـادري، الحسني، الفاسي (أبو محمد)، عـالم مشـارك في علوم العربيـة والبيـان والمنطق والكلام والتفسير والأصول والحديث والنسب، ولـد بفـاس في 10 رمضـان، وتوفي بهـا في 13 ربيع الأول، من مـؤلفـاتـه الكثيرة : الـزواهر الأفقيـة في شرح الجـواهر المنطقيـة، الـدر السني فيمن بفـاس من النسب الحسني والحسيني، معونـة الاخوان في معرفـة أحكـام الإيمـان والإسلام والإحسـان، معتمـد الراوي في منـاقب ولي اللـه أحمد الشـاوي، والرشاد في أئمة الإسناد.

خـ : فهرس المؤلفين بالظاهرية.

ط : الكتاني سلوة الانفاس 2 : 348 ـ 349.

الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 132 ـ 133.
الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 202 ـ 203.
البغدادي : هدية العارفين 1 : 572.
ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 113 ـ 114.
سركيس : معجم المطبوعات 1478 ـ 1479.
الزركلي : الاعلام 4 : 129.
البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 37، 50، 87، 226، 305، 327، 446، 486، 541، 549، 572، 2 : 98، 417، 508، 515، 545، 640، 646، 697.
المكتبة البلدية : فهرس المنطق 14.
فهرس دار الكتب المصرية 8 : 247.
بروكلمان 2 : 682 ـ 683.

(5 : 225).

97 ـ عبد السلام القادري : (... ـ 1228 هـ) (... ـ 1813 م).

عبد السلام بن عبد الله بن الخياط القادري الحسني (أبو محمد) مؤرخ من آثاره : التحفة القادرية في التعريف بشرفاء أهل وزان.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 102.

(5 : 228)

98 ـ عبد السلام العلوي : (... ـ 1350 هـ) (... ـ 1931 م).

عبد السلام بن عمر العلوي، الحسني (أبو محمد). له فهرست.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 367، 368.

(5 : 229)

99 ـ عبد السلام المحب : (... ـ 1331) (... ـ 1913 م).

عبد السلام المحب : من كتاب وشعراء المغرب الأقصى. ولد بفاس وولي الكتابة مدة في العهدين العزيزي والحفيظي من آثاره : مقامتان على طريقة المقامات الحريرية.

ط : الزركلي : الاعلام 4 : 130.

(5 : 229)

100 ـ عبد السلام الزموري : (... ـ 1279 هـ) (... ـ 1862 م).

عبد السلام بن محمد الزموري (أبو محمد). شاعر من آثاره : ديوان شعر.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 437.

(5 : 230)

101 ـ عبد السلام بن محمد : (... ـ 1228 هـ) (... ـ 1813 م).

عبد السلام (الضرير بن السلطان) محمد ابن عبد الله بن اسماعيل العلوي، الحسني (أبو محمد). له درة السلوة واقتطاف الأزهار من حدائق الافكار.

ط : ابن زيدان : أخبار مكناس 3 : 357.
ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 156.

(5 : 230)

102 ـ عبد السلام اللجائي : (... ـ 1332 هـ) (... ـ 1914 م).

عبد السلام بن محمد اللجائي، الحسني، العمراني (أبو محمد) مؤرخ : من آثاره : الدرر السنية والمفاخر العلية في الدولة العلوية.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 173 ـ 174.

(5 : 230)

103 ـ عبد السلام العمراني : (... ـ 1350 هـ) (... ـ 1931 م).

عبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني، المراكشي (أبو محمد) رحالة. له اللؤلؤة الفاسية في الرحلة الحجازية.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 404.

(5 : 230 ـ 231)

104 ـ عبد السلام السكوري : (... ـ 1349 هـ) (... ـ 1930 م).

عبد السلام بن محمد بن هاشم العلوي، السكوري، الحسني (أبو محمد) شاعر : من آثاره : ديوان عقود الجواهر المنظمة في مدح ذوي الاقدار المعظمة.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 470.

(5 : 231)

105 ـ عبد السلام الهواري : (1258 ـ 1328 هـ) (1842 ـ 1910).

عبد السلام بن محمد الهواري، النوازلي (أبو محمد) من القضاة، ولد في حدود سنة 1258 هـ، وولي القضاء بفاس، وتوفي بها في 23 جمادى الثانية. من تصانيفه : تنوير الصدور بالتعريف بالحاج حسن كنبور، شرح وثائق بناني، وحاشية على شرح التاودي على الزقاقية.

ط : الفاسي : رياض الجنة 2 : 110 ـ 113.

الزركلي : الاعلام 4 : 132.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 233 ـ 234.

(5 : 231)

106 ـ عبد السلام السلاوي : (... ـ 1218 هـ) (... ـ 1803 م).

عبد السلام بن أبي يعزى السلاوي، فقيه، مشارك في بعض العلوم توفي ببلده سلا بعد سنة 1218. من مؤلفاته : تقييد في مسألة جلسة الحوانيت سماه بمذاكرة الفضلاء المشاهير.

ط : ابن زيان : أخبار مكناس 5 : 358 ـ 362.

(5 : 232)

107 ـ عبد الصمد كنون : (1290 ـ 1352 هـ) (1873 ـ 1934 م).

عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون، الحسيني، الفاسي، عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد بفاس، وتوفي بمدينة طنجة في ذي القعدة من مؤلفاته : مورد الشارعين في قراءة المرشد المعين، جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس، الجراب الحاوي لفرائد العلوم والآداب.

ط : مجاهد : الاعلام الشرقية 2 : 127 ـ 128.

الزركلي : الاعلام 4 : 133.

(5 : 234 ـ 235)

108 ـ عبد العزيز الكتاني : (... ـ 1325 هـ) (... ـ 1907 م).

عبد العزيز بن جعفر الكتاني، فاضل، له : اعلام أرباب الفكر بكراهية الاستيذان بالذكر.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 488.

(5 : 244)

109 ـ عبد العزيز الزياتي : (... ـ 1055 هـ) (... ـ 1645 م).

عبد العزيز بن الحسن بن يوسف الزياتي، الفاسي، المالكي (أبو محمد، أبو فارس) فقيه، مقرئ، توفي بتطوان، له كتاب النوازل والأحكام، كتاب في القراءات، وشرح نظام الزكاة لخاله.

ط : البغدادي : إيضاح المكنون 347.

الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 226.

(5 : 245)

110 ـ عبد العزيز المكناسي : (... ـ 946 هـ) (... ـ 1557 م).

عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي، المكناسي، المالكي، مقرئ، أديب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم. أقام بالمدينة المنورة، وقدم دمشق، وزار بيت المقدس، وتوفي بالمدينة. من تصانيفه : نتائج الانظار وتحلية الأفكار في الجدل، عقود الدرر في علمي البلاغة، نظم جواهر السيوطي في علم التفسير، منهج الأصول ومهيع السالك للأصول في اصول الفقه، ودرر الأصول في أصول الفقه.

ط : الغزي : الكواكب السائرة 2 : 169، 170.

ابن العماد : شذرات الذهب 8 : 342، 343.

ابن زيدان : اخبار مكناس 5 : 319.

حاجي خليفة : كشف الظنون 361، 751، 1156، 1210، 1881، 1924، 1940.

البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 463.

فهرس التيمورية 4 : 140.

البغدادي : هدية العارفين 1 : 584.

Rieu : Arabic Manuscripts 489 - 490

بروكلمان : 2 : 539 :

(5 : 252)

111 ـ عبد العزيز الهواري : (... ـ 745 هـ) (... ـ 1344 م).

عبد العزيز بن علي بن داوود الهواري، المغربي، رياضي، أخذ عن ابن البناء العودي، وتوفي في حدود سنة

745 هـ. من آثاره : كتاب : الباب لشرح تلخيص ابن البناء في علم الحساب.

ط : البغدادي : هدية العارفين 1 : 542.

(5 : 253)

112 ـ عبد العزيز الفاسي : (1278 ـ 1347 هـ) (1861 ـ 1928).

عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن الصالح البناني، الفاسي (أبو رافع) عالم، مشارك في الحديث والتفسير والفقه والتصوف والأصول والمنطق والكلام والعربية. ولي القضاء بمحكمة الرصيف بفاس، وعين نائبا لرئيس المجلس العلمي بها إلى أن توفي في 2 جمادى الثانية. من مؤلفاته : كتاب في مسألة الكسب، القول المحقق في تحرير طلاق العوام المطلق.

ط : الفاسي : رياض الجنة 20 : 100 ـ 101.

الزركلي : الاعلام 4 : 153.

(5 : 258 م)

113 ـ عبد العزيز الفشتالي : (956 ـ 1031 هـ) (1549 ـ 1621 م).

عبد العزيز بن محمد الفشتالي (أبو فارس) أديب، كاتب، شاعر. ولي الوزارة للمنصور الذهبي، من آثاره : مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفاء، وحدد الجيش في الذيل على جيش التوشيح.

ط : الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 222 ـ 224.

البغدادي : إيضاح المكنون 2 : 455، 564.

وابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 188، 189.

(5 : 260)

114 ـ عبد العزيز الجيلاني : (... ـ 1029 هـ) (... ـ 1620 م).

عبد العزيز بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن سعد بن أحمد بن أحمد بن أحمد الجيلاني (أبو فارس). أديب، شاعر. من آثاره : منظومة إغاثة اللهفان وسلوة الهموم والأحزان.

ط : الكتاني : سلوة الأنفاس 3 : 171، 172.

(5 : 261)

115 ـ عبد القادر الكوهن : (... ـ 1253 هـ) (... ـ 1837 م).

عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي (أبو محمد)، عالم، محدث، صوفي. توفي بالمدينة. من آثاره : شرح فاتحة البخاري وخاتمته، وفهرسة تعرف بامداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد.

ط : الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 368 ـ 371.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 321.

(5 : 282)

116 ـ عبد القادر العرايشي : (... ـ 1350 هـ) (... ـ 1931 م).

عبد القادر بن أحمد العرايشي، المكناسي (أبو محمد) شاعر. من آثاره : ديوان شعر جمعه ولده في مجلد.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 440.

(5 : 282)

117 ـ عبد القادر الفاسي : (... ـ 1219 هـ) (... ـ 1804 م).

عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي، نحوي، لغوي، أديب، محدث، له من المؤلفات، شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، وله نظم.

ط : الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 213.

(5 : 282 ـ 283)

118 ـ عبد القادر الجيلاني : (... ـ 1150 هـ) (... ـ 1237 م).

عبد القادر الجيلاني، السحاقي، أديب، ناثر، ناظم، لغوي، مؤرخ، نسابة. توفي بعد سنة 1150 هـ. من آثاره : رحلة :

ط : ابن زيدان : أخبار مكناس 5 : 230، 231.

(5 : 286)

119 ـ عبد القادر الفاسي : (... ـ 1296 هـ) (... ـ 1878 م).

عبد القادر بن عبد الرحمن الفاسي، الفهري (أبو محمد)، فاضل له كناشة تحتوي على أبحاث علمية وحوادث مهمة.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 517.

(5 : 290)

120 ـ عبد القادر الشبيهي : (... ـ 1099 هـ) (... ـ 1687 م).

عبد القادر بن عبد الله الحسني، الجوطي الشهير بالشبيهي (أبو محمد) نسابة. من آثاره : مؤلف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 94.

(5 : 291 ـ 292)

121 ـ عبد القادر الرباطي : (... ـ 1332 هـ) (... ـ 1914 م).

عبد القادر بن عبد الله الرباطي (أبو محمد). له ديوان.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 438، 439.

(5 : 292)

122 ـ عبد القادر المشرفي : (ق 13 الهجري) (ق 9 الميلادي).

عبد القادر بن عبد الله المشرفي (زين العابدين) عالم، محدث، مسند المغرب الأوسط في وسط القرن الثالث عشر الهجري. له عدة إجازات، وفهرسة.

ط : الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 15 ـ 17.

(5 : 393)

123 ـ عبد القادر بن العربي : (... ـ 1179 هـ) (... ـ 1765 م).

عبد القادر بن العربي القادري، الحسني (أبو محمد). له ديوان.

ط : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 435، 436.

(5 : 293)

124 ـ عبد القادر بن شقرون : (كان حيا 1140 هـ) (... ـ 1728 م).

عبد القادر بن العربي المنبهي، المدغري المعروف بابن شقرون المكناسي. فقيه، نحوي، أديب، لغوي، طبيب، شاعر، حكيم، من مؤلفاته : شرح على البسط والتعريف للمكودي، والأرجوزة الشقرونية في علم الطب.

ط : ابن زيدان : أخبار مكناس 5 : 320 ـ 330.

أحمد عيسى : معجم الأطباء 271 ـ 275.

بروكلمان 2 : 741.

(5 : 293 ـ 294)

125 ـ عبد القادر الفاسي : (1007 ـ 1091 هـ) (1599 ـ 1680 م).

عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي، الفهري، المالكي (أبو السعود) عالم، محدث. ولد ونشأ في القصر، وتوفي بفاس. له حواش على الصحيح، والنتيجة المحمودة في الرد على زاعم ملكية وادي مصمودة.

ط : المحبي : خلاصة الأثر 2 : 444 ـ 451.

الكتاني : فهرس الفهارس 2 : 156 ـ 162.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 75، 76.

الزركلي : الاعلام 4 : 166، 167.

بروكلمان 2 : 708.

(5 : 295)

126 ـ عبد القادر السجلماسي : (... ـ 1187 هـ) (... ـ 1773 م).

عبد القادر بن محمد بن عبد الملك بن العربي ابن علي الحسني، السجلماسي، محدث، حافظ، فقيه، مشارك في بعض العلوم. تولى القضاء بمكناس في أوائل جمادى الأولى. من آثاره : شرح على همزية البوصيري في أربع مجلدات، وشرح تحفة الحكام للقاضي ابن عاصم.

ط : ابن زيان : أخبار مكناس 5 : 322، 333.

(5 : 300)

127 ـ عبد الكريم اليازغي : (... ـ 1199 هـ) (... ـ 1774 م).

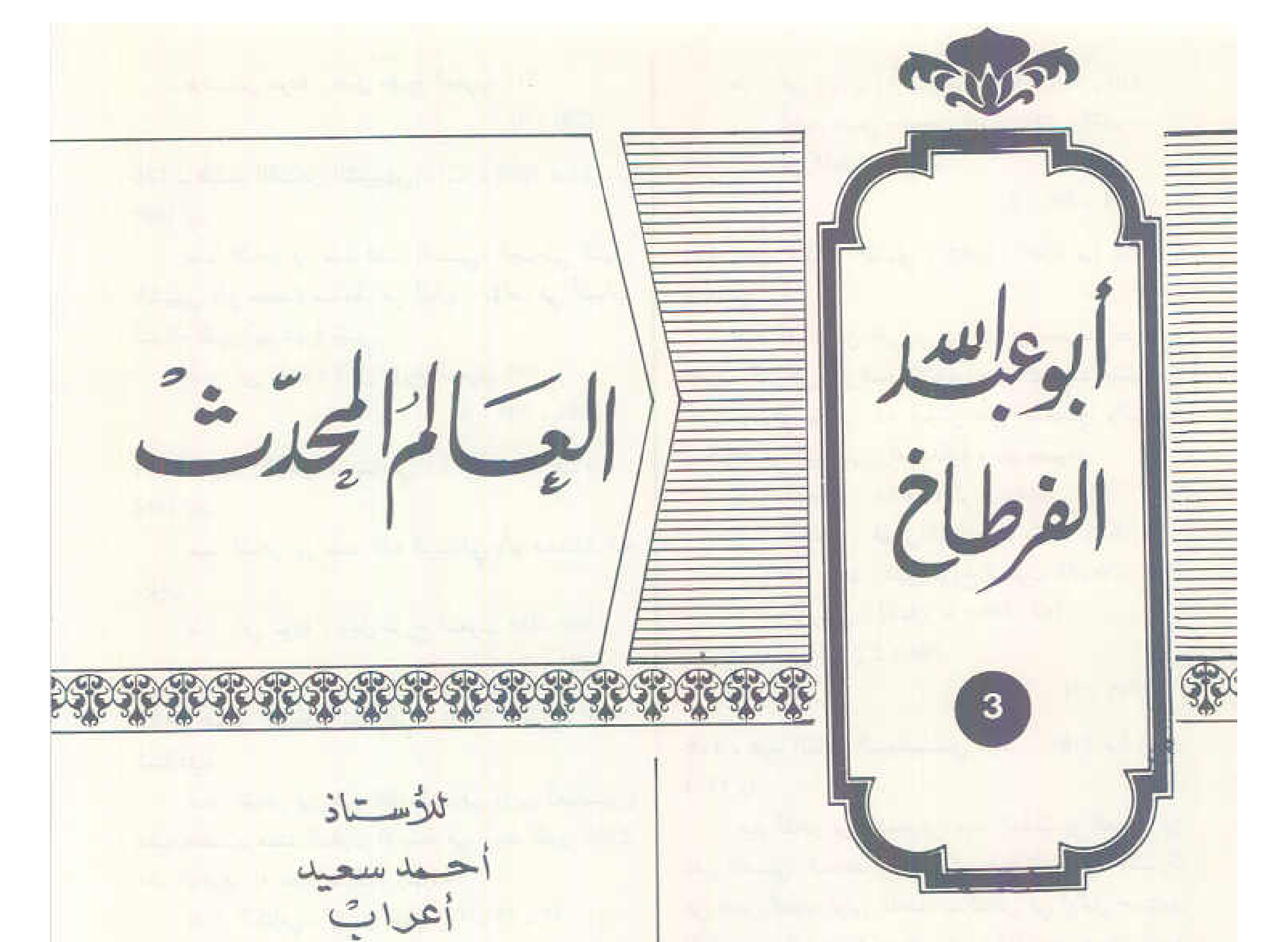
عبد الكريم بن علي بن عمر بن أبي بكر ابن ادريس، المعروف باليازغي (أبو محمد). فقيه. ولد وتوفي بفاس. من آثاره : فهرست، وحاشية على المحلى.

ط : الكتاني : فهرس الفهارس 2 : 462، 463.

ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 359.

(5 : 320)

(يتبع)



للأستاذ
أحمد سعيد
أعراب

ـ ومن أهم مؤلفات المترجم، ذيله على ألفية السيوطي في علوم الحديث، الموسوم بـ (نزهة البصر، على ألفية الأثر) يقع مع أصله في أربعين (48) وأربعمائة وثلاثة آلاف بيت، ويوجد مخطوطا عند نجله الأستاذ الأديب السيد أحمد الفرطاخ، وقد تفضل فأعارني إياه ـ مشكورا، أوراقه تسع وأربعون ومائة ورقة من القطع الكبير، مقياس 30 / 15 سم، مسطرته ثلاثة عشر سطرا، كلماته تسع كلمات ـ إلى احدى عشرة كلمة، عناوينه بالمداد الأحمر والأخضر، وهو بخط مغربي جميل، ناسخه الفقيه الخطاط العياشي أحتاش السعيدي، لم يذكر تاريخ نخه، وبهامشه الحاقات وتعديلات بخط المؤلف، وقد اضطربت أوراقه الأولى (: ـ 14)، فرتبتها واعدتها إلى أصلها.

مضمونه :

والكتاب يتضمن مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، جعل تحت كل باب مباحث، وربما تضمن المبحث أقساما وملاحق.

المقدمة : بين فيها الهدف الذي يرمي إليه الذيل، والعلامات التي تميزه عن أصله، وأشار إلى استعظامه الخوض في هذا الميدان حتى كاد يحجم عن ذلك، وأوضح النواحي التي تفوق فيها ألفية السيوطي ألفية العراقي :

(48) حسب ترقيم المؤلف، وجاء في آخر المخطوط : (...وقد اشتمل هذا النظم ـ أصلا وتذييلا ـ على واحد وستين وأربعمائة وثلاثة آلاف بيت).

هــذا وقــد أراد معــدن الــذنــوب
محمــد القرطــاخ زاخر العيــوب
تــذييلهــا بمــا الإلــه يفتــح
من نظم مــا شراحهــا قــد أوضحــوا
أو زاده ذو الأصــل في التــدريب
والنــووي الإمــــام في التقريب
وابن الصـــلاح والعراقي الأبر
مــع الخطيب والإمـــام ابن حجر

☆☆☆

أميــز الــذيــل بتصف الــدائره
أضعــــــه أولــــــه وآخره
بحيث مـــا بين الهــلالين يرى
ذيـل ومــا عــداه أصـل لا مرا
والأصـل أبقيــه كمــا ألفيــه
من غير تمييـــز إذا أمليــــه
مرتبــا لــلأصـل والــذيـل على
خمســة أبـواب سنــاؤهــا جــلا
وخــاتمـــا لآخر الأبــواب
بــذيـل تــاريخ ذوي الألبــاب

☆☆☆

وكنت أستعظم في ذا خـــوضي
لكــونــه ليس بفعــل مرضي
بـل كــدت أعـزم على الإحجـام
عن ذيلهـــا لصعب ذا المرام...(49)

الباب الأول : ويحتوي على واحد وعشرين مبحثا، المبحث الأول في تقسيم الحـديث إلى روايـة ودرايـة، وتعريف كل ما يتصل بذلك، وضمنه ستة أبيات للأصل، وخمسة وثلاثين بيتا من زيادات الذيل :

49) انظر الديوان ـ الورقة 1 ـ (أ) ـ 3 (أ ب).

إن الحــديث عنــدهم قسمــان
روايــة درايــة والثـــاني
مرادف السنـــة أو منهــا أعم
وعرف الإمــام كــلا ونظم...(50)

المبحث الثاني في قواعد علم الحديث دراية، وأول من صنف فيه ومن تبعه إلى الإمام السيوطي، وضمنه 27 بيتا من زيادات الذيل :

هــذا، ولم تخــل القرون الأول
من بحثهم في الاصطـــلاح تقلــوا
بــل سلفت قــواعــد اصطــلاح
تجري لــدى تنقيب ذي الفــلاح
عن سـنـد كمــا جرى في الجــدتين
وقت الخليفتين قــالــوا دون مين
بعــدهمـــا نهضت الأعــلام
لفنـــــه وتمم المرام...(51)

المبحث الثالث فيمن ألفوا في علم المصطلح ـ إلى شيوخه ومعاصريه، وضمنه عشرين بيتا من زيادات الذيل :

وكم أبــان شيخنــا القطب الرضى
تــاج بني الكتــانيين المرتضى
في هــذه الفنــون من تــأليف
مــوضحــا مـوضوع كـل تــأليف
نظمـــا ونثرا وحــواشي رائقــه
تكفلت بجلب كــل رائقــــه
مترجمـــا مــؤلفيهــا البرره
وذاكرا لكـــل فرد مفخره
فمنهم الحــافــظ والهــدي السري
والــزركشي والنــووي والخيضري
وصــاحب الطرقــة ذو الفضـل الجلي

50) الورقة 4 ـ (أ ب).
51) الورقة 4 ـ (أ ب) ـ 5 (ب).

شبـل أبي المحـاسن المبجـل
شـارحهـا أبـو العـلا محمـد
نجـل لمن فخـاره مسرمـد
العـارف الإمـام عبـد القـادر
بحر العلـوم والمعـالي الـزاخر
وشيخنـا ابن جعفر الكتـاني
طرزه بـأوضـح المبـاني
وشيخنـا الخيـاط معـدن الكمـال
قلـده حـاشيـة ذات الـلآل
كـالعـالم النحـوي كنون الرضى
محمـدا ـ بـالفتـح ـ نعم المرتضى(52)

المبحث الرابع في تقسيم الحديث رواية ـ إلى قدسي ونبوي، وتعريف كل واحد، والفرق بينهما، وما يمتاز به القرآن الكريم عن الحديث القدسي وسواه، وضمنه أربعة عشر بيتا، وهي من زيادات الذيل :

وذو الروايـة لقـدسي قسمـوا
ونبـوي وحـد كـل رسمـوا
فـالأول الموحى بـه إلى الرسول
بـاللفـظ والمعنى كما قـال الفحول
ومـا بـه جبريـل كـان ينـزل
على رسـول اللـه فهـو المنـزل...(53)

المبحث الخامس في النوع الأول من أنواع الحديث ـ وهو الصحيح، وذكر مراتبه وشروطه... وضمنه 15 بيتا للأصل، و35 بيتا من زيادات الذيل (54).

المبحث السادس في أصحية الأسانيد والمتون، وذكر ما لهم في ذلك من الأقاويل، وضمنه 11 ـ بيتا للأصل، و18 بيتا من زيادات الذيل (55).

المبحث السابع في أصحية الأسانيد بالنظر لبعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وعشرة أبيات من زيادات الذيل (56).

المبحث الثامن في أصحية بعض الأسانيد بالنظر لبعض البلدان، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وخمسة أخرى من زيادات الذيل (57).

المبحث التاسع في أصح ما ورد في فضائل السور، وغير ذلك، وضمنه 22 بيتا من زيادات الذيل :

وقسموا الـوارد في فضـل السـور
بـأي ثـلاثـة روى من قـد أثر
أجـل تفسير عليـه يعتمـد
في فضلهـا نجـل كثير قـد ورد
فـإنـه أورد من فضـل السـور
فيـه كثيرا صح عن ذوي الأثر (58)

المبحث العاشر في ابتداء تدوين الحديث والأثر، والآمر به، وتاريخ الأمر، وضمنه 20 بيتا من زيادات الذيل :

قـد كـانت الأولى تـؤدي لفظـا
وتـأخـذ الحـديث ـ حقـا ـ حفظـا
إلا كتـاب الصـدقـات عن علي
حـديثـه لـدى البخـاري ينجلي
إذ لم تكن آثـاره مجتمعـه
في عهـد صـاحب ولا من تبعـه
فـأصـدر الأمر أمير المـومنين
ذاك الرضى عمر (59) فخر المسلمين
بجمـع كـل مـا أتى عن الرسـول
من الحـديث في الفروع والأصـول
لـولاه ضـاع ذا الحـديث جملـه
فجـازه ربي وأكرم نـزلـه

52) الورقة 6 ـ (أ ب).
53) الورقة 7 ـ (أ ب).
54) الورقة 8 ـ (أ ب) ـ 9 ـ (أ ب).
55) الورقة 10 ـ (أ ب).
56) الورقة 11 ـ (أ ب).
57) الورقة 11 ـ (أ ب).
58) الورقة 12 ـ (ب) 13 ـ (أ).
59) يعني عمر بن عبد العزيز.

وأمره بــــذاك في رأس المـــائـــــه
من هجرة النبي قـــالـــه الفئـــه (60)

المبحث الحــادي عشر في أول من تصـــدى لجمع الحـديث ـ على الترتيب في ذلـك، وضمنـه ثـلاثـة أبيـات للأصل، وخمسة عشر بيتا من زيادات الذيل (61).

المبحث الثـاني عشر في أول من صنف في الصحيح المجرد، وتفضيـل صحيـح البخــاري على صحيـح مسلم، وترجيح الصحيحين على غيرهما من كتب الحديث، وضمنـه ثـلاثـة أبيـات لـلأصـل، وسبعـة عشر بيتـا من زيـادات الذيل (62).

المبحث الثـالث عشر فيما انتقـدوه على الصحيحين، وعدده، والجواب عنه، وضمنه 12 بيتا للأصل و31 ـ بيتـا من زيادات الذيل (63).

المبحث الرابع عشر في شروط أخذ الحـديث الصحيح من الكتب المعتمـدة في الصحـة، وضمنـه 7 أبيـات للأصـل، و13 بيتا من زيادات الذيل (64).

المبحث الخامس عشر في الاستخراج على الصحيحين وغيرهمـا من كتب الحـديث، وضمنـه 8 أبيـات للأصل، و29 بيتا من زيادات الذيل (65).

المبحث الســادس عشر في كيفيـة نقـل الحــديث من الكتب للعمل به، أو للاحتجاج به لدى الخصم، وضمنه بيتين للأصل، وثلاثة عشر بيتا من زيادات الذيل (66).

المبحث الســابع عشر في النـوع الثـاني ـ من ألقاب الحديث ـ وهو الحسن، وذكر مـا فيـه من الخلاف، ومـا هو القول المرتضى في تعريفه، وضمنه 7 ـ أبيات للأصل، و24 من زيادات الذيل (67).

المبحث الثـامن عشر في مراتب السنن وغيرهـــا من كتب الحديث، وبيان اصطلاح أبي داود والنسائي وسواهمـا من أصحـاب السنن، وضمنـه 15 بيتـا لـلأصـل و18 بيتـا من زيادات الذيل (68).

المبحث التـاسـع عشر في مسـألـة الجمع بين الصحة والحسن والغرابة، وفي الالفاظ المستعملة في القبول، وضمنـه ثـلاثـة عشر بيتـا لـلأصـل، وثـلاثـة أبيـات من زيــادات الذيل (69).

المبحث العشرون في النـوع الثـالث ـ وهـو الضعيف، ويقال له المردود، وفي المضعف ـ وهو النوع الرابع، وضمنـه بيتين للأصل، وثلاثة عشر بيتا من زيادات الذيل (70).

المبحث الحـادي والعشرون في مراتب الضعيف ومـا يتصل بذلـك، وضمنـه خمسـة عشر بيتـا للأصل، وستـة عشر بيتا من زيادات الذيل (71).

البـــاب الثـــاني : ويحتـوي على خمســة وعشرين مبحثا.

المبحث الأول في النوع الرابع ـ وهو المسـند، وبيـان اختلافهم فيه، وما له من أنواع، وضمنـه بيتـا واحـدا للأصل، وتسعة أبيات من زيادات الذيل (72).

المبحث الثـاني في النـوع الخـامس وهـو المرفـوع، والنـوع السـادس ـ الموقـوف، والنـوع السـابـع : المقطـوع، وضمنه 14 بيتا للأصل، و19 بيتا من زيادات الذيل (73).

---

60) انظر الذيل الورقة 13 (ب) ـ 14 ـ (أ).
61) الورقة 14 ـ (ب).
62) الورقة 14 ـ (ب) 15 ـ (أ).
63) الورقة 15 ـ (ب) 16 ـ (أ).
64) الورقة 16 ـ (ب) 17 ـ (أ).
65) الورقة 17 ـ (ب) 18 ـ (أ).
66) الورقة 18 ـ (أ) 19 ـ (أ).
67) الورقة 19 ـ (ب) 20 ـ (أ).
68) الورقة 20 ـ (ب) 21 ـ (أ).
69) الورقة 22 ـ (ا ب).
70) الورقة 23 ـ (أ).
71) الورقة 23 ـ (ب).
72) الورقة 24 ـ (أ).
73) الورقة 24 ـ (ب) 25 ـ (ا ب).

التاسع : المنقطع، والنوع العاشر المعضل، وضمنه ثلاثة أبيات للأصل، وخمسة وعشرين بيتا من زيادات الذيل (74).

المبحث الرابع في المرسل - وهو النوع الحادي عشر - وأشار فيه إلى من تجيء عنهم المراسل، وضمنه 14 بيتا للأصل، و36 بيتا من زيادات الذيل.

أكثر من عنهم تجي المراسل
جماعة أيمة أفاضل
من كل أهل بلدة لاح إمام
وكلهم محترم بين الأنام
بطيبة ذاك الإمام الكامل
نجل المسيب الهمام الفاضل...(75)

المبحث الخامس في المعلق - وهو النوع الثاني عشر، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وستة أبيات من زيادات الذيل (76).

المبحث السادس في المعنعن - وهو النوع الثالث عشر، وفي المؤنن - وهو النوع الرابع عشر، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وثمانية أبيات من زيادات الذيل (77).

المبحث السابع في التدليس - وهو النوع الخامس عشر، وضمنه 13 - بيتا للأصل، و22 بيتا من زيادات الذيل (78).

المبحث الثامن في الإرسال الخفي والمزيد في متصل الإسناد - وهما النوعان : السادس عشر، والسابع عشر، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وسبعة أبيات من زيادات الذيل (79).

74) الورقة 26 - (ا ب).
75) الورقة 27 - (ا ب).
76) الورقة 28 - (أ).
77) الورقة 28 - (ب).
78) الورقة 29 - (أ).
79) الورقة 29 - (ب).

الثامن عشر، والتاسع عشر، وضمنه بيتين للأصل، وثلاثة أبيات من زيادات الذيل (80).

المبحث العاشر في المنكر والمعروف - وهما النوعان : العشرون، والواحد والعشرون، وضمنه بيتين للأصل، وبيتا واحدا من زيادات الذيل (81).

المبحث الحادي عشر وهو النوع الثاني والعشرون، وضمنه بيتان للأصل، وثلاثة أبيات من زيادات الذيل (82).

المبحث الثاني عشر في الافراد - وقسمه إلى قسمين : مطلق وغير مطلق، وهو النوع الثالث والعشرون، وضمنه أربعة أبيات للأصل، وخمسة أبيات من زيادات الذيل (83).

المبحث الثالث عشر في الغريب، والعزيز، والمشهور، والمستفيض، والمتواتر، وهي الأنواع : الرابع والعشرون، والخامس والعشرون، والسادس والعشرون، والسابع والعشرون، والثامن العشرون، وضمنه خمسة عشر بيتا للأصل، وعشرة أبيات من زيادات الذيل (84).

المبحث الرابع عشر في الاعتبار، والمتابعة، والشواهد الأنواع : التاسع والعشرون، والثلاثون، والحادي والثلاثون، وضمنه أربعة أبيات للأصل، وستة أبيات من زيادات الذيل (85).

المبحث الخامس عشر في زيادات الثقات - وهو النوع الثاني والثلاثون، وضمنه سبعة أبيات للأصل، وثلاثة وعشرين بيتا من زيادات الذيل (86).

80) الورقة 30 - (أ).
81) نفس الورقة.
82) الورقة نفسها.
83) الورقة 31 - (أ).
84) الورقة 31 - (ب) 32 - (أ).
85) الورقة 32 - (ب).
86) الورقة 33 - (ا ب).

المبحث السادس عشر في المعل - ويقال له المعلل، والمعلول - وهو النوع الثالث والثلاثون، وضمنه أربعة عشر بيتا للأصل، وثلاثة وثلاثين بيتا من زيادات الذيل (87).

المبحث السابع عشر في المضطرب - وهو النوع الرابع والثلاثون، وضمنه خمسة أبيات للأصل، وثمانية أبيات من زيادات الذيل (88).

المبحث الثامن عشر في المقلوب - وهو النوع الخامس والثلاثون، وضمنه أربعة أبيات للأصل، وعشرة أبيات من زيادات الذيل (89).

المبحث التاسع عشر في المدرج - وهو النوع السادس والثلاثون، وضمنه سبعة أبيات للأصل، وستة عشر بيتا من زيادات الذيل (90).

المبحث العشرون في الموضوع - وهو النوع السابع والثلاثون، وضمنه اثنين وعشرين بيتا للأصل، وخمسة وعشرين بيتا من زيادات الذيل (91).

المبحث الحادي والعشرون في خاتمة نوع الموضوع، بين فيها مراتب الضعيف، وضمنه ثمانية أبيات للأصل، وأربعة عشر بيتا من زيادات الذيل (92).

المبحث الثاني والعشرون في شروط الراوي، ومن تقبل روايته ومن ترد، وفي المعدل والمجرح - بكسر الراء وفتحها - وهو النوع الثامن والثلاثون، وضمنه خمسة وأربعين بيتا للأصل، وسبعة وأربعين بيتا من زيادات الذيل (93).

المبحث الثالث والعشرون في مراتب التعديل والتجريح - وهو تتميم للنوع المتقدم : (شروط الراوي، ومن تقبل روايته ومن ترد) - وليس هو نوعا مستقلا، وضمنه

87) الورقة 34 - (ا ب) 35 - (آ).
88) الورقة 35 - (ب).
89) الورقة 36 - (ا ب).
90) الورقة 37 - (ا ب).
91) الورقة 38 - (ا ب) 39 - (ا ب).
92) الورقة 40 - (ا ب).
93) الورقة 41 - (ا ب) 44 - (ا ب).

17 بيتا للأصل، و16 - بيتا من زيادات الذيل (94).

المبحث الرابع والعشرون في بيان وقت تحمل الحديث، وحال الحامل، وتحديد سنه - وهو النوع التاسع والثلاثون، وضمنه 6 - أبيات للأصل، وثمانية أبيات من زيادات الذيل (95).

المبحث الخامس والعشرون في بيان طرق التحمل - وجعلها خمسة أقسام :

1 - القسم الأول : السماع من لفظ الشيخ - وهو أعلاها - وضمنه ستة أبيات للأصل، وخمسة أبيات من زيادات الذيل (96).

2 - القسم الثاني : القراءة على الشيخ - وتسمى بالعرض، وضمنه ثلاثة عشر بيتا للأصل، وواحدا وعشرين بيتا من زيادات الذيل (97).

3 - القسم الثالث : في الإجازة - وتحتها أنواع، وضمنه واحدا وعشرين بيتا للأصل، وأربعة وثلاثين بيتا من زيادات الذيل (98).

4 - القسم الرابع : المناولة - وتحتها أنواع، وضمنه ثمانية عشر بيتا للأصل، وثمانية أبيات من زيادات الذيل (99).

5 - القسم الخامس : الكتابة، وضمنه خمسة أبيات للأصل، ولم يذيل عليه المؤلف بشيء (100).

ويأتي الحديث عن بقية الأبواب في عدد قادم - بحول الله.

تطوان — سعيد أعراب

94) الورقة 45 - (ا ب) 46 - (آ).
95) الورقة 46 - (ب) 47 - (آ).
96) الورقة 47 - (ب).
97) الورقة 48 - (ا ب) 49 - (آ).
98) الورقة 49 - (ب) 52 - (ا ب).
99) الورقة 53 - (ا ب).
100) الورقة 53 - (ب).

النورسي



الرائد الإسلامي الكبير

1

بقلم: الدكتور محسن عبد الحميد

عصر النورسي:

عصر النورسي، وهو نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، كان يتسم بالقلق الحضاري والاضطراب السياسي والتفكك العام الذي اشتد نخره في جسم الدولة العثمانية بفعل عوامل داخلية وخارجية متنوعة.

وكانت هذه الدولة يومئذ آخذة بالسقوط وعدم السيطرة على ممالكها الواسعة التي كانت أوربا قد تهيأت لابتلاعها بعد تخطيط عشرات المشاريع التي اشتركت في رسمها الدول الأوربية الاستعمارية بمعاونة ومباركة كنائسها المختلفة كافة (1).

لقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني وسعه في سبيل المحافظة على الوضع والتفكير الجدي لإيقاظ الأمة الإسلامية وإنقاذ الدولة والوقوف أمام الأطماع الأوربية طيلة سنوات حكمه، متوسلا في ذلك بدهائه السياسي ومحاولا تقوية الرابطة الإسلامية بين المسلمين، ولكن الظروف السياسية والحضارية في عهده كانت أقوى من محاولاته، بل وجد أعداء الأمة والدولة في بقائه خطرا أكيدا على مصالحهم، فخططوا لإسقاطه، فأمر الشرق الأعظم الماسوني الإيطالي أعوانه الماسونيين في جمعية الإتحاد والترقي بعزله بعد رفضه القاطع تسليم فلسطين إلى اليهودية العالمية. وقد تم ذلك حيث أجبره الجيش الذي زحف من «سلانيك» على التنازل فأتوا من بعده بأخيه محمد رشاد (الخامس) الذي كان ضعيفا جدا حتى غدا ألعوبة بيد الاتحاديين الماسونيين.

ولقد تظاهرت جمعية الاتحاد والترقي في بداية الأمر بشعارات براقة وهي الحرية والإخاء والمساواة، إلا أن حقيقتها سرعان ما ظهرت عندما اتبعت سياسة عنصرية إرهابية، ففتكت بمعارضيها واضطهدت العناصر غير التركية في داخل الدولة، مما دفع الأقوام التي كانت تربطها الرابطة الإسلامية بالأتراك عبر العصور بالتفكير في إنقاذ نفسها من ذلك الوضع الشاذ غير الإسلامي (2).

ولم يكتف الاتحاديون بذلك، بل دفعوا بتخطيط من الماسونية العالمية، الدولة العثمانية، إلى الحرب بجانب

1) حاضر العالم الإسلامي - شكيب أرسلان (تعليقات) 3 / 208.

2) Danismend Cilt 4 / 402 - 406. Izahli Osmanli Tarihi Kronologisi - Ismail Hami

ألمانيا، الأمر الذي أدى إلى هزيمتها وتمزقها وتوزيع أملاكها بين الدول الاستعمارية المنتصرة في تلك الحرب.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (1336 هـ / 1918 م) توفي السلطان محمد رشاد وجاء بعده محمد وحيد الدين (السادس) الذي كان يكره الاتحاديين ويتربص بهم الدوائر، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل أي شيء ضدهم. وعندما احتل الحلفاء اسطنبول وقع السلطان محمد السادس أسيرا بأيديهم، فضيق عليه، وحيل بينه وبين الأمة. فلم يجد السلطان مناصا من أن يكلف سرا أحد الضباط الذي كان تربطه به صداقة سابقة قبيل ارتقائه عرش الخلافة، وهو مصطفى كمال، فأرسله إلى الأناضول وزوده بأمر سلطاني إلى قادة الجيش جميعهم كي يتعاونوا معه لتهيئة الصفوف لجهاد المستعمرين وطردهم من تركيا (3).

وقد تم ذلك في حروب اشترك فيها أبناء الشعب المسلم بحماسة إسلامية منقطعة النظير منطلقين من عقيدة الجهاد في سبيل الله سميت بـ(حروب الاستقلال) فاستطاعوا فيها طرد المحتلين اليونانيين من الغرب والروس من الشرق.

ولما استقر الوضع لمصطفى كمال قام بموجب معاهدة لوزان التي فرضها الحلفاء بإلغاء الخلافة الإسلامية وصادر أملاك الأوقاف ومنع قراءة القرآن باللغة العربية التي كان يكرهها جدا، حيث بدل حروف الكتابة العربية بالكتابة اللاتينية، وأعلن اللا دينية. ومنع النشاط الإسلامي كله وحول الآذان الشرعي إلى الآذان باللغة التركية وحول مساجد كثيرة إلى مخازن ومتاحف وخطط للقضاء على الإسلام نهائيا في تركيا وفي سبيل ذلك فتك بمعارضيه وقبض على الحكم بيد من حديد وقاد علماء الإسلام إلى المشانق والسجون.

وصل الأمر في محاربة الإيمان والإسلام إلى حد أن دائرة معارف الحياة التركية الرسمية أنكرت صراحة وجود الله سبحانه وتعالى، ولعل هذا الاقتباس منها يلقي ضوء ساطعا على الإنكار الذي لم يظهر بهذه الصراحة في أي مكان آخر يومئذ في العالم الإسلامي.

(إن الفكرة التي تريد الأديان، الموجودة حاليا أن تثبتها هي أن الله واحد وأنه هو الذي خلق الكون. ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئا فشيئا بأن هذه الفكرة باطلة وأنه لا وجود لشيء اسمه (الله). وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين) (4).

هذا إضافة إلى تدريس اللا دينية في المدارس والهجوم على القرآن الكريم والرسول الأمين عليه الصلاة والسلام علنا في مناهجها، حتى قرر تدريس الفلسفة المادية في الصفوف الأولى في المتوسطات لترسيخ الجحود بالألوهية وإنكار الحياة الأخرى واتهام الشريعة الإسلامية بالجمود والرجعية والتأخر.

وبجانب هذا فقد استبدلت أحكام الشريعة الغراء بالقانون السويسري، وفرض لين «الشفقة» بقوة القانون على الناس، مع وضع الحياة الاجتماعية الغربية بدل الحياة الاجتماعية الإسلامية.

حياته :

في قرية «نورس» من قرى ولاية «بتليس» في شرق الأناضول وفي أسرة كردية صالحة تقية، ولد سعيد النورسي سنة 1293 هـ / 1873 م.

كانت أسرته تشتغل بالفلاحة، فتوجه هو إلى التعليم في الكتاتيب والمدارس الدينية، وكان يأخذ دروسه على أخيه «الملا عبد الله» وغيره من العلماء، واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو. ثم بدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ليتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم. وكان يساعده في ذلك ذكاء

---

3) جريدة «Bugün» التركية أعداد تموز 1968 م حيث كتب الكاتب التركي الكبير المرحوم نجيب فاضل سلسلة مقالات حول السلطان وحيد الدين (محمد السادس) واثبت فيه بوثائق تاريخية دامغة هذه القضية. ثم جمعت هذه المقالات ونشرت في كتاب خاص. انظر أيضا كتاب (الرجل الصنم) ص 127، 173 وهو كتاب تاريخي حديث ومهم جدا حول حياة مصطفى كمال وانقلاباته اللادينية بقلم ضابط تركي متقاعد، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ط. الثانية 1398 هـ.

4) ج 1 ص 132. وادعاء أن التقدم العلمي يرفض عقيدة الإله افتراء محض على العلم والعكس هو الصحيح. فالتقدم العلمي في القرن العشرين وضع يده على نظام الكون الدقيق جدا بحيث ذهب معظم العلماء الأفذاذ إلى أن إسناد خلق الكون إلى الصدفة العمياء مستحيل علميا في حد ذاته، بل إن قوانين الفيزياء الحديثة تثبت حدوث العالم راجع : العلم يدعو إلى الإيمان للدكتور كريس موريسون و«الله يتجلى في العلم الحديث» لمجموعة من كبار علماء العالم.

خارق اعترف به أساتذته جميعهم بعد اختبارات صعبة، كان يجريها له كل منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة بحيث إنه درس وحفظ كتاب «جمع الجوامع» في أصول الفقه ـ وهو كتاب معروف بصعوبته ـ في أسبوع واحد، وشهد له أستاذه كتابة على ظهر نسخته (5).

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن استشرت بعد أن أفحم في مناقشاته علماء منطقته جميعا فسموه د (سعيد المشهور) ثم ذهب إلى «بتليس» ومنها إلى مدينة «تيلو» حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العباد وحفظ هناك قاموس المحيط للفيروز أبادي إلى حرف السين (6).

وفي سنة 1892 ذهب (الملا سعيد) إلى مدينة «ماردين» حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب على أسئلة الناس. ثم وشي به إلى الوالي فأصدر أمرا بإخراجه، وسيق إلى «بتليس» فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه أن يقيم معه. وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية الإسلامية، لا سيما في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث والفقه والنحو حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم «ثمانين متنا» وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الجليل الشيخ محمد الكفروي (7).

وفي سنة 1894 م ذهب إلى مدينة «وان» وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وعلم طبقات الأرض «الجيولوجيا» والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية حتى تعمق فيها إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين (8) فسمي لأول مرة بـ«بديع الزمان» اعترافا من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير.

وفي هذه الأثناء قرأ بديع الزمان في الجرائد المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني «غلادستون» صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا : «مادام هذا القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم. لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به».

5) سيرة ذاتية 36 Tariçri Hayat 36

6) المصدر السابق 37.

7) السابق 42 ـ 44.

زلزل هذا الخبر كيانه وأقض مضجعه، وأدرك بذكائه وحسه الإسلامي أن المسألة جد خطيرة وأن الغرب مقدم على هجوم مخطط شامل على الإسلام والمسلمين ومن هنا فقد قرر شد الرحال إلى اسطنبول عام 1896 م ليقدم مشروعا لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في شرق الأناضول تقوم بمهمة نشر حقائق الإسلام وعلومه ودعوة المسلمين إلى التقدم العلمي والاهتمام بترقية حياتهم المادية والمعنوية، إلا أنه لم يلق العون من المسؤولين، فرجع خائبا إلى الشرق (9).

وفي سنة 1907 ذهب مرة أخرى إلى اسطنبول. وكانت شهرته العلمية هذه المرة سبقته إليها. فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة، فاعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أبدا.

يسرد العالم التركي السيد «حسن فهمي باش أوغلو» ذكرياته حول لقائه به فيقول :

«عندما جاء شاب يدعى بديع الزمان إلى اسطنبول كنت أدرس في مدرسة «الفاتح» وسمعت أنه علق لوحة على باب غرفته يقول فيها ما معناه «هنا يحل كل أمر معقد ويجاب عن كل سؤال ولكنه لا يسأل أحدا» وقد تبادر إلى ذهني بأن صاحب مثل هذا الادعاء لابد أن يكون مجنونا، ولكن توالى الثناء على «بديع الزمان» من قبل الجميع من الطلاب والعلماء الذين قاموا بزيارته أثار في نفسي الرغبة لزيارته وقد قررت أن اختار أعقد الأسئلة وأدقها لأسأله، وكنت آنذاك أعتبر من المتقدمين المتفوقين في المدرسة. وأخيرا وفي إحدى الأمسيات اخترت من الكتب التي تبحث عن «الإلهيات» بعض المواضيع المعقدة التي لا يمكن الإجابة عليها إلا بمجلدات من الكتب.

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارته ووجهت إليه الأسئلة. وقد كانت أجوبته عجيبة وخارقة ومدهشة، إذ أجابني وكأنه كان معي بالأمس ينظر إلى تلك الكتب

8) السابق 45.

9) السابق 47 ـ 48.

فأصبحت موقنا ومطمئنا بأن علمه ليس كسبيا كعلمنا. بل هو علم لدني» (10).

وفي اسطنبول يقابل السلطان عبد الحميد ويقدم إليه طلبا بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة بجانب المدارس التي تدرس العلوم الإسلامية، حيث كان يؤمن بضرورة الدراسة المندمجة وعدم الفصل بينهما.

ولحماسته الشديدة في عرض رأيه وجرأته على محاسبة السلطان، تحوله حاشيته بعد خروجه إلى طبيب الأمراض العقلية للتأكد من سلامة عقله، فيكتب الطبيب المختص ضمن تقريره «لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد» وعلى إثر ذلك يرسل بديع الزمان إلى وزارة الداخلية حيث يقابله الوزير وتجري بينهما المحاورة الآتية :

الوزير : إن السلطان يخصك بالسلام مع مرتب بمبلغ ألف قرش وعندما تعود إلى بلدك يجعل مرتبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة كهدية سلطانية لك.

بديع الزمان : لم أكن أبدا متسول مرتب، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني لم آت لغرض شخصي وإنما لمصلحة البلد، فما تعرضون علي ليس سوى رشوة السكوت.

الوزير : إنك بهذا ترد الإرادة السلطانية والإرادة لا ترد.

بديع الزمان : إنني أرد لكي يستاء السلطان ويستدعيني عند ذلك استطيع أن أقول له قولة الحق.

الوزير : إن العاقبة تكون غير سارة.

بديع الزمان : تعددت الأسباب والموت واحد، فلئن أعدم فسوف أرقد في قلب الأمة علما بأنني عندما جئت إلى اسطنبول كنت واضعا روحي على كفي.. اعملوا ما شئتم فإني أعني ما أقول. إنني أريد أن أوقظ أبناء الأمة ولا أقوم بهذا العمل إلا لأنني فرد من هذا البلد لا لأقتطف من ورائه مرتبا، لأن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا بإسداء النصائح وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية فإنني معذور إذن عندما أرفض المرتب.

الوزير : إن ما ترمي إليه من نشر المعارف في بلدك هو موضع دراسة في مجلس الوزراء حاليا.

بديع الزمان : إذن فلم يتأخر نشر المعارف ويستعجل في أمر المرتب ؟ لماذا تؤثرون منفعتي الشخصية على المنفعة العامة للأمة ؟ (11).

وفي هذه الفترة، ظهرت آراؤه بوضوح في الإصلاح والدعوة إلى الشورى الإسلامي والعودة إلى الشريعة، سواء في مقالاته في الصحف أو مقابلاته مع المسؤولين أو تجواله بين الناس (12).

ولآرائه تلك حاولت جمعية الاتحاد والترقي الاتصال به وكسبه إلى صفها إلا أن بديع الزمان يفوت عليهم الفرصة ويصفهم بأنهم المعتدون على الدين والدائرون ظهورهم إلى الشريعة.

وفي «سلانيك» طلب اليهودي المشهور «عمانوئيل قره صنو» رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس المبعوثان (النواب) العثماني مقابلته طمعا في التأثير عليه وجره إلى صفه باعتبار شخصيته المشهورة، وقد قبل مقابلته، ولكن ما لبث أن خرج اليهودي من عنده قائلا : «لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني بحديثه في الإسلام» (13).

ومن المعروف في التاريخ العثماني الحديث أن قره صنو هذا هو أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد، وكان من ضمن الداخلين عليه يوم خلعه رحمه الله تعالى، وتألم السلطان جدا عندما رآه !!

وبعد قيام حركة الاتحاد والترقي وثبوت تبعية الإتحاديين إلى الجمعية الماسونية اليهودية في

10) بديع الزمان سعيد النورسي - مصطفى زكي العاشور ص 25، ط 1 ألمانيا الغربية.

11) المصدر السابق 28.

12) سيرة ذاتية 76 - 77.

13) Bilinmeyen Taralariyla Bedüzzzaman Said Nursi 60 7. جوانب غير معروفة من حياة سعيد النورسي. نجم الدين شاهين.

سلانيك (14)، بدأ بديع الزمان يهاجم الاتحاديين من خلال جمعية «الاتحاد المحمدي» فألقي عليه القبض وقدم إلى محكمة عسكرية بدعوى مطالبته بعودة الشريعة وفي المحكمة ألقى دفاعا جريئا صريحا بليغا أثر في رئيس وأعضاء المحكمة فحكموا ببراءته، نقتطف منه ما يلي :

«لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام.. فقد قلت إنني طالب علم لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة. إنني لا اعترف إلا بملة الإسلام، إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله : ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف وتبدو من أعماق القلب، فمن كان غير محرم فلا ينظر إليها : إنني متهيء بشوق إلى قدومي للآخرة... وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق (لما دخل بديع الزمان إلى القاعة، رفع الستار عن جمع من المشنوقين وذلك حتى يرهبوه) تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب اسطنبول ومحاسنها فاشتاق إليها. إن نفيكم إياي إلى هناك لا تعتبر عقوبة... لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد، والآن فإنها تعادي الحياة. وإذا كانت هذه الحكومة هكذا. فليعش الجنون وليعش الموت وللظالمين فلتعش جهنم (15).

وبعد براءته من المحكمة رجع إلى «وان» حيث بدأ بإلقاء دروسه ومواعظه بين العشائر مؤلفا كتابا سماه بـ«المناظرات» (16).

وفي سنة 1911 م زار بلاد الشام وألقى محاضرة علمية بليغة في الجامع الأموي، دعا فيها المسلم إلى الأمل واليقظة والنهوض والتمسك بالإسلام العظيم. وقد طبعت

14) لقد ثبت قطعا أن الاتحاد والترقي، كانت جمعية ماسونية يهودية وأن المقصود منها كان تخريب الدولة العثمانية واسقاطها وتوزيع أملاكها بين الدول الاستعمارية حتى تأتي الفرصة السانحة لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين الذي كان السلطان عبد الحميد معارضا له (دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني) مجلة (آفاق عربية بغداد عدد 9 / 19/5 م) وهو تقرير السفير الإنجليزي في اسطنبول عام الانقلاب وبعده.

15) سيرة ذاتية 13.

16) سيرة ذاتية 14.

هذه الرسالة باسم «الخطبة الشامية» ومن دمشق ذهب إلى بيروت فاسطنبول وقابل السلطان محمد رشاد، فعرض عليه مشروعه القديم بتأسيس جامعة إسلامية في الشرق، فوعده السلطان والحكومة العثمانية وعدا قاطعا بذلك. غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ المشروع.

وفي سنة 1912 م وقبيل نشوب «حرب البلقان» عين بديع الزمان قائدا للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول وقبيل الحرب العالمية الأولى أصبح عضوا في تشكيلات خاصة «وهي مؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية سرية شكلت بأمر من السلطان ووظيفتها هي المحافظة على وحدة أراضي الدولة العثمانية ومحاربة أعدائها، وكان من بين أعضائها كثير من العلماء والكتاب ورجال الفكر (17).

وعلى الرغم من معارضة النورسي لدخول الدولة العثمانية في الحرب، غير أنه لما أعلنت اشترك هو وتلاميذه الثلثمائة في مدرسته في الحرب ضد روسيا التي هاجمت من جهة القفقاس. وعندما دخل الجيش الروسي مدينة «بتليس» دافع هو وتلامذته عن المدينة دفاعا مستميتا، حتى جرح جرحا بليغا وأسر من قبل الروس وأخذ إلى شرق روسيا.

وفي الأسر وقعت له حادثة كادت أن تؤدي به إلى الإعدام وتفصيلها على ما يلي :

كان خال القيصر والقائد العام للجبهة الروسية «نيكولا نيوكلافيج يزور الأسرى فقام جميع الأسرى لأداء التحية ما عدا «سعيد النورسي».

لاحظ القائد العام ذلك، فرجع ومر ثانية أمامه، فلم يقم له كذلك، وفي المرة الثالثة وقف أمامه وجرت بينهما المحاورة الآتية بوساطة المترجم :

ـ الظاهر أنك لم تعرفني ؟

ـ بلى... لقد عرفتك، إنك نيوكلا نيوكلافيج، خال القيصر والقائد العام في جهة القفقاس.

إذن فلم تستهين بي ؟

17) بديع الزمان 35 ـ 36.

- كلا، إنني لم أهن أحدا وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي ؟

- وماذا تأمرك عقيدتك ؟

- إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيمانا، فالذي يحمل في قلبه إيمانا هو أفضل من الذي لا إيمان له. ولو أنني قمت لـــك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيـــدتي ومقدساتي، لذلك فإنني لم أقم لك.

- إذن فإنك بإطلاقك علي صفة عدم الإيمان تكون قد أهنتني وأهنت جيشي وأمتي والقيصر كـذلـك، فيجب تشكيل محكمة عسكرية للنظر في هذا الأمر.

تشكلت المحكمة العسكرية وقدم إليها سعيد النورسي بتهمة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي.

ويسود حزن عميق في معسكر الأسرى، ويلتف حوله الضباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين ملحين عليه القيام بالاعتذار للقائد الروسي وطلب العفو منه، إلا أنه رفض بإصرار قائلا لهم :

«إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ﷺ لذلك فإنني بحاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا استطيع أن أعمل بما يخالف إيماني.

وتصدر المحكمة قرارها بإعدام النورسي، وفي يوم التنفيذ تحضر ثلة من الجنود على رأسها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام ويقوم سعيد النورسي من مكانه بابتهاج قائلا للضابط الروسي :

«أرجو أن تسمح لي قليلا لأؤدي واجبي الأخير» فيقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.

ويؤثر هذا المنظر الرهيب في نفس القائد العام الروسي الذي كان واقفا يراقب الأمر عن كثب، فيتقدم إلى النورسي ويقول له بعد فراغه من صلاته : «أرجو منك المعذرة، كنت أظنك قد قمت بعملك قاصدا إهانتي ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما تأمرك به عقيدتك وإيمانك، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة، وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك وأرجو المعذرة مرة أخرى» (18).

18) بديع الزمان 39.

وبعد أن مكث سعيد النورسي في الأسر حوالي سنتين ونصف، عانى من الوحدة والوحشة والغربة الكثير، هرب منه بأعجوبة إثر حدوث الثورة على القيصرية، فوصل إلى ألمانيا مارا بوارشوا وفينا، ثم عاد إلى اسطنبول فعين عضوا في دار الحكمة الإسلامية سنة 1918 م، وكانت عضوية الدار يومئذ لا توجه إلا إلى كبار العلماء. وكان أحد أسباب ترشيح النورسي اطلاعه الواسع على العلم الحديث (19).

وقد خصصت له الحكومة راتبا كبيرا، كان يأخذ منه قدر حاجته والباقي يطبع منه كتبه ورسائله الإسلامية فيوزعها مجانا على الناس.

وبعد دخول الجيوش الاستعمارية إلى اسطنبول، أحس «النورسي» أن طعنـــة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتاب سماه ب «الخطوات الست» وأخذ ينشره بمساعدة أتباعه وأصدقائه وطلابه سرا بين الناس، وقد هاجم فيه الانجليز والمستعمرين بشدة ودعا إلى الجهاد ضدهم وحارب اليأس الذي استولى على كثير من الناس (20).

وعندما قامت حركة المقاومة ضد المحتلين في الأناضول أصدر مع مائة وإثنى عشر مفتيا وعالما فتوى بتأييد الحركة، ولشهرته وجهاده ضد أعداء الإسلام دعي من قبل حكومة أنقرة عدة مرات، فتوجه إليها سنة 1922 م حيث استقبل في المحطة استقبالا حافلا، ولكن سرعان ما خاب ظنه في رجالات هذه الحكومة، إذ وجد أن معظمهم لا يصلون ولا يؤدون الفرائض الإسلامية الأخرى، ولا يهمهم من أمر الإسلام شيء بل يريدون ابعاد تركيا عن الإسلام نهائيا، فوجه إلى المجلس خطابا بليغا مؤثرا بدأه بقوله :

«أيها المبعوثون، إنكم مبعوثون ليوم عظيم» فرجع على أثره ستون نائبا إلى أداء فريضة الصلاة، فأزعج هذا مصطفى كمال. فحصلت بينهما مشادة عنيفة. وكان مما قاله له :

- لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول

19) 220 النورسي (اللمعات) Lemaler

20) سيرة ذاتية 123.

عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس.

فأجابه بديع الزمان مشيرا إليه بأصبعه في حدة :
«يا باشا... باشا... إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود.

وقرر الباشا على أثره ابعاده إلى شرق الأناضول عن طريق تعيينه واعظا عاما هناك، ولكن النورسي رفض ولم يذهب. فظل في أنقرة يؤلف الرسائل في اثبات وجود الله وترسيخ العقيدة الإسلامية، لمقاومة الانحراف الذي بدأ يدخل في المجتمع نتيجة لتأثر كثير من أفراده بالمذاهب المادية التي جاءتهم من الغرب (21).

بعد ثمانية أشهر قضاها في أنقرة قرر التوجه إلى مدينة «وان» في سنة 1923 م وكان يقضي أيامه في خرائب قديمة مهجورة على جبل «أرك» متعبدا متأملا. ومع ذلك فإن الحكومة لم تطمئن لوجوده طليقا فأرسلت ثلة من الجند اعتقلته ونقلته إلى أسطنبول ومنها إلى قرية نائية تسمى «بارلا» فوق سلسلة من جبال طوروس العالية. وقد اعتقد الحكام يومئذ أنهم بنفيهم الأستاذ قد قضوا عليه وعلى طاقاته في قيادة حركة مقاومة الإلحاد والاستبداد ومحاربة الإسلام، لكنهم كانوا مخطئين، إذ غدت هذه المنطقة النائية مصدر اشعاع كبير للإسلام، ففيها كتب الأستاذ رسائله العظيمة في بيان حقائق الإسلام ومحاربة التيارات الملحدة والمشككة ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم وإسلامهم (22).

ولقد تسربت هذه الرسائل بطرق مدهشة، عبر قنوات كثيرة، واستنسخت منها مئات الألوف من النسخ اشترك في كتابتها الرجال والنساء وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، فنبهت الناس إلى حقيقة الإيمان وقضية الإسلام وأنقذت الكثيرين من المخطط الفكري الرهيب لفصل

21) بديع الزمان 47.
22) سيرة ذاتية 127 ـ 128.

المسلمين عن عقيدتهم وحضارتهم والذي شن على الإسلام وأهله بذكاء وتخطيط اشتركت فيه أجهزة الإعلام كلها.

وفي سنة 1932 صدرت الأوامر بمنع الأذان باللغة العربية ولم ينفذ الأستاذ وجمع من تلامذته معه هذا القرار، فكانوا يؤذنون في داخل المسجد باللغة العربية فاكتشفت السلطات هذا، فنقلت النورسي على أثره إلى «اسبارطة» حيث ظل هنالك أشهرا يؤلف رسائل النور، وفي صباح أحد أيام عام 1934 م شنت حملة اعتقلات واسعة بين طلبته شملت النورسي نفسه، فقدم إلى محكمة عسكرية وحكم عليه بالسجن أحد عشر شهرا (23)، بتهمة تأليف رسالة يدعو فيها النساء إلى الحشمة والتستر.

وقد ألقى الأستاذ دفاعا مشهورا أمام المحكمة نقتطف منه ما يلي :

«لقد جيء بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي اتخذ الدين سبيلا إلى الإخلال بالأمن العام وإنني أقول لكم إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاتبة عليه. فعود الكبريت يمكنه إحراق بيت ولكن هذا الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة.

إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلا رضى الله تعالى وحاشا أن يخدم أي غرض غير ذلك.

لقد تساءلتم هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية ؟ وإنني أقول لكم : إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة... إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن أحدا لا يدخل الجنة بغير إيمان.

وتقولون : من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك في جمعية، وإنني أسأل هؤلاء : ومن أين لهم الوثائق التي أثبتوا بها أنني اشتغلت بجمعية أو قمت بأي نشاط يحتاج إلى المال ؟

23) سيرة ذاتية 135 ـ 136.

وتعترضون قائلين : إنني لست موظفا في ما أعمل فيه. وللتدريس مديرية خاصة ينبغي أن اتلقى الإذن منها أولا !! ولكن أقول لكم : لو أن أبواب القبور كلها أغلقت وأعدم الموت من الوجود لجاز أن ينحصر الأذن في دائرتكم، أما وان ثلاثين ألف جنازة تنادي كل يوم نداء الموت وتوقع على حكمه فإن هذا يعني أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيرا مما انحصر في دائرتكم وأحكامكم (24).

وبعد أن قضى بديع الزمان هذه المدة في سجن «اسكى شهر» نفي إلى مدينة «قسطموني» سنة 1936 م حيث بقي فيها تحت الإقامة الإجبارية في بيت مقابل مركز للشرطة سبع سنوات مستمرا في كتابة رسائل النور التي انتشرت بسرعة فائقة في كل مدينة وقرية في أنحاء تركيا كلها. ولقد كان انتشار هذه الرسائل مصدر إزعاج كبير للدولة. ولذلك فإن «النورسي» قد قضى معظم حياته ينتقل من محكمة إلى محكمة ومن سجن إلى سجن، وكان يلقى في كل مرة أمام المحاكم دفاعا بليغا منطقيا مسندا بالأدلة الدامغة، عارضا مأساة الإسلام والمسلمين بكل قوة وشجاعة.

وفيما يلي مقاطع لدفاع مشهور له أمام محكمة «دنيزلي» التي اتهم أمامها بتأليف جمعية دينية سرية وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية وقلب نظام الحكم.

«نعم نحن عبارة عن جمعية، وإنها لجمعية تحوي في كل عصر على (أربعمائة) مليون من الأعضاء المنتسبين إليها. وهم في كل يوم يعبرون خمس مرات دائما عن أتم علاقتهم بالدستور العظيم لهذه الجمعية. وهم يتسابقون دائما إلى تحقيق أهم شعائرها ألا وهو ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ فنحن من أفراد هذه الجمعية المقدسة العظيمة. وظيفتنا تعريف هؤلاء الاخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفا علميا راسخا وذلك تعاونا منا على اعتاق أنفسنا من سجن الأبدية الذي يتهددنا.

بأي وجه تستطيعون إيقاف حركة «رسالة النور» وإنما هي عبارة عن خدمة حقائق القرآن، والقرآن حقيقة مرتبطة بعرش الله العظيم ومن ذا الذي يستطيع أن يناطح حقيقة ترتبط بعرش الله تعالى ؟

إنني لا أتوجه في بياني هذا إلى أعضاء هذه المحكمة فقط. بل إلى تلك الجماعة المتآمرة في اسبارطة أيضا.

إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية ؟ على حين يحق لمارق مثل (الدكتور دوزى) أن يفتري على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعتبر ذلك أمرا مقدسا، لأنه حرية للرأي والفكر. هذه حرية للرأي والفكر !! أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره فهو خطورة تنهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة...

أما عن الجمهورية العلمانية فنحن نعلم أنها تلك التي لا تتعرض للدين في خير أو شر. ولكن ها أنتم أولاء تفسحون الطريق أمام كل جريمة وفاحشة خلقيه وكذب على الله والكون باسم الحرية الوحدانية والفكرية. حتى إذا تنبهتم لآية من القرآن تفسر وتجلى حقائقها رفعتم أصواتكم بالنكير وقلتم : جمعية سرية ،،سياسة،، وخطورة !!.

إن المسألة إذن من الخطورة والإجرام بحيث تحاولون أن تستروها برداء العلمانية...

فإن كان الأمر كذلك فاعلموا أنه لو كانت لي ألف روح فأنا على استعداد أن أفدي كل ذلك في سبيل أهم حقائق الكون. ألا وهو دين الله تعالى. وسأحتمي منكم بحصن واحد فقط هو : حسبنا الله ونعم الوكيل.

إنكم تدورون ثم تقولون : إن أعمالي الدينية ما هي إلا استغلال ووسيلة للإخلال بالأمن. ولكن أقول لكم بالمقابل إن دعواكم هذه ليست إلا استغلالا ووسيلة لإعدام الدين باسم المحافظة على الأمن.

إنكم تعلمون أن رسالة النور تضيء منذ عشرين عاما،

---

24) السابق 143 ـ 146.

فهل سجلتم منذ ذلك اليوم إلى الآن حادثة واحدة أخلت بالأمن ؟

إذن فاسمعوا يامن بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم بالكفر المطلق، إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة : افعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام».

ويقول في مكان آخر من ذلك الدفاع التاريخي المجيد :

«أيا من بعتم دينكم بدنياكم. أيها الكافرون التعساء، انفقوا ما شئتم. ستكون الدنيا وبالا عليكم. لقد فُديت هذه الدعوة المقدسة بملايين الأبطال ونحن مستعدون بأن نفديها بأرواحنا. إننا نفضل البقاء في السجن ألف مرة على أن نرى الحرمات تنتهك. في ظل هذا الاستبداد لا يمكن أن يقال هنالك حرية، حرية العلم أو حرية الضمير أو حرية التعبير أو حرية الدين...

إنكم إذ تصدرون هذه الأحكام على رسائل النور وطلابها وتدعون الكفر والإلحاد وتحاولون حجب الحقائق القرآنية والإيمانية عن عيون البشر، وتريدون بذلك سد الطريق الذي سار عليه ملايين بل مئات الملايين من المسلمين ووصلوا إلى السعادة الأبدية الحقيقية...

إن الزنادقة والمنافقين غرروا بكم وصفعوا العدل والحق وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساسية إلى مشاغل لا فائدة منها، واتخذوا من الاستبداد جمهورية والردة نظاما ومن الجهل والسفه مدنية ومن الظلم قانونا وبذلك خانوا وطنهم وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها» (25).

ولعله قد بلغ أقصى مدى في أحد دفاعاته في أخريات أيامه عندما قال «ألا فلتعلموا جيدا بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة» (26)

واستمر الأستاذ النورسي على هذه الحال من إقامة جبرية إلى سجن، إلى سنة 1950 م حيث جرت أول انتخابات حرة في البلاد أتت بالحزب الديمقراطي إلى الحكم الذي بدأ يخفف الحملة الوحشية التي شنت على الإسلام ربع قرن كامل حيث سمح لأول مرة لرسائل النور بالطبع والنشر وللنورسي بالحركة المقيدة المحددة بين المدن التركية.

وظل الأستاذ نشيطا في توجيه وتربية تلامذة النور، يكتب لهم ويرشدهم ويشرف على طبع رسائله وكتبه حتى وفاته في الخامس والعشرين من رمضان سنة 1379 م المصادف للثالث والعشرين من آذار سنة 1960 م (27).

تراثه :

اشتهر النورسي بتأليف رسائل في موضوعات العقيدة الإسلامية، كلياتها وجزئياتها، سماها برسائل النور. ومن المؤكد أن ثقافته الواسعة في العلوم الإسلامية وهضمه للمعارف الإنسانية في عصره وذكائه الحاد وخياله الخصب وقدرته على التأمل العميق هو الذي حدد الطريق أمامه لإملاء تلك الرسائل التي استوحاها من القرآن الكريم مباشرة. ولم تكن عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها، لأنه كان في سجن ونفي مستمرين. ويتجاوز عدد تلك الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية وهي موزعة على الوجه الآتي :

المقالات (Sözler) وتضم ثلاثا وثلاثين رسالة (مقالة) في ستمائة وخمسين صفحة.

- المكتوبات (Mektubat) وتضم ثلاثة وثلاثين مكتوبا في أربعمائة وخمسين صفحة.

- اللمعات (Lemalar) وتضم ثلاثا وثلاثين لمعة في أربعمائة وثلاثين صفحة.

---

25) بديع الزمان 73 ـ 74.

26) بديع الزمان 84 ـ 88.

27) ورسالة (لا تنطفي) 25 309 Svalar

ـ الشعاعات (S ualar) وتضم خمسة عشر شعاعا في ستمائة وأربعين صفحة.

ـ ملاحق، مثل ملاحق بارلا وملاحق قسطموني في مائتين وأربع صفحات وملاحق أمير داغ في جزئين الأول منهما مائتان وأربع وثمانون صفحة والثاني مائتان وعشرون صفحة.

ـ وهنالك رسائل أخرى في مسائل إسلامية دقيقة أو في الدعوة لتثبيت تلامذته، كانت سرية تتداول بينهم ثم كشفت وطبع بعضها في مجلد مستقل في مائتين وعشرين صفحة بعنوان «ختم التصديق الغيبي».

ـ وهنالك رسائل أخرى مستقلة في كتب صغيرة منها : المدخل إلى عالم النور ومفتاح النور والمحاكمات وسيرة ذاتية.

ـ رسائل كتبها باللغة العربية وهي خمس عشرة رسالة أهمها المثنوى العربي النوري واشارات الاعجاز.

والجدير بالذكر أن تأليف رسائل النور جميعها استغرق من سنة ألف وتسعمائة وست وعشرين إلى ألف وتسمائة وخمسين ميلادية.

وقد يسأل سائل فيقول : ما السبب الذي دفع النورسي لتأليف هذه الرسائل ؟ وفي سبيل بيان ذلك ننقل ما ذكره الأستاذ مصطفى زكي العاشور في كتابه القيم (بديع الزمان سعيد النورسي) «في تلك السنوات الحالكة كان الإسلام يتعرض لزلزال كبير في تركيا، فالحرب ضد الإسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والإعلام التي تملكها وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الإسلام من الكتاب والصحافيين في الوقت الذي كممت فيه أفواه دعاة الإسلام وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم. لذلك فقد تعرضت أسس الإسلام وأصوله ومبادئه الأولية إلى الشك والإنكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشدا وموجها. لذلك فقد قرر الأستاذ سعيد النورسي أن يحمل تلك الأمانة الكبرى على كاهله وأن يحاول إنقاذ الإيمان في تركيا... نعم إنقاذ الإيمان، تلك كانت هي المسألة الرئيسية التي لا تحتمل التأجيل أو التسويف أو الاهتمام بأي أمر عداها» (28).

ولقد شعر النورسي أنه في عصر جديد، جديد في أفكاره، جديد في أساليب التعبير عنها، بكثرة أنماط التحديات والهجمات الفكرية المركزة على أصول العقائد الإسلامية، بقصد تشكيك المسلمين في قرآنهم وسنة نبيهم وحضارتهم وتاريخهم.

وأدرك كذلك أن مواجهة هذه الموجات العنيفة الحديثة لا يمكن أن يفيد معها أسلوب علم الكلام القديم، وإنما يحتاج إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، علمي في أدلته، واقعي في معالجته، منسجم مع روح العصر، معبر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعا.

وقد أجاب هو على سؤال وجه إليه بهذا الخصوص فقال : «إن مصنفات أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للأولياء الصالحين تبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه وفي موضوعات معرفة الله سبحانه وتعالى. ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه. إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة. أما الآن فإن هناك هجوما جماعيا منظما عنيفا على أركان الإيمان وجذوره لا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب، أن تقف أمام هذا التيار القوي ولا أن تقاومه وتصده.

أما رسائل النور، فلأنها معجزة من معجزات القرآن الكريم، فإنها تقوم بإنقاذ أسس الإيمان وإثباته بإقامة البراهين الساطعة والدلائل العدة لإثباته (29).

ولقد صدق من وصف رسائل النور بأنها «تنور هذا العصر والذي يليه، وتخاطب الإنسانية قاطبة بحقائق القرآن الكريم. فتستجيب لكافة حاجات الإيمان والإسلام والفكر

---

28) الجوانب المجهولة من حياة النورسي Bilinmiyan Traflarele Norsi 403

29) ص 65 ـ 66.

والروح والقلب والعقل بما يشبع كلا منها» (30).

ويمكن أن يلخص هدف النورسي وطبيعة رسائله بأنه.

«كتاب شريعة وعقائد، وكتاب دعاء وحكمة، وكتاب عبودية ودعوة، وكتاب ذكر وفكر، وكتاب حقيقة وتصوف، وكتاب منطق وعلم كلام، وكتاب حث على العمل وإلجام للمعارضين وإسكات لهم» (31).

والمدقق في هذه الرسائل يستطيع بكل وضوح أن يعدها تفسيرا للقرآن الكريم. ولكن ليس من نوع تفسير الألفاظ والتراكيب وإنما من نوع إثبات حقائق ومعاني الآية الكريمة بتوضيح وبيان تلك الحقائق (32).

وأما أسلوب هذه الرسائل فنراه لينا رقيقا جدا وكأنه همسات قلب، ونراه أحيانا أخرى أسلوبا علميا دقيقا ذا عبارات منطقية فطرية تستدعي تركيزا فكريا، وينقلب الأسلوب في حالة الدفاع أمام المحاكم إلى أسلوب قوي هادر كالأمواج المتلاطمة.

وليست هذه الأجواء مفصولة بعضها عن البعض وإنما قد تجدها في الرسالة الواحدة، ذلك لأنها خطاب للعقل بإقامة موازين منطقية وفطرية دقيقة وإثارة لكوامن الإيمان الفطري في الأرواح بفتح منافذ منها إلى التأمل في العالم ورؤية تجليات الأسماء الحسنى على الموجودات زيادة على أخذه بيد قلب الإنسان في سيره الروحي وسموه إلى مراتب دقيقة لتتوضح الرؤية أمامه ويقف أمام تحديات الطغيان والضلالة. وفي خلال كل هذا إطلاق للخيال ليسرح في مجاله وليؤدي دوره في إشباع فطرة الإنسان (33).

ترجمة رسائل النور إلى العربية

- ترجم الأستاذ خليل عبد الكريم الماردينى رسائل «المعجزات القرآنية» و«الحشر» و«المعجزات الأحمدية» و«الحزب الأكبر النوري» في مجموعة واحدة، سماها «ذو الفقار» في حوالي أربعمائة وعشر صفحات.

- ترجم الأستاذ احسان قاسم الصالحي من رسائل النور المجموعات الآتية :

1 ـ قطوف من أزاهير النور في مائتين وخمس وثلاثين صفحة. صدر في بغداد / مطبعة العانى 1403 هـ ـ 1983 م.

2 ـ رسالة الحشر في مائة وست وعشرين صفحة. صدر ببغداد / 1403 هـ ـ 1983 م.

3 ـ الآية الكبرى في مائة وخمس وستين صفحة. صدر ببغداد / 1403 هـ ـ 1983 م.

4 ـ زهرة النور في أربع وتسعين صفحة. صدر ببغداد / 1404 هـ ـ 1984 م.

5 ـ الملائكة وبقاء الروح والآخرة ثلاث وثمانين صفحة صدر بالموصل 1404 هـ ـ 1984 م.

6 ـ الشيوخ في ثلاث وتسعين صفحة صدر بالموصل 1404 هـ ـ 1984 م.

وهو عازم على ترجمة ما يستطيع أن يترجمه بالتتابع في المستقبل إن شاء الله كي لا يحرم قراء اللغة العربية من هذه الرسالة الإسلامية العظيمة.

(يتبع)

د. محسن عبد الحميد

30) ملحق قسطموني 10 - Kastamoni Lahikasi
31) سيرة ذاتية 143.
32) ملحق امير داغ. 97 Emirdag Lahikasi
33) سيرة ذاتية 143.



إحياء كراسي العلم بجامع القرويين

للأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون

كراسي الهدى

للأستاذ محمد بن حماد الصقلي

إحياء كراسي العلم بجامع القرويين

للأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون

كان التدشين تحت رئاسة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري مساء يوم الجمعة 9 محرم الحرام 1405 موافق 5 أكتوبر 1984.

تحيـــة لـــك مني، سيـــد البشر
يـــا منبع الجـود، والإحســـان، والظفر

يـا من دنـا قـاب قـوس، وانثنى بهـدى
ينجـاب في الكـون مثـل الشمس، والقمر

يـــا من حبـــاه إلاه الكـون معلمـــة
من المنــــاقب، والآيــــات، والغرر

☆ ☆ ☆

يـــا من أطـــاح بكسرى في مسيرتـــه
وجـاء بـــالبشر بعـد الجهـل والكـــدر

يـا من تــدفـق مــاء من أنــاملــه
وفـــاه بـــالكلم الفصحى عن القـــدر

☆ ☆ ☆

أميـــة أفحمت من كـــان ذا لسن
ومنطـــق، ذرب، نــــاء، عن الحصر

في سنـــة، جمعت دينـــا، وواكبهـــا
نـــور، ونـــور تجلى زينـــة النظر

☆ ☆ ☆

هـــذا اليتيم الـــذي آواه خـــالقـــه
ففـــاز بـــالخلـق(1) الأعلى بـــذي سـور

نبـوة المصطفى من فيض خـــالقنـــا
رســـالـــة لم تـــدع خيرا، ولم تـــذر

ومنهـج، مـــالـــه في الكـون من شبـــه
سطـــا على الكفر، فـــاستخـــذى بمنحـــدر

☆ ☆ ☆

في هجرة مـــأثرات، جـــد مشرقـــة
أتت، لتفصـــل بين الجـــد، والخـــور

قـــد عـــزز اللـــه بـــالأنصار، سيـــدنـــا
محمـــــدا : خير مبعـــوث، ومنتظر

وقـــد أتت هجرة منـــه بمكرمـــة
جلت عن الـــوصف، في قـــول، ومـــنطر

☆ ☆ ☆

يـــا جـــامع القرويين الـــذي حفلت
ـشـــوه بـــالعلم، والمحمـــود من سير

يحيي كراسي علم فيـــك عـــاهلنـــا
قطب العلى، وسليـــل المصطفى المضري

فتـــابـــع السير في أمن، وفي دعـــة
ولـــذ بظـــل الـــذي يرعـــاك بـــالـــوطر

---

(1) في القرآن العظيم : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وافح لجمهور طلاب، قد استبقوا
إليك، صدر حنو، ناعم الوزر

فالعلم ما لم يصر ملكا لحامله
فإنه سوف يبقى نائم النحر

فأنت بيت الحجا، والشرع، من زمن
وأنت بيت الهدى، للبدو، والحضر

☆ ☆ ☆

بنتك فهرية(2) فضلى، قد ادخرت
عند الإلاه، ثواب الراحل، النخر

فعاش فيك رجال من فطاحلنا
يعلمون، بلا عنف، ولا بطر

وخلفوا فيك للأجيال قاطبة
مخطوط ما قطفوا من يانع الثمر

☆ ☆ ☆

بالمتن والسند العالي تأثل ما
حفظت للشرع من آياتك الكبر

بالفقه، والنحو، والتجويد، يغمره
توحيد خالقنا الهادي لمدكر

وبالحديث، وبالآداب عالية
والفلسفات، التي جادت بمنهمر

من لب معقولهم، شعت، ومنقولهم
شمس المعارف، تهدي لب مزدهر

وبالأصول، وبالصرف الذي بهرت
فنونه، وحساب متقن النظر

وبالفرائض، في الميراث قد برعت
أقلام جلتنا، والمنطق العطر

وبالبلاغة، والتفسير، يجمع ما
وعت فنون، من الأخلاق، والصور

. أفدت طلاب علم، من دنا بشر
أتوك، يا جامع الموزون من فكر

☆ ☆ ☆

ولم تحرك صروف جمة عصفت
فلم تبال بها في سالف العصر

يهدي لسلطان طلاب، بنزهته
ساعات سلطنة، ممتازة الأطر

رفعا لشأن علوم الدين، من زمن
يا جامعا مفردا، في عالم البشر

يا جامعا كنت في قلب الكفاح، شجى
في حلق مستعمر، مخشوش، خطر

والسادة العلماء الغر، ديدنهم
تبليغ ما حملوا في الصدر : من غرر

☆ ☆ ☆

وفي المواسم، يلقون الدروس على
طلابهم، في ليالي الأنس، والسهر

وهذه ملكات العلم، مطلب من
يغدو، ويمسي، شغوف الورد والصدر

☆ ☆ ☆

وزارة الوقف، لم تبرح مواكبة
تجود بالقوت، والسكنى، لكل حري

ومذ قرون خلت، كانت مصالحها
للهائمين بعلم الدين، حضن ثري

☆ ☆ ☆

يا جامع القرويين، استعز بما
يجد من سند، يفتر عن زهر

تهدي، وتستقبل الأعلام، من وطن
للصالحات من الأعمال مدخر

☆ ☆ ☆

هذا اتحاد له في قلب مغربنا
وقلب ليبيا، مكين الوقع من أثر

شعبان، قد نطقا : جهرا يقول : نعم
أنعم بشعبين : صانا وحدة النظر

☆ ☆ ☆

يا جامع القرويين، الذي عمقت
بحوثه، وتجلت غرة الغرر

يا جامع القرويين، الذي شملت
دروسه، كل علم، يانع الثمر

في كل لفظ، ومعنى أنت جوهرة
في تاج إسلامنا، يا حصن مبتكر

☆ ☆ ☆

تترى عليك صلات العرش من زمن
أكرم بعرش، أثيل، في الورى، نضر

فديت بالروح، عرشا، لم يزل قبسا
فديت بالروح، شرعا، خالد الأثر

☆ ☆ ☆

دعاؤنا لمليك، مصلح، حسن
نراه مسك ختام، طيب، عطر

وللأثيل : ولي العهد مقتديا
بيد، ولصنو ريق العمر

الحاج أحمد ابن شقرون

---

2) في عام 245 هـ

كراسي الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام تحية أرفعها إلى جلالة الملك بمناسبة أمره الحكيم
بإحياء الكراسي العلمية، حفظه الله وأبقاه ذخرا للبلاد والعباد!

للأستاذ محمد بن حماد الصقلي

أراك سعيد النفس يغمرك البشر … كأن المحيا في بشاشته بدر

لسانك يتلو آية تلو آية … في الحمد فالإطراء شأنك والشكر

وموجة أفراح تعم فلا ترى … بفاس سوى الأفواج مظهرها البشر

أجل حق لي ذاك السرور وضعفه … وحق لفاس فرحة مالها حصر

لقد حقق الله الأماني فهاذه … مطامح أحلام يوفرها الحر

هو الحسن الثاني فكل كريمة … بهمته فالعسر من أمرها يسر

فأعظم بحامي الدين والعلم والإخا … وأعظم بأعمال يخلدها الدهر

كراسي الهدى بالأمس أعلى منارها … فأنوارها عمت وضاء بها القطر

وهاذي كراسي العلم تبعث إنه … ليوم مجيد لا يضاهي له قدر

كأني بأقطاب العلوم وقد علت … منابرها في كل سارية بحر

يحيط به طلابه قد تعطشوا … إلى العلم كالظمآن ينجده القطر

كأني بها تحكي بذورا وحولها … نجوم فهم في الأرض أنجمها الزهر

وعامة هذا الشعب تعشو لنورها … فتدرك أحكاما بها ينشط الفكر

إلى القرويين البها قد أعاده … إمام الهدى والخير فهو بها بر

إذا كنت يا عبد الكبير مدشنا … بأمر المومنين فذا بشر

عهدتك سباقا إلى الخير تهتدي … على هدي إسلام يحالفك النصر

أيا مستشار النصح كم لك من يد … بلادك لا تنسى كفاحا له ذكر

كفاحك في عهد الشباب تواصلت … عراه فكل المجد أنت له ذخر

أدام إلاه العالمين إمامنا … ودام لنا شبل وإخوانه الغر

محمد بن حماد الصقلي

رسائل جامعية:

أحمد بن المامون البلغيثي

العلامة الأديب الشاعر

للأستاذ محمد العلمي

قام الأستاذ محمد العلمي أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، بتحقيق الجزء الأول من الديوان الضخم:

«تبسم ثغور الأشعار بتنسم عبير الأفكار» للعلامة الأديب الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي مع دراسة ضافية لشعره من خلال الديوان تناولت عمر الشاعر «1282 هـ - 1865 م = 1348 هـ - 1929 م.

كما تناولت حياته وشخصيته وآثاره وشعره.

وقد تقدم بذلك لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس الجراري.

وقد نوقشت هذه الرسالة بكلية الآداب جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس بتاريخ الاثنين 22 رمضان عام 1403 هـ = 4 يوليوز 1983 م ونالت النجاح بميزة حسن.

وفيما يلي نقتطف المبحث الأول والسادس من الفصل الثاني من الباب الأول من الدراسة المذكورة، عن الأديب الشاعر وعن بعض مميزات شخصيته.

الفصل الثاني :

حياة الشاعر

1 ـ نسبه ونشأته :

الأديب الشاعر أحمد البلغيثي العلوي الحسني، المغربي وطنا، الفاسي نشأة ودارا، المالكي مذهبا.

هو أحمد بن المامون نقيب الشرفاء العلويين بفاس. ابن الطيب بن المدني بن عبد الكبير بن عبد المومن بن محمد (فتحا) بن عبد المومن بن عبد الكبير بن علي بن يوسف بن عبد الواحد أبي الغيث بن يوسف بن علي الشريف بن الحسن ابن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن أبي القاسم ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت محمد ﷺ وآله وصحبه (1).

والبلغيثي نسبة إلى جده أبي الغيث، قال في كتابه «تحبير طرسي بعبير نفسي في التعبير عن نفسي» : «البلغيثي بضم الباء في الأصل على ما يظهر، لأنه نسبة إلى جدنا الحادي عشر أبي الغيث لقب لا كنية، واسمه عبد الواحد، أخبرنا سيدنا الوالد ـ رحمه الله ـ أنه قلما يسافر أحد منا إلا وينزل المطر في سفره ولو في الصيف. ولعل هذا بحسب الغالب، وكذا أفراحنا قلما تخلو من مطر فيها» (2).

وقال في كتابه المذكور : «وكنت نظمت عمود نسبي، بعد أن حققته وتحققته، وعن جماعة من المؤرخين والنسابين وجدته بقولي :

يقول أحمد الفقير الجاني
المرتجي لرحمة الرحمان
الحسن العلوي البلغيثي
الملتجي لربه المغيث
الحمد للـه على الإنعام
بنعمة الإيمان والإسلام (3)

وعلق على هذه القصيدة الطويلة بقوله : «وحين نقلت هذا الرجز من محله القديم، إذ كنت أنشأته من قديم، استشعرت بنعمة الله ذي الفضل العظيم علي في أزله القديم، بهذا النسب الكريم، فقلت :

حمدت إلهي إذ حباني بجوده
وألبسني ثوبا من المجد سابغا
وأنعم لي بالكون من نسل هاشم
ومن بضعة المختار أصبحت نابغا (4)

ولد الشاعر أحمد البلغيثي بمدينة فاس في بيت عز ومجد شامخ راسخ في شهر رمضان سنة (1282 هـ ـ 1865 م) وتربى في حجر والده أحسن تربية من المحافظة على الدين، والتحلي بالفضيلة، وسلوك سنن المهتدين.

وكان أحد أجداده المدعو الحسن بن القاسم هو القادم من الحجاز، وقد انتقل أحد أجداده وهو عبد المومن من منازل آبائهم الأولى إلى قبيلة بني يازغة قرب مدينة فاس، ومنها انتقل إلى هذه المدينة، وقد زار الشاعر ضريحه بالقبيلة المذكورة في السابع من شهر شعبان عام 1345 هـ كما يحكي في ديوانه. وفي ذلك يقول :

جئت إلى بني يازغه
وكنت أسمع بها زائغه
وثم لي جد دفين بها
ذو قبة وحرمة بالغه
زرته دون طمع في الذي
له من الهداية السابغه
فنالنا منه كبير الجدا
بحكم رؤيا ما ترى زائغه (5)

وقال الشاعر البلغيثي في كتابه : «شرح الرحلة» (6) عن مدينة فاس:«وفاس بلدنا المعروفة، التي هي عند العموم

---

1) نقلت عمود هذا النسب من المقدمة التي كتبها ابن الشاعر عبد الملك لكتاب والده «تشنيف الأسماع» ج 1. وقابلته بما في كتابه «تحبير طرسي» مخ في ملك ابنه المذكور ص 4.

2) كتابه المذكور ص 7.

3) المصدر السابق ص 9 وعدد أبيات هذه القصيدة إثنان وخمسون بيتا.

4) المصدر السابق ص 10. وهذه الأبيات بديوانه ج 2 ص 35 ن «ب».

5) ديوانه ج 2 ص 35 ن «ب».

6) أي الرحلة الموهوبة النجازية في الرحلة الميمونة الحجازية مط. وقد وضع عليه شرحا لا يزال مخطوطا توجد منه نسخة مصورة عن الأصل بالخزانة الصبيحية بسلا تحت عدد 6015.

بكل فضل موصوفة، وهي بلدي وبها مولدي» (7). وفي شعره ما يكشف لنا بجلاء عن عميق حنينه الجارف نحو هذه المدينة.

نشأ الشاعر في بيت شهير المجد ونباهة الذكر، وعلو القدر، وأصالة حسب وشرف محتد، تعدد فيه الفضلاء والعلماء والأدباء والكتاب، وكان في صغره محاطا برعاية أبيه وعطفه، وفي شعره ما يصور بعض ملامح هذه النشأة إذ يقول :

تربيت في حجر العفـــاف وفي الغنى
وشبت وما أدري الخصاصة والقلا

فمن كان في أصـــل أصيـــل من العلى
وكان على يسر فما لـه والـذلا ؟

أمـــا اللـــه أغنـــاني بهمـــة أمجـــد
علمت لـه في شامخات العلى أصلا

على أنني من فضـــل ربي وجـــوده
غني بما أسدى الإلـه وما أولى (8)

ويقول ابنه عن دراسته : «بمجرد ما خرج من الكتاب بعد أن حفظ القرآن على أساتذة أجلة، وقضى فيه الزمن الذي يهيئه للانخراط في صف طلبة العلم بالكلية القروية لازم مجالس أعلام المدرسين لمختلف الفنون والمعارف، وذلك عام (1298هـ / 1880م)(9).«وكان جامع القرويين منبع العلم والعرفان، ومحط أنظار القاصي والداني.لازم الدرس على كبار علماء عصره» فانكب على الدراسة بهمة ونشاط، واستمر في مسيرته الثقافية يتابع دروسه العديدة متنقلا في حلقاتها ما بين تشريع وبيان ومنطق، ورقائق وآداب، إلى أن بدت ثمرة اجتهاده، وأصبح في مقدمة الصفوف نجاحا وذكاء، مما جعل والده يعضده ويساعده، أكثر رغبة في الوصول إلى الهدف المنشود» (10).

وهكذا ظهر نبوغ الشاعر منذ صغره، وازداد تفوقه في التحصيل والاستيعاب وترق في مدارج، فما لبث أن بلغ شأوا عظيما في جل ميادين المعرفة، وتميزت مشاركته العلمية،

7) نفسه ص 9.

8) ديوانه ج 2 ص 159 ن «ب».

9) مقدمة تشنيف الأسماع ج 1 ص 3.

10) عبد الله الجراري «التأليف ونهضته بالمغرب الأقصى» ص 37. مخ لدى المؤلف.

وصدقت الفراسة في شأنه بأنه سيكون عالما ذا شأو كبير في المستقبل. ويظهر أن والده - حسب ما يحكي ابنه عبد الملك - أبدى تراخيا في بداية تعليمه وتكوينه، وذلك بسبب العناء الذي لحقه وما قاساه مع غيره من إخوته (عادة الآباء مع الأبناء) في حثهم على المثابرة على طلب العلم، وسلوكه معهم كل ما في وسعه ماديا وأدبيا لشدة معرفته بمركز العلم ومستقبل صاحبه، ولكن ذهب عمله سدى وكان كالنافخ في رماد. غير أن اللحظة التي بدت فيها شارات نجابة ابنه هذا ارتد إليه حرصه القديم على أن يكون أب عالم جليل، فقوى نشاطه حيث لمس نسيج الحلة العلمية التي ضحى في طلبها قدما بكل نفيس (11).

وكأن البلغيثي ما خلق إلا ليكون أديبا شاعرا، فقد كان منذ صباه يختلس جل أوقاته في مطالعة كتب الأدب ودواوين الشعر، وكانت بغيته الاطلاع على منتجات الشعراء المشهورين القدامى. يقول عنه المرحوم محمد ابن العباس القباج : «هذا والذي يهمنا منه هنا هو اشتغاله بالأدب منذ صباه، وترامية على دواوين الشعراء» (12).

وكان مفتنا بالنظم للشعر منذ صباه، يقول عن كتابه : «نظم معاني حروف الجر» : «وبعد. فقد كنت شرحت قبل رجزي في معاني حروف الجر الذي كنت نظمته أوان طلب العلم بشرح مفيد، ثم رأيت اختصاره مختصرا على المثل» (13). وفي شعره ما يؤكد أنه كان يتعاطى نظم الشعر منذ صغره، وأثناء دراسته مثل قوله : وقلت في صغري :

وخـــود أدهشت فكري بخـــد
صقيـل قـد عـلا خـال عليـه

فـــال عن الخـــدود إلى لحـــاظ
(وشبه الشيء منجذب إليه) (14)

أو قوله في نظمه لقصيدة جمع فيها جميع أغراض الشعر، وعلق على ذلك بقوله : «وقد نظمتها حال الصغر جدا» (15).

11) مقدمة كتابه تشنيف الأسماع ج 1 ص 3.

12) الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 15.

13) الكتاب المذكور هامش ص 2.

14) ديوانه ج 2 ص 291 ن «ب».

15) كتابه الابتهاج ج 2 ص 140.

بل إننا نجده منذ هذا السن المبكر من مرحلة طلبه للعلم ينظم أروع مولدياته بالمناسبة، من ذلك مولديته البليغة التي نظمها سنة 1305 هـ وعدد أبياتها ستون بيتا، كما نظم أخرى سنة 1306 هـ وعدد أبياتها إثنان وستون بيتا. وأكثر من ذلك أنه نظم منذ سنة 1304 هـ مولديته البائية بالمناسبة المذكورة. بلغ مجموع أبياتها تسعة وستين بيتا. مما يدل على نبوغه الشعري منذ وقت مبكر من حياته.

«وفي سنة (1306 هـ = 1888 م) أدرج المترجم له البلغيثي في سلك المدرسين الأفذاذ وكبار المفتين، فصار يلقي دروسه على مختلف التلاميذ والطلبة، وحسب مستوياتهم بعبارات سلسلة جذابة وبأسلوب جديد لفت الأنظار وصار تلاميذه يرون في طريقته مالم يعهدوه قبل في سوى حلقاته الممتعة» (16).

ومع الأسف الشديد لا نملك معلومات كافية عن أطوار دراسته وما يصور لنا نوع سلوكه مع شيوخه، كما نفتقد التفاصيل الكافية التي تترجم لنا سيرته خلال هذه المرحلة المبكرة من حياته، وتنقله بين حلقات الدرس، ومدى إقباله على علوم معينة وإعراضه عن أخرى إلى غير ذلك مما يتصل بجوانب حياته الدراسية، فقد سكت عن ذلك - غالبا - في أشعاره وباقي مؤلفاته الأخرى التي نعثر فيها على بعض الإشارات القليلة التي لا تشفي ظمأ الدارس. ففي كتابه «الابتهاج»، وهو يتحدث عن آداب المدرس وطريقة زجره كل تلميذ فوضوي مشاغب أثناء الدرس من طرف الأستاذ يقول : «وقد كان شيخنا العلامة أبو عبد الله جنون - رحمه الله - شديد الزجر والتأديب لمن يرتكب شيئا من هذه الأمور، وخصوصا النوم، وربما طرده من المجلس وأقسم بالله أنه لا يزيد في القراءة حرفا إلا إذا قام ذلك الشخص من مجلسه، وذلك كله من تأديب الشيخ لتلميذه بكل ما يمكن. وهو أمر مطلوب» (17).

نعم كاد أن يكون لنا الشيء الكثير عن حياته كلها، وعن ماجريات أحوال عصره، وكل ما يتعلق بذلك لو أنه أتم

16) التأليف ونهضته في القرن العشرين ج 1 ص 37. وانظر مقدمة كتاب تشنيف الأسماع ج 1 ص 3، 4.

17) كتابه الابتهاج ج 2 ص 112.

18) الكتاب المذكور ص 2 مخ لدى ابنه عبد الملك.

كتابه «تحبير طرسي بعبير نفسي في التعبير عن نفسي»، وبداية هذا الكتاب توحي لنا بأنه كان ذا عزيمة قوية لإتمامه يقول : «ولست أول من عرف بنفسه وذكر جميلها لأبناء جنسه، فهذا الحافظ السيوطي في محاضراته سلك ذلك، وهذا الشريف سيدي سليمان الحوات كان كذلك» (18).

ويقول عن المنهج الذي كان ينوي اتباعه، وعن الموضوعات التي كان ينوي طرقها مؤكدا أهمية ذلك بقوله : «وقد التزمت أن أذكر جميع ما اتفق لي من لدن عقلت أيام حياتي، ولو في حال صباي وطفولتي، مما لم يغب عن حافظتي ومخيلتي، وربما يستريد بعضها من لم يعرف قيمة ذلك» (19).

وفي هذا الكتاب يذكر الأسباب التي صرفته عن متابعة تأليفه وذلك باشتغاله بتأليف كتاب آخر في الهجاء، ومن ذلك كما قال : «بعدا من ساحة المحمدة التي ربما أدت للافتخار والاعتساف، وعلما بأن المعايب أغلب عند الاعتبار والإنصاف مع ما عن في هذا الوقت العجيب مما لا يقدر على وصفه البليغ النجيب من هموم أشابت الولدان، وعمت القاصي والدان، ولم يسلم منها إلا من عدم الغيرة والدين، وفقد الاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين زيادة على تعذر الضروريات فضلا عن غيرهما» (20).

6 - مميزات شخصيته :

شخصية البلغيثي متعددة السمات، متنوعة العطاء، ملتوية المناحي والاتجاهات، عملت على تكوينها وتلوينها ثقافته المتنوعة، ووظائفه الدينية والتعليمية، وما قام به من رحلات عديدة داخل وطنه وخارجه، مكنته من أن يعاشر أصنافا متعددة من الناس، ويقف عن كثب على أنماط عديدة من العيش والسلوك والتفكير عند مختلف الطبقات، أضف إلى كل ذلك نوع النشأة المترفة التي حظي بها في كنف والده، وفي اتجاه معاكس ما كان يقوم به من أعمال مهنية في حياته، متناقضة كل التناقض ومركزه العلمي ومكانته في المجتمع. يقول ابنه : «وكان الوالد إذ ذاك يخوض في الحرير بمحل قرب منزله، مع اشتغاله بإلقاء الدروس العلمية» (21).

19) المصدر المذكور ص 3.

20) نفسه ص 4.

21) هامش ص 28 من مقدمة كتابه تشنيف الأسماع.

هذه الظروف التي عاشها البلغيثي، والعوامل التي مر ذكرها أثرت على سلوكه وتفكيره، ومزاجه، وتركت خيوطا متنوعة ما لبثت أن ظهرت على رقعة النسيج العام في حياته وأدبه، على نحو ما نرى في متنوعات أشعاره التي جاءت صورة صادقة لكل ذلك.

تلك العوامل كلها مجتمعة امتزجت وتعاونت في تكوين شخصيته وميزتها بسمات قلما تجتمع في غيره.

له وقار العلماء العاملين، وهيبة كبار القضاة، ورزانة العارفين، وهو إلى ذلك كله يتمتع بنبل الأخلاق، واستقامة السيرة، والشيم المرضية، والشرف الرفيع، وبعد الهمة، والغيرة الشديدة على الدين. وقد نظم الشعر في أغراض مختلفة تضرب ما بين الجدية والهزل، والرزانة والمجون الذي يصل أحيانا إلى درجة التهتك، حيث تجري على لسانه أحيانا وعلانية ودون تستر أو خفاء ألفاظ بذيئة ينكرها الخلق ويأباها الدين.

لا يستحي أن يذكر الهجر في شعره، وهو في شعره الظريف الماجن قليل الفحش ليس من المتهالكين المبالغين، فليس هناك مجال للمقارنة بينه وبين عدد كبير من شعراء وقته الذين كانوا يبالغون في الشعر الإباحي، ويقصدون إليه قصدا، ويذهبون في الخلاعة أبعد الغايات. وتحس وأنت تقرأ شعره أنه لا يقصد إلى هذه الألفاظ قصدا، وإنما يعرض - غالبا - إلى ذلك في حالتين : إذا انساق في ذلك مساجلا أو مطارحا، أو ممازحا بعض أصدقائه من الشعراء. أو في حالة غضبه وهيجانه على أعدائه وخصومه، فيرميهم بفاحش الهجاء، ويصورهم بأقذع الصور وأبشع الألفاظ، وسنعرض لهذه الظاهرة المتميزة عنده في شعره عند الحديث عن غرض الهجاء.

«وأجمع كلمة تقال فيه أنه ممن جمع رقة الأدباء إلى وقار العلماء» (22).

وهل معنى هذا أن البلغيثي كان ممن يجمع بين صفتين مزدوجتين ؟

نعم ! إن شعره يصوره مزدوج الشخصية التي تجمع الجد إلى الهزل. أما عن صفات الجد في شخصيته، فتغذيها ثقافته العلمية، ومركزه الديني في القضاء، والوعظ والإرشاد، وجاهه عند كبار رجال الدولة، وغيرته على الإسلام. عن هذا الجانب الجاد في حياته صدرت أشعاره في الزهد والتصوف، والابتهالات، والأمداح النبوية، والسلطانية، وشعر الفخر، والرثاء، والحكمة، وكذا الأشعار التي التزم فيها التعبير عن بعض القضايا الإسلامية والوطنية، وغيرها من الأغراض الجادة، التي تعبر عن بعض مواقفه - كما سنرى - وذلك في بعض المقالات الآتية بحول الله.

وكانت شخصيته محترمة معطرة بالثناء، تحظى بتقدير العلماء، وتمجيد الشعراء، معظمة عند من ترجموا لصاحبها أو تحدثوا عنها، ومن أجل ذلك كان حظيا عند الملوك، خاصة عبد الحفيظ والمولى يوسف.

يقول عنه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي وهو يترجم له : «كبير الوجاهة رفيع القدر، ميمون النقيبة، مسعود الحظ بمكان من الملوك ورعيهم وعنايتهم وبرهم» (23). ولكن ليس من الشعراء المتهنين للمدح المتكسبين بشعرهم المغالين في تملقهم.

وكان إلى ذلك كله شديد الاعتزاز بنفسه، كثير الفخر بمزاياه، يقول في ذلك :

لهف نفسي على موافاة حر
همه في الوفاء قولا وفعلا
لم أجد بعد خبري الخلق دهرا
من يواتي صفات مجدي أصلا (24)

ومع ذلك فليس البلغيثي في أخلاقه العامة، ومواقفه العملية وسلوكه مع الناس بالمتكبر الذي يترفع عنهم، وشعره صورة صادقة لأخلاقه السامية وسجاياه الحميدة، يعطي عن شخصيته صورة معبرة عن صاحبه.

أما عن الجانب الآخر من شخصيته الهازلة الماجنة، فإن شعره يصوره لنا في أغراض أخرى نجدها في الغزل بالمذكر، والهجاء المقذع، وفي هزلياته وإخوانياته. وهو شعر فاحش بذيء، مكشوف تارة، ومعتمد على الرمز والإيحاء تارات أخرى.

22) الأدب العربي في المغرب الأقصى لابن العباس القباج ج 1 ص 15.
23) معجم الشيوخ ج 1 ص 134.
24) ديوانه ج 2 ص 167. ب.

وليس لنا أن نحاسبه أخلاقيا في ذلك إذا نحن أدركنا ظروف العصر، وتأكدنا من طبيعة الشاعر المرحة الميالة إلى الهزل والظرف، وكثيرا ما كان يميل بشعره إلى السخرية والمزح، فلا تلبث وأنت تقرأ بعض أشعاره أن تضحك. واقرأ له مثلا ما قاله في القرع : «وقد كان بمجلسنا ننظره بعيننا.

يـــــامن لـــــه بحـــق ... بين السراة حـــــذق

مـــــا اسم تراه عينـــــا ... بـــالقلب منـــه عرق ؟ (25)

أو قوله في ثقيل لحقه في سفر ببعض الثغور، كان الشاعر يكرهه، وذاك حريص على مرافقته لإعجابه الكبير بشخصيته :

لـــو علمنـــا قـــدومكم لرحلتـــا ... قبـــل أن تنزلـــوا بخمـين عـــامـــا

غير أني واللـــــه لا علم عنـــدي ... يـــالقلبي من الثقيـــل إذا مـــا نـــزل (26)

نخلص من هذا، ونحن نريد أن نعرف شخصية البلغيثي بصدق، وكا يصورها لنا شعره أنه كان في مثل هذه الألوان من أدبه الهزلي الساخر شاعرا ظريفا، خفيف الروح، حلو الدعابة، ميالا إلى التهكم البريء. ومع ذلك فلم يكن هذا الجانب في شعره هو كل قوام حياته وشخصيته، وإنما كان ضربا من الترفيه عن النفس يلجأ إليه، كا يلجأ إليه سائر الفقهاء والعلماء ليخففوا عن أنفسهم عناء البحث وأسر التفكير.

ويتبدد كل شيء عابث في حياة البلغيثي وشعره، ويبقى أحمد بن المامون ذلك العالم الأديب، المتحلي بكرم الأخلاق، الحريص على تطبيق مبادئ الإسلام في أوامره ونواهيه.

كل هذه الصفات مجتمعة جعلته إنسانا محبوبا إلى النفس، مكرما أثيرا لدى الناس أينما حل وارتحل. وقد قال في ذلك عن نفسه : «وإنا بفضل الله وكرمه، ما حللنا بلدا إلا وحصل لأهلها من الفرح والسرور ما لا يكيف، سواء كانت لنا بهم معرفة سابقة أم لا، وهي منة من الله قد عهدتها، فما وقع بصر أحد علي إلا أحبني وأكرمني، وخدمني من دون أدنى استدعاء لذلك مني» (27).

---

25) ديوانه ج 2 ص 75.
26) ديوانه ج 2 ص 201 ب.
27) شرح رحلته الحجازية ص 40 مخ لدى ابنه عبد الملك.





صدر عن وزارة الثقافة والإعلام - كتاب (أخطاء لغوية) للأستاذ الكبير عبد الحق فاضل - أطال الله عمره - وقد تكرم بإهدائي نسخة منه، أشكره عظيم الشكر على هديته الثمينة، واعتبر أن إهداء تحف العقول النيرة، وغرر القرائح المشرقة هي أثمن وأغلى من تقديم الجواهر والأحجار الكريمة.

للأستاذ عبد الحق فاضل

عرض: الأستاذ أحمد متفكر

لم يكن الأستاذ أول من كتب وألف في اللغة، فقد سبقه إلى ذلك كثير من العلماء الأعلام، إلا أنهم مع الاعتراف بغزارة فضلهم وعلو كعبهم في الأدب والعلم، لم يتمكنوا من إزاحة اللثام عن المعضلات اللغوية، ولم يتوصلوا إلى ما وصل إليه الأستاذ الجليل من تحقيق وتدقيق، وتمحيص، وصبر على العمق في الاستقراء والاستنتاج والقياس.

ولم يكن محبا متعصبا، ولا ذا هوى متطرف جموح، وإنما كان عالما وضع علمه بجانب محبته للغة، وكان باحثا وضع أمانة العلم ونزاهة البحث فوق اعتبار العاطفة... كان باحثا وراء الحقيقة، كاشفا النقاب عن وجهها.

لقد نذر نفسه للوقوف في وجه الخطط الباغية، وعلى فتح أعين أبناء أمتنا الذين هم هدف التدمير والتمزيق والنسف... يعمل بإيمان مؤمن، وصدق صادق، وإخلاص طاهر، وتعقيب نبيل ليجعل من اللغة العربية الفصحى، لغة التخاطب، لأنها المعبر الوحيد للإيمان بالوجود العربي، والحفاظ على قيامه، والدفاع عن كيانه... علما منه بالمخاطر التي تحاك ضد لغتنا...

وسنظل نسمع بين يوم وآخر دعوة إلى استعمال العامية على نطاق واسع... سنرى انخفاضا في المستوى التعليمي، وسنظل نرى حيلولة بيننا وبين اللسان العربي، وفجوة بين التعليم ولغة التعلم.

وأنا على يقين أن أي مثقف عربي مسلم سيستفيد من هذا الطبق الشهي الذي يقدمه لنا الأستاذ الكبير عبد الحق فاضل الذي قضى حياته كلها في الدرس والبحث، وحببت إليه العربية وعلومها منذ شرخ الشباب، فعكف على درسها، والغوص في أعماقها...

ناهيك بما جبل عليه من خلق العلماء العاملين المنتجين بكل سكينة... كان مثلا للسان العف، والقلب الطيب... إنه الإنسان الذي لا تمل سماعه... حلو الشمائل، جم التواضع... أخلاق تتسامى إلى المثل الأعلى.

ملاحظات عامة : يستهل الأستاذ كتابه بعنوان : (ملاحظات عامة) يقول فيها :

«تكاثرت الأخطاء اللغوية في الأعوام الأخيرة إلى حد صار الباحث لا يحتاج معه إلى طويل عناء لاستحضار عدة كبيرة منها على البديهة. فما كدت ألجأ إلى الذاكرة لاستحضارها حتى جعلت تنثال على ذهني، فاجتمعت لي منها طائفة صالحة. ثم عن لي أن اشفعها بما أقرأ كل يوم في الصحف وأسمع كل يوم وليلة من الإذاعات، وإذا بجمهرة كبيرة من الأغلاط اللغوية تحتشد أمامي مما انحدر إلينا من الجيل الماضي وما سبقه من أجيال مع ما ابتكره الجيل الحاضر، وهو أكثر. فبعد أن كنت أتقصى الأغلاط وأتصيدها صرت لغزارتها أتخير منها ما يصلح أن يكون نموذجا لغيره، وأنبذ الباقي الوفير تجنبا لما لا ضرورة له من الإطالة.

إن الكثيرين من اللغويين حاولوا تصحيح الأغلاط اللغوية قديما وحديثا حتى أصبحت الكتابة في الأمر أشبه بفرض الكفاية لا حرج على من أسقطه عن نفسه، وما كنت لأتصدى له لولا تكاثر الأخطاء الجديدة التي ابتدعها الجيل الجديد ولم يسبق أن نبه عليها الأسلاف لأنها لم تظهر في زمانهم.

أنظر ما يقوله هذا الكويتب : (ليس هناك معدى (بأن) أتوهم (بأني) حرّ في عقيدتي) - في مجلة (أدبية) عربية جد مشهورة، تباع ألوف النسخ منها - أي ألوف النسخ من أغلاطها - ولإزالة كل هذه الركاكة والغلط كان ينبغي أن يقول : (لا معدى عن أن اتوهم أني...).

وقرأت في صحيفة عربية : (السكان يطالبون السلطات (كي) تضع حدا للمنحرفين)، ونحن نرى أن الغيارى يطالبون بوضع حد لهذا التخريب اللغوي.

عنوان في جريدة عربية : (3000 كتابا و50 رجل) !... لم يعرف جهابذة اللغة في هذه الجريدة أن قواعد النحو تفرض عليها أن تقول (3000 كتاب و50 رجلا).

وأنظر إلى هذا العنوان الآخر في جريدة عربية مسؤولة : (إقامة سوقا ثقافيا فنيا في القنيطرة). فأية مسؤولية يشعر بها مديرها (المسؤول) ومحررها ؟ كيف يعلم القارئ الناشئ أن هذا غلط ليتجنبه ؟ وما فائدة ما يتعلمه في المدرسة من قواعد اللغة إذا كان التطبيق اليومي على هذا الغرار.

الكلام الصحيح سليقة أكثر منه تعلم، والسليقة إنما تتكون من كثرة ما يسمعه المرء من الفصيح الصحيح، فما جدوى دروس العربية النظرية الجافة إذا كانت (الدروس) التطبيقية في الإذاعة والصحافة والقصص المترجمة، وغير المترجمة يجرف من ذهنه كل ما تعلمه على رحلة الدرس ؟ حتى أنا الذي كانت سليقتي منذ أيام الحداثة سليمة قديمة لكثرة ما قرأت من لباب الأدب العربي في أحسن أساليبه - أراني الآن قد ألفت الأخطاء لكثرة ترديدها علي سماعا من الإذاعات، وقراءة في الصحف والمجلات حتى صار بعضها - الأخطاء - يغافلني فيندس في كلامي... يجري على قلمي حين أكتب أو على لساني حين أقرأ أو اتحدث.

وليس بالإمكان استقصاء كل الأغلاط، فإذا كان المرء جاهلا باللغة فكل الأخطاء ملك يمينه. لهذا سنتناول فيما يلي أهمها وأكثرها شيوعا.

وإذا تسنى توزيع هذه النشرة على أوسع نطاق ممكن ولا سيما على منتسبي الإذاعة والصحافة - في طول الوطن العربي وعرضه - أمكن إصلاح الحال، إلى حد لا بأس به فيما أرجو، ولا يكفي في التوزيع إعطاء نسخة لكل صحيفة وإذاعة، بل الواجب أن تكون لدى كل موظف في إذاعة أو صحيفة نسخته الخاصة يتأملها ويحفظ ما فيها، وعلى كل دولة عربية أن تبدي نفس الاهتمام، لأن الثقافة العربية مستطرق بعضها إلى بعض، وحبذا لو أمكن أن يتزود بها كل إذاعي وصحفي في أقطار الوطن العربي كلها، وسترى فيما يلي أن الأغلاط سارية معدية يظهر بعضها في بلد عربي ثم تسري العدوى فتعم.

وقد اهملت الكثير من أغلاط القدامى التي أصبحت اليوم فصيحة - جدا - بالقياس إلى أغلاط حاضرنا، من قبيل مطالبتهم بأن نقول (أسس الجامع) بدل (تأسيس)... و(أمور شتى) بدل (شتى الأمور)... و(تعرفته) بدل (تعرفت إليه أو تعرفت عليه)، فهذه وأمثالها مما اعترض عليه الأقدمون أصبحت اليوم غير ذات موضوع بالقياس إلى التدهور اللغوي الذي تعانيه عربيتنا اليوم).

مقترحات : وقبل الدخول في التصحيح أعرض في مواجهة هذه الكارثة بضعة مقترحات :

- أولا : بعد توزيع هذه النشرة على كل المذيعين والمحررين الصحفيين. تحدد مدة للمستجدين (1) منهم لامتحانهم بها، تشجيعا لهم على تعلمها.
- ثانيا : امتحان كل من يراد تعيينه في المستقبل لوظيفة إذاعية أو صحفية، بهذه الأغلاط وغيرها مما سهوت عنه، وتيسر جمعه لغيري، بالإضافة إلى امتحانه بقواعد النحو والصرف على مستوى التعليم الثانوي على الأقل.
- ثالثا : طبع كل الكتب المدرسية من أدنى درجة حتى الدرجات الجامعية العليا، مشكولة بالحركات الكاملة على الحروف، ليعتاد قراؤها النطق الصحيح.
- رابعا : تخصيص كتب المطالعة للتلاميذ من الأساليب الجزيلة المتينة، ولا سيما من الأدب القديم المختار من القصص الجاهلية والإسلامية الطريفة والأخبار الجذابة التي يقبل عليها الناشئة ويشغفون بها، من كتاب الأغاني وغيره من مؤلفات السلف الحافلة بكل ممتع ومفيد.
- خامسا : تعيين مصححين إذاعيين لتصحيح المكتوبات المعدة تحريريا للإذاعة، وضبط حركات الإعراب والحروف التي يحتمل الغلط في قراءتها ولا سيما في الشعر الموزون تفاديا من إساءة نقطه وتكسير وزنه.
- سادسا : تعيين مصححين مماثلين في كل جريدة ومجلة لتصحيح ما ينشر فيها سواء بأقلام محرريها أو غيرهم من الكتاب المساهمين من الخارج، ويكون هؤلاء المصححون مسؤولين عن كل غلطة يسمحون لها بالمرور.
- سابعا : لما كان كل ذلك يذهب أدراج الرياح إذا قامت الأغلاط المطبعية التخريبية المشهورة، فيجب تحميل المصححين المطبعيين مسؤولية جدية عن إهمالهم وتهاونهم في التصحيح، لأن الكاتب الذي يهتم بصياغة العبارة المناسبة والبحث عن اللفظة اللغوية الدقيقة في المعاجم أحيانا، ويسهر الليالي مفكرا أو منقحا، كثيرا ما يجد أن المصحح المطبعي قد قلب الأمور عقبا على رأس، فنيا، ونحويا، ولغويا، وفكريا.

بعد هذه الملاحظات العامة يقسم الكتاب إلى قسمين :

1) أخطاء إذاعية من صفحة 10 إلى صفحة 33.

2) أخطاء صحفية من صفحة 34 إلى صفحة 82.

1) أخطاء إذاعية : أقصد بها الأخطاء التي لا نشعر بها حين نقرؤها بل حين نسمعها، لأن عدم ضبط الألفاظ بالحركات على الحروف يجعل كلا من المصيب والمخطئ ينطقها على طريقته، وكل كلمة لم يتعلم المرء نطقها الصحيح فهو معرض لأن يخطئ فيها، ناهيك بمن تلقى نطقها مغلوطا من معلميه فعندئذ يكتبها صوابا ويقرؤها غلطا.

فيما يلي ندرج بعض الأغلاط الإذاعية - أي النطقية - المتداولة، مع تصحيحها، آملين أن يساعد ذلك على مكافحتها، والقضاء عليها :

- **ارتج عليه في الكلام :** ينطقون (ارتج) بكسر الهمزة وتشديد الجيم، زنة اشتد واهتز، ظنا أنها من الإرتجاج. والصواب نطقها بصيغة المجهول، أي بضم الهمزة وكسر التاء من (الارتاج) أي الإغلاق. والمعنى المقصود : أغلق عليه الكلام مثلما يقال، أحيانا : استغلق الكلام على الخطيب.
- **اضطر إلى الشيء :** فتح الطاء خطأ، والصواب (اضطُرّ) بالضم، بصيغة المجهولية أيضا، أما (اضطرّ) بالفتح ففعل متعدّ تقول : اضطرني (بالفتح) هو إلى الدفاع عن نفسي، فاضطُررت (بالضم) إليه.
- **آوى إلى الفراش :** مدّ همزة (أوى) خطأ. والصواب : أوى إلى الفراش أو الدار، أي لجأ. وأما (آوى)

1) المستجد لغة : ما صار جديدا، وقد استعملها المحدثون بمعنى : الحديث العهد، ونحن نؤيد هذا اصطلاحا، لأننا نجد كلمة واحدة شائعة أخرى تؤدي هذا المعنى.

بـالمـد ففعل متعـد، حيث يقـال : آواه في داره : أي أنزلـه فيها.

● **بندق :** بالضم أيضـا : ثمر معروف، وكـان يطلق كذلك على كرات صغيرة صلبة من معدن أو خشب أو نحو ذلـك يرمى بهـا الهـدف. ومنهـا أطلـق الإسم حـديثـا على البندقية، آلة قذف البُندق.

● **تعـالي :** نـداء لـلأنثى، ينطقـونهـا بكسر اللام. والصواب (تعـالَيْ) بفتحـة. وقـول أبي فراس في مخـاطبـة الحمامة :

تعالي أقاسِمك الهموم، تعالِي

بكسر لام (تعـالي) الأخيرة ضرورة شعريـة بـدليل أن (تعالي) الأولى تنطلق بالفتح ـ ومثلها (تعالَوْا) لجمع الذكور تنطق بالفتح، وكذلك (تعالَيْن) لجمع الإناث.

● **جلطة :** يكثر الحـديث عن الجلطـة الـدمـويـة بالفتح، والصواب كما تقدم (الجُلطة) بالضم.

● **حلويـات :** النطق الشـائع فتح الحـاء واللام مـع تشـديـد اليـاء، وهو غلـط، والصواب أنهـا جمع الحلـوى، أي (حلـويـات) بفتح الحـاء وسكـون الـلام مـع تخفيف اليـاء، وتجمع الحَلوى كذلك على (حلاوى) زنة نوايا.

● **الدولي :** ينطقونها بفتح الدال نسبة إلى الـدولـة، بينما المقصود نسبتها إلى الـدول لهـذا كـان الأصوب نطقهـا (الدُّوَلي) بالضم، أما (الدَّولي) بـالفتح فمنسـوب إلى (الـدولـة) مثل (الحكومي) المنسـوب إلى الحكومة.

● **شحنة :** ينطقها بعضهم بـالضم وآخرون بـالكسر. والصواب (شحنـة) بـالفتح لأنهـا تعني المرة من فعل الشحن أي المـلء. أمـا (الشِّحنة) بـالكسر فهي العـداوة، وقـل من يستعملها الآن. وكانت (شِحنة البلد) تعني الشرطـة، لكنهـا أهملت.

● **قوى :** إحـدى الإذاعـات : (ألعـاب القوى) بكسر القـاف، والصـواب أن جمـع القـوة هـو (القُـوى) بـالضم، زنـة (الرُّوى).

المقصور والمنقوص :

الأفعال : سمعت المذيع من إحدى المحطات الناطقة بالعربيـة يقول : (أمـا الـذين نَجُوا من الحريق فقـد بقوا بلا مـأوى) بضم جيم (نَجُوا) وفتح كـاف (بقَوْا) وكـلاهمـا خطـأ، والصواب العكـس أي (نجَوْا) بالفتح، و(بقُوا) بالضم.

فكل مـا كـان (مـاضي) مفرده بـالفتح زنـة دعـا ورمى، يكـون جمعه أيضـا مفتوحـا أي : دعوا ورمـوا ونجـوا. لكن (مضارع) جمعه يكون بالضم : يدعون ويرمون.

وأمـا الفعل المنقـوص مثـل بقَى ورَضيَ ونسيَ فيكـون مضـارعـه بـالفتح، أي يبقى ويرضى وينسى، ويكـون جمعـه أيضا بالفتح : يبقَوْن، ويرضون)...

2) **أخطـاء صحفيـة :** مترجمو القصص وبعضهـا من الروائع العالمية صاروا يحملون لواء إشاعة الأخطـاء وإفسـاد سلائق الناس، إنهم وبـاء اللغـة يجب مكـافحتهم قبل غيرهم، وإلا فعفاء على التعبير السليم والسليقة المعافاة.

ومن الغريب أن الكثير من الأخطـاء التي ابتكروهـا يتكرر عند كل منهم كأنهم قـد تعلموهـا على أستـاذ جـاهل واحـد، صحيح أن التطور اللغوي مستمر في كل لغـة وكـل زمـان لكن جل هـذه الأخطـاء لا يصلح أن يكـون تطـورا، إنها أغلاط سيئة وحسب.

ومسؤولية إفسـاد اللغـة عن طريق الترجمـة ولا سيمـا ترجمة القصص، تقع بـالـدرجـة الأولى على نـاشرين معينين عرفت بعضهم، يستأجرون أرخص المترجمين وهم النـاشئون، لينقلوا لهم الـزاد الفكري بمختلف أنواعـه وبضمنـه القصص التي يتهافت عليها القراء الأحداث كـالـذبـاب. ولجهل هـذا الصنف من المترجمين بـأسرار العربيـة وطرائق التعبير فيهـا يتقيـدون بتعـابير اللغـة الأجنبيـة المترجم عنهـا، وهي الانجليزيـة على الأغلب، وبـذلـك أضـافوا أغلاطـا جـديـدة كثيرة إلى أغـلاط من سبقهم. وقـد كـان المترجمـون في أوائل هـذا القرن بـل حتى الـثلاثينـات وأوائل الأربعينـات أرقى وأصح لغة وأمتن أسلوبا من جيل المترجمين الجدد.

وأقولهـا مع الأسـف الكبير، إن الكثيرين من القصصين والصحفيين المحـدثين هم من خريجي هـذه المـدرسـة ومروجي تلك الأغلاط الوافرة.

فـإذا نحن جمعنـا أغلاط القصص والصحف والمجلات والإذاعات كانت لدينا عدة كاملة للقضـاء على أي أمل في تكوين سليقة صحيحة للناشئة، بل تشويـه الـسلائق الـسويـة عن الكبار أيضا.

ومكافحة هذا البلاء لا ينجع فيه التنبيه على الأغلاط في كتب ومطبوعات لا يقرؤها المحتاجون إليها من ضعاف المترجمين والمحررين الصحفيين والقصاصين والشعراء... لأن هذه الطائفة لا تقرأ الكتب اللغوية أصلا، وإنما يجب تعيين لغويين في كل قطر عربي لتصحيح الكتب المترجمة والمؤلفة والمطبوعات الدورية، فهي لانتشارها ولإقبال القراء عليها أقدر على افشاء طاعون الأخطاء اللغوية.

ومن رأيي أن الرقابة على المطبوعات المستوردة يجب أن تمنع الصحف والمجلات والقصص الكثيرة الأغلاط، مثلما تمنع أي مطبوع مضر سياسيا أو اجتماعيا... وبذلك نحاصر الأخطاء ونطردها، ونضطر أصحابها إلى تصحيحها.

وحبذا فرض غرامة مالية على الناشرين عن الأغلاط اللغوية لكي يعمدوا إلى استئجار من يقرأ لهم ويصحح قبل النشر وتوزيع الأخطاء على الناس بغير حساب.

وندرج فيما يلي أهم ما يعن لنا من الأغلاط الكتابية :

● **أبهرني :** هذا الفعل لا وجود له في العربية، وصوابه : بَهَرني ويبْهَرُني، زنة نفع ينفع، تقول (بهرني) الأمر فهو (باهر)، ومنه : ضوء باهر، وعمل باهر، ولا تقل ابهرني فهو مبهر.

● **أحنى رأسه :** خطأ، صوابه : حنَى يحني، مثل ثنى يثني، وزناً ومعنى، وزنة رمى يرمي، كما تقدم.

● **ازدياد :** يستعملها المغاربة بمعنى الولادة، وازداد الشخص بتاريخ كذا : ولد، وقد تكون عريقة في العربية، لكن الأفضل استعمال الميلاد والولادة في الشؤون الرسمية من باب التنسيق بين الأقطار العربية.

● **رموش العين :** كلمة عامية مصرية يستعملها ضعاف الكتاب في مصر، وصار يقلدهم أندادهم خارج مصر. والصواب : أهداب، وقرأت الآن قبل ثانيتين عينة أخرى أضيفها هنا هي : (يبددون في رمشة عين ما جمعه الأب في ثمانين سنة) الصواب : في طرفة عين، والطرفة زنة الطلعة هي حركة الطرف (زنة الحرف) أي العين.

● **من، وفي :** يقولون : تخرج من المدرسة، والصواب استعمال (في) بدل (من) فتقول : تخرج في المدرسة، عكس هذا يستعمل بعضهم (في) بدل (من) كالذي ذكرناه من قولهم متضلع (في) العلم، والصواب : متضلع منه.

تخطئة الصواب :

كأن بعضهم لم يكتفوا بكل هذه الفوضى اللغوية فزادوا الأمر بلبلة منذ حاولوا تخطئة ألفاظ كانت الأمة تستعملها على وجهها الصحيح، وفرضوا من عند أنفسهم ألفاظا واشتقاقات مغلوطة أشاعوها في الناس.

والغريب أن الكثير من ذلك شاع بسرعة مذهلة وشمول مطبق، بينما هناك أخطاء، حاول اللغويون تصحيحها بدأب واستمرار منذ ألف سنة وأكثر، ولم يفلحوا حتى الساعة. من بعض الصواب الذي حاولوا تخطئته نذكر ما يلي :

● **بديهي :** زعموا أن صوابها (بَدَهي) بفتحتين، لأن البديهة يجب تجريدها من الحرف الزائد (الياء) قبل النسبة إليها. لكنهم يجيزون (الطبيعي) نسبة إلى الطبيعة دون تجريدها من الياء. والصحيح أن البديهي والطبيعي صحيحان كلاهما، وهما من توليد عصر العلوم العباسي.

● **نفس الشيء :** يقولون لك (لا تقل نفس الشيء، وقل الشيء نفسه)، وهذا خطأ فادح ممن روّج هذه الأزعومة، لكنها شاعت حتى تأثر بها الكثيرون من الكتاب. والصواب أنه يجوز لك أن تقول (نفس الشيء) و(الشيء نفسه) حسب مقتضى الحال، وقد صرحت بذلك المعاجم واستشهدت بتعبير (نفس الجبل مقابلي). انتهى.

بعد هذه الجولة الممتعة التي عشناها مع بعض النماذج الحية التي طرحها الأستاذ عبد الحق فاضل على صفحات كتابه (أخطاء لغوية)، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذه النماذج التي ستكون حافزا لكل غيور على العربية، على اقتفاء آثارها... وبلسما لتلك الجروح التي أصابت لغة القرآن.

مراكش　　　　أحمد متفكر

بقلم : كلوديا واليس ● عن ديك طومسون

ترجمة الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي



حدث هذا في وقت الزوال بمقاطعة باثيسدا بولاية (ماريلاند) الأمريكية. المكان مطعم فرنسي صغير بسقوفه الخشبية تتدلى منها السلال، وعلى جانب مائدة جلس الدكتور (روبيرت غالو)، البالغ من العمر 47 سنة، وهو عالم مندفع من (المعهد الوطني للصحة)، بدأ حياته كابن لحام في مدينة صغيرة، وأصبح أحد رواد البلد في البحث في ميدان السرطان. وقد اشتهر الدكتور (غالو)، الذي له حساسية من شهادته من (كلية جيفرسون للطب بفيلاديلفيا) - والذي ما يفتأ يردد : «كان علي أن أحارب لأثبت وجودي لأنني لم أتخرج من جامعة هارفارد». - اشتهر (غالو) سنة 1980 بأنه أول عالم اكتشف الڤيروس الذي يسبب السرطان للإنسان. واليوم يعلن عن نصر آخر : وهو العثور على الڤيروس الذي يسبب (مرض نقص (2) المناعة المكتسب) أي (أيدز)، المرض الذي قتل 1758 أمريكي منذ ظهوره (بالولايات المتحدة) منذ ثلاث سنوات.

وعلى الجانب الآخر من المائدة، جلس الدكتور (جيمس كوران)، وهو عالم أوبئة أنيق في التاسعة والثلاثين من عمره، ويحمل شهادة عالية من جامعة (هارڤارد). ويترأس الدكتور (كوران) جماعة من الباحثين مكلفة بالبحث في مرض (أيدز) بمراكز ضبط المرض (باطلانطا)، حيث يعمل أكثر من مائة باحث على اكتشاف ما ادعى (غالو)، أنه وجده بالضبط. ولامتحان ادعاء (غالو)، زوده الدكتور (كوران) بـ (المعهد الوطني للصحة) بـ 205 نموذج من الدم غير مسماة، بعضها مأخوذ من مصابين بـ (أيدز)، والبعض من أشخاص أصحاء. وللزيادة في التحدي أضيفت نماذج دم أخرى من أشخاص مصابين بالتهاب الكبد والتهابات أخرى. وكانت مهمة (غالو) أن يتعرف على نماذج المرضى بـ (أيدز) على أساس وجود علامات الڤيروس أو عدمه. وأخرج (غالو) نتائج مختبره، وبدأ (كوران) ينادي بأرقام النماذج.

---

1) عن مجلة (تايم) الأمريكية - عدد 18 بتاريخ 30 أبريل 1984.
2) Acquired Immune Deficiancy Syndrome

قال (كوران) : «م 5».
فأجاب (غالو) : «م 5، موجب».
قال (كوران) : «م 28».
فرد (غالو) : «م 28، موجب».

واستمر ذلك مدة ساعة، حتى مرت جميع النتائج، وفي النهاية نجح (غالو) في الاختبار : إذ كانت علائم الڤيروس الذي اكتشفه موجودة في عينات دم المصابين بـ (أيدز) دون غيرها، وقد تعرف على جميعها تقريبا.

وستنشر مجلة «العلم» الموقرة قريبا أربعة بحوث تصف كيف عزل (غالو) الڤيروس الذي يبدو أنه يسبب (أيدز) ويتنبأ باحث (أيدز) (انطوني فوسي) من (المعهد الوطني للصحة) بأن (غالو) «سيطبق على ڤيروس (أيدز) بلا هوادة».

ولكن حالما بدأ يتسرب خبر الكشف في يوم (23 أبريل 1984) ـ وخصوصا بعد صدور مقال بمجلة «العالم الجديد» (New Scientist) المرتكز غالبا على نسخ سابقة لبحوث (غالو) ـ سارع فريق من العلماء (بباريس) إلى التنبيه إلى بحثهم هم في ڤيروس (أيدز). فربما كان ثمة رهان على إحدى جوائز (نوبل)، إذ لاحظ عالم الأوبئة (ويليم بلاتنر) من (المعهد الوطني للسرطان) أن : «الناس يتسابقون لنيل قصب السبق في ميدان هذا المرض».

ويترأس الفريق الفرنسي الدكتور (لوك مونتانيير) من (معهد پاستور) الذائع الصيت. وقد حدد الدكتور (مونتانيير)، في مقابلاته مع الصحافة الأمريكية، أوصاف الڤيروس الذي عثر عليه هو وزملاؤه في دم المرضى بورم الغدة اللمفاوية، والأعراض الشبيهة بالزكام التي تطبع مراحل (أيدز) المبكرة. وعثر باحثو (پاستور)، كما قيل، على علامات الڤيروس في 80 ٪ إلى 90 ٪ من عينات الدم في مرضى (أيدز). وكلا الفريقين يؤكد أن الجراثيم التي وجدوها تشبه كثيرا الڤيروس المسبب للسرطان الذي اكتشفه (غالو) منذ أربع سنوات. ويعتقد الفريقان أنهما عثرا على نفس الڤيروس. ويلاحظ (بلاتنر) أن : «المختبرين مستقلان، ولكنهما كانا يتعاونان».

وبينما يتجادل العلماء حول من سبق إلى اكتشاف الڤيروس، فإن الخبر الهام هو أنه أخيرا تم اختراق الحاجز الذي كان يحول دون فهم وباء (أيدز) القاتل. والمهم الآن، كما يقول العالم الوقائي (ألان غولد ـ ستاين) من (جامعة جورج واشنطن)، هو : «أننا الآن نعرف وجه العدو».

وسيتيح الاكتشاف للأطباء أن يهاجموا المرض الذي قاوم جميع محاولات علاجه أو الوقاية منه : إذ أن 43 في المائة من المصابين بـ (أيدز) يموتون داخل سنة من تشخيصه ولم يعرف أن أحدا شفي منه. وقد أعلن (ڤينسينت ديڤيتا) من (المعهد الوطني للسرطان) أن : «هذه هي الخطوة التي كان الجميع ينتظرها». ويجري الآن وضع خطط لتلقيح ـ مصل ـ ضد (أيدز) بمختبر (غالو)، إلا أن التطبيق الفوري لهذا الكشف هو تطوير طريقة لتحليل الدم يمكن استخدامها لحماية مخزون البلد من الدم من التلوث بڤيروس (أيدز). فقد أصيب حتى الآن 83 أمريكي، بما فيهم 30 نعورا (3) ـ وهو شخص ذو نزعة وراثية إلى النزف الدموي ـ بمرض (أيدز) بعد عمليات نقل مواد مشتقة من الدم. وحسب ما صرح به (غالو)، فإن اختبارا دقيقا ورخيصا للدم سيكون في متناول الجميع داخل بضعة أسابيع.

ومهما كان صاحب الفضل في كشف ڤيروس (أيدز)، فإنه لا شك في أن (غالو) هو الذي مهد السبيل إلى ذلك الكشف ببحثه السابق في ڤيروس السرطان. يقول العالم الوقائي (إمانويل زاغوري) من (جامعة باريس) : «بدون (غالو)، ما كان ليتم أي عمل من هذا النوع بمعهد (باستور). فبحثهم قائم على كشفه الأول».

☆ ☆ ☆

وقد بدأ اهتمام (غالو) بالبحث عن أسباب السرطان في سن الطفولة. فقد شاهد أخته الصغرى، وهو غلام في الرابعة عشرة، تموت بسرطان الدم. وما تزال ذكراها حية معه إلى الآن. فهو يتذكرها طفلة «هزيلة، صفراء، عامرة الفم بالدم». وأصبح طبيب الطفلة صديقا للعائلة، فكان (غالو) يصحبه إلى مختبره. وفي سنة 1965 انضم إلى (المعهد الوطني للسرطان) وبدأ مطاردة قاتل أخته.

ومنذ البداية تقريبا، ظهر اهتمام (غالو) بعالم

---

3) نعور : Hemophiliac

الڤيروسات. فمنذ بداية هذا القرن عرف العلماء أن بعض أنواع الڤيروسات يمكن أن تسبب السرطان للقطط، والدجاج، والبقر، وحيوانات أخرى. وهذه الجراثيم، كجميع الڤيروسات، لا تستطيع التكاثر إلا إذا تسربت إلى خلية مضيفة تتحكم في آليات تناسلها. أما الذي يجعل الڤيروسات متميزة فهو أن مورثاتها (جينات) تتكون من (ر. ن. أ. R.N.A) بدلا من (د. ن. أ. ـ D.N.A)، أي الجزيء الوراثي (موليكول) الذي يوجد في معظم الأشياء الحية. وبما أن (ر. ن. أ.) هي عبارة عن صورة أو انعكاس في المرآة لـ (د. ن. أ)، فإن الڤيروس يدعى بالڤيروس المقلوب Retrovirus أو (الرجعي).

وقد قضى الباحثون عقودا من الزمن يحاولون أن يتأكدوا مما إذا كان الڤيروس يلعب دورا في سرطان الإنسان. وفي سنة 1970، كان أغلبهم قد استسلموا للفشل، إلا (غالو)، فقد ساعده اكتشافه في سنة 1970 لأنزيم يتفرد به الڤيروس المقلوب، وهو شبيه ببصمة كيماوية. وببحث (غالو) عن هذا الأنزيم، استطاع أن يتصيد الڤيروس المقلوب الذي يسبب نوعا من سرطان الدم، والورم اللمفاوي للإنسان. وباكتشاف (غالو) لهذا الڤيروس المسمى «سرطان دم خلية (ت) الآدمية» ڤيروس الليمفوميا أو (هـ. ت. ل. ف. H.T.L.V)، نال جائزة (ألبيرت لاسكر)(4) سنة 1982، وهي أعلى جائزة في أمريكا في ميدان الطب.

وبعد مدة قصيرة من ذلك سمع (غالو) عن مرض (أيدز) الذي كان أغلب ضحاياه من الشواذ جنسيا، ومدمني الهيروين، والنعورين (النزافين)، وأهل (هايتي)، وقد أثار فضوله احتمال وجود علاقة بين هذا المرض، و(هـ. ت. ل. ڤ. H.T.L.V) فقد كانت هناك عدة صلات مثيرة للاهتمام. فمرضى (أيدز) معرضون جدا للإصابة بالالتهابات نظرا لافتقارهم للعدد المعتاد من كريات الدم البيضاء الواقية المسماة خلايا (ت)، وكان (غالو) يعلم أن (هـ. ت. ل. ڤ. H.T.L.V) هو ڤيروس يستقر في هذه الخلايا بالذات. وأثار فضول (غالو) كذلك أن يكون هذا المرض منتشرا بين سكان (هايتي)، ف (هـ. ت. ل. ڤ). منتشر بكثرة في جزر (الكرايب). وأخيرا اقتنع (غالو)، مثل عدد كبير من الباحثين، بأن لمرض (أيدز) علاقة سببية بڤيروس، لأن المرض كان ينتشر بنفس الطريقة التي ينتشر بها ڤيروس التهاب الكبد (ب) ـ أي عبر نقل الدم، والحقن القذرة الملوثة، والمني ـ وكان ذلك دليلا كافيا. قال (غالو) : «كلما سمعت عن (أيدز)، كلما تأكد حدسي».

وفي سنة 1982 عين (غالو) مديرا للبحث في أسباب (أيدز) بـ (معهد السرطان الوطني). فواجه مهمته بثقته المعهودة قائلا لشركائه : «أعتقد أننا نستطيع الوصول إلى حل في ظرف سنتين». وكان حينئذ قد جمع طائفة متآلفة من الباحثين اللامعين، من بينهم خبراء في الجراثيم من (اليابان) و(الهند)، وخبراء في الاستنبات (5) من أوربا الشرقية، وعلماء وراثة من (الصين الشعبية)، ومستوصفي من (الدانمرك). جاؤوا جميعا من أقاصي أركان الأرض ليعملوا مع عالم متوقد النشاط كثير الأسفار، يعقد اجتماعات مع مساعديه وهو سائر في الممرات، أو في مواقف السيارات قبل الطيران لحضور مؤتمرات بقارات أخرى. ساعته مقدمة بخمس دقائق، ويسوق سيارة (نيسان) بأربعة أبواب وكأنه يسوق (مازيراتي) في شوارع (واشنطن). وهو محب للتنافس لحد الوقوع في الخطأ، ويعتز بمظهره وإنجازاته. ويقول عنه (إيمانويل زاغوري) :

«قليل هم الذين يستلطفونه فقط، فهو إما محبوب جدا، أو مكروه جدا».

وبدأ هو و(ماكس إيسيكس) من جامعة (هارڤارد) يحللان عينات من الدم أخذت من مرضى (أيدز) للبحث عن علامة (هـ. ت. ل. ڤ. H.T.L.V) أي «سرطان دم خلية (ت) الآدمية / ڤيروس الليمفوميا». وكانت النتيجة غامضة، حوالي ثلث العينات كان يحتوي على مضادات حيويات ذلك الڤيروس، وهي نسبة أقل من أن تكون ذات دلالة. وبدخول سنة 1982 كان مختبر (غالو) قد تعرف على شكل جديد ل (هـ. ت. ل. ڤ. H.T.L.V) يدعى (هـ. ت. ل. ڤ. 2) (H.T.L.V .2). وحتى هذا النوع المختلف تبين أنه سبب غير أكيد ل (أيدز).

واقتنع فريق (غالو) بأن ڤيروسا مقلوبا ـ أو رجعيا ـ Retrovirus هو المسؤول عن (أيدز). فقد كان «أنزيم»

4) Albert Lasker

5) Tissue - Culture

الڤيروس المقلوب المميز موجودا دائما في عينات دم المرضى بـ (أيدز)، غير أن المشكلة هي أنه يكون موجودا هذا الأسبوع، وغائبا في الأسبوع التالي. وأخيرا توصلوا إلى شرح : كان الڤيروس يقتل خلايا (ت) في عينات الدم، وهي نفس الخلايا التي يعيش فيها. وعندما تموت خلايا (ت) في العينة، يختفي الڤيروس وأنزيمه بدون أثر. وبعد ذلك استطاعوا التوصل إلى طريقة للإبقاء على خلايا (ت) المصابة بالتهاب (أيدز) حية عن طريق الاستنبات. واستطاع (غالو) عندئذ أن يعزل الڤيروس. وبما أنه كان شبيها في مبناه بالڤيروسات الأخرى التي اكتشفها، فقد أطلق عليه اسم هـ. ت. ل. ڤ. (3 ـ H.T.L.V).

ونظرية (غالو) عن ڤيروس (أيدز) هي أن أجداده قدموا من (افريقيا)، وأنه ولد هناك... و(هـ. ت. ل. ڤ. 1 ـ H.T.L.V) ملازم لإفريقيا الاستوائية، حيث يمكن أن يكون السبب الرئيسي لسرطان الدم. ويخمن (غالو) أن الڤيروس انتقل من (إفريقيا) عن طريق تجارة الرقيق إلى (الكرايب) و(أمريكا اللاتينية) و(اليابان) حيث أخذ التجار البرتغاليون العبيد الأفارقة. فأمراض السرطان المقترنة بـ (هـ. ت. ل. ڤ. H.T.L.V) منتشرة في هذه المناطق.

وفي مكان ما على امتداد الطريق تظهر أعراض ڤيروس (هـ. ت. ل. ڤ. 3 ـ H.T.L.V). ويعتقد (غالو) مرة أخرى، أن هذا قد يكون حدث (بإفريقيا)، إذ يقول : «ربما كان الڤيروس موجودا في الغابات زمنا طويلا، ولكن مع الهجرة الجماعية إلى المدن، والازدحام والعهارة، أصبح ما كان منحصرا في حيز ضيق مشكلة». وأحد الأدلة هو أن (سركومة كابوسي (6))، وهي نوع من سرطان الجلد الذي يتعرض له مرض (أيدز) كان منتشرا في (إفريقيا) الوسطى منذ عشرات السنين. وفي السنوات الأخيرة اكتشف الأطباء أن (أيدز) ينتشر بكثرة في المنطقة. وحسب رأي الدكتور (بيتربيوت) البلجيكي، الخبير في الأمراض الاستوائية، «المشكل ـ بالمنطقة الاستوائية ـ هو في ضخامة مثيله بالأماكن التي ينتشر فيها بحدة، (بالولايات المتحدة)، مثل نيويورك، و(سان فرانسيسكو)».

ورغم أن العلماء الذين يشكون في جدوى عمل الدكتور (غالو) و(معهد باستور) قلة، فإن الحاجة ما تزال قائمة إلى دليل هام لإثبات بشكل قاطع أن (هـ. ت. ل. ڤ. 3 ـ H.T.L.V) هو سبب (أيدز)، فلابد من إثبات أن التعرض للڤيروس المذكور يسبب ذلك المرض. والمهمة الكبيرة التالية هي العثور على حيوان، والأحسن أن يكون رئيسيا Primate كالقرد مثلا يصاب (بأيدز) حين يحقن بـ (هـ. ت. ل. ڤ. 3 ـ H.T.L.V) وحينما يحدث هذا يمكن تجربة مصل في ذلك الحيوان. ويقول الدكتور (ستانلى بلوتكين) من (جامعة بانسيلڤانيا) الذي ساعد على تطوير مصل شلل الأطفال، والسعار، وأمراض أخرى مثل ڤيروس السيتو ـ ميغالو Cytomegalovirus «لاشك في أن مصل (هـ. ت. ل. ڤ. 3 ـ H.T.L.V) يمكن صنعه». فالمشكل الوحيد هو الوقت. «إذ سيكون من التفاؤل الطوباوي توقع تطوير مصل (لأيدز) في أقل من ثلاث سنوات، وحتى ذلك سيكون سريعا».

وفوائد هذا الكشف الأولي ستكون اختبارات الدم الملوث بڤيروس (أيدز)، وتشخيص المرض في مراحله المبكرة. وفعلا أثبت (غالو) والفرنسيون أن الڤيروس يمكن العثور عليه في مرضى تبدو عليهم أعراضه على الإطلاق.

وللأسف، فإن الكشف لا يمنح أملا في الشفاء العاجل لأكثر من الـ 3000 أمريكي، وعشرات المصابين (بأيدز) خارج الولايات المتحدة.

ويلخص الدكتور (مايكل غاتليب) اختصاصي المناعة (بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجليس U.C.L.A)، الذي اكتشف أول حالة لمرض (أيدز)، يلخص أهمية العثور على الڤيروس بقوله : «إن ذلك مهم بالنسبة لقدرتنا على حماية رصيدنا من الدم. إنه شيء مثير، ومشجع، ومكافأة لمجهود البحث. ولكن هيهات، فهو ليس حلا لمشكل (أيدز)».

بقلم : كلوديا واليس عن : ديك طومسون
(باذيستذا ـ ماريلاند) الولايات المتحدة

6) Kaposi's Sarcoma

في خطاب للسيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بوجدة:

● المذهب المالكي نتمسك به ونتشبث به كامل التشبث لأنه عنصر أساسي من عناصر وحدتنا الوطنية

● ذهب الوقت الذي كان فيه العالم يجلس في بيته ويسعى إليه الناس، واليوم من الواجب على العالم ان يسعى الى الناس ليؤدي رسالته



ألقى الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يوم الاثنين 25 - 2 - 1405 موافق 19 - 11 - 1984 بوجدة خطابا يدخل في إطار البرنامج الذي أعدته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتبادل الزيارات بين المجالس العلمية الإقليمية، حيث استقبلت مدينة وجدة ومجلسها العلمي الإقليمي المجلس العلمي الإقليمي بمكناس لإلقاء محاضرات ودروس دينية.

وفيما يلي نص الخطاب الذي ارتجله السيد الوزير في المسجد بوجدة:

○ سعادة عامل صاحب الجلالة على اقليم وجدة، سعادة السيد رئيس المجلس العلمي بوجدة، سعادة السيد رئيس المجلس العلمي الاقليمي بمكناس، سعادة السيد رئيس المجلس الاقليمي، سعادة السيد رئيس المجلس البلدي، السادة العمداء، حضرات السادة العلماء، أيها السادة الأفاضل.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

انها لمناسبة سعيدة أن نجتمع بكم اليوم في هذه المدينة العريقة المجد والشهيرة بجهادها وكفاحها من أجل دينها ومقدساتها، ونحن كذلك سعداء كل السعادة بأن تصادف زيارتنا لهذا الاقليم السعيد مناسبة من أعز المناسبات علينا، ألا وهي ذكرى عيد الاستقلال المجيد، فالمناسبة لها طابعها الخاص ولها جلالها وجمالها وهيبتها ورونقها، وأبينا الا أن تكون الزيارة في هذه المناسبة زيارة علم وعرفان، وزيارة عمل ونشاط ونضال جديد في معركة بناء المغرب التي يخوضها الشعب المغربي كله بقيادة أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره، وهذه الزيارة من الناحية العلمية تدخل في اطار البرنامج الذي أعدته وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية لتبادل الزيارات بين المجالس العلمية الأقليمية، ولهذا فانه لمن المناسبات الطيبة أن تستقبل مدينة وجدة ومجلسها العلمي الاقليمي المجلس العلمي الاقليمي بمكناس لالقاء محاضرات ودروس دينية.

فالمناسبة اذن مناسبة تعاون بين المجلسين العلميين في اطار المسيرة الربانية مسيرة البعث الاسلامي التي يحمل لواءها امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله.

وبالمناسبة تفضل سعادة عامل صاحب الجلالة فنظم لنا هذا اللقاء بالسادة القيمين الدينيين والعلماء الأفاضل بوجدة، ولا نريد أن نترك هذه المناسبة تمر دون أن نغتنمها فيما يعود علينا بالفائدة وفيما يعود على شعبنا وأمتنا بالنفع في ميدان الدين، ولا نتركها مناسبة للخطب فحسب بل نجعلها فرصة لدراسة نشاط القيمين الدينيين والتوجيه الذي ينبغي أن يسير فيه والخط الذي يتعين أن

يلتزم به، وأن نجعلها فرصة لنرى أنفسنا في المرآة ونلاحظ اذا كان هناك ما يمكن أن نلاحظه بكل صراحة وبكل موضوعية وبروح دينية هدفها التعاون على البر والتقوى.

حقيقة أن اقليم وجدة يتمتع بروح دينية عالية وأخلاق اسلامية رفيعة، وهذا يسهل مهمتكم كعلماء وكقيمين دينيين، وان كان في نفس الوقت يعتبر ثمرة لجهودكم، الا أن مدارج الكمال لا تنتهي والانسان دائما يتطلع لمراقي الفضيلة والسمو ولا يقنع بالمرتبة التي هو فيها ويسعى للتنافس مع اخوانه في هذا الباب، ومن هنا ننظر في بعض الأمور التي تتعلق بخطبة الجمعة وبالوعظ والارشاد وبمادة التوجيه الديني في اقليمكم وفي المغرب بصفة عامة، فنرى أن عددا من العلماء الذين يتناولون الدعوة الاسلامية في خطبهم وفي دروسهم مقصرون بعض التقصير فيما يتعلق بالشباب، الشباب هو رأس مال هذه الأمة، والشباب هم أبناؤنا وفلذات أكبادنا، وهم مستقبل البلد، وهم طبقة من هذه الأمة تتسم وتتصف ببراءة خاصة تجعلها سهلة الانقياد لكل تيار ولكل ريح ببراءة، فالواجب يقتضي أن نهتم بهؤلاء الشباب وأن نراقب سلوكهم وأن نعيش مشاكلهم وأن نتذاكر فيما بيننا كعلماء، ونحاول أن نجد الحلول وأن نأخذ بيدهم بالتوجيه وبالموعظة الحسنة الى أن نصل بهم الى شاطىء النجاة، والشباب لا يمكننا اصلاحه بالعنف والكلام، لا يمكننا اصلاحه بالتقريع والتأنيب، لا يمكننا اصلاحه باللوم المستمر، لا يمكننا أن نصلحه بالتيئيس من فرص العودة ومن فرص التوبة ومن فرص الرجوع الى الله، فالشباب كلما أخذناه بالتشجيع وكلما أخذناه بالتنويه وكلما أخذناه بذلك المأخذ الحسن الذي يذكره بايجابيته ثم يلفت نظره الى سلبياته كلما كانت النتيجة أحسن، لا نريد أن تكون هناك خطب ودروس عبارة عن مناحة، مناحة على الشباب كأننا في مأتم نبكي على الشباب، لا حول ولا قوة الا بالله، الشباب خرجوا على الطريق، الشباب زاغوا عن الجادة، الشباب كذا... لا. لنتذكر أن هناك شباب يصلي الصبح في وقته بالمساجد، لنبد سرورنا من فوق المنابر بما نلاحظه من كثرة الشباب بين صفوف المصلين، الظاهرة تدل على رجوع الشباب الى الله، لنبد سرورنا وفرحتنا بما نراه من اقبال الشباب على شعب الدراسات الاسلامية في الكليات وعلى الكليات الدينية، لنبد سرورنا على اهتمام الشباب بالقضايا الدينية وسؤاله عنها وانصرافه اليها، ولنتأكد بأن هذه ثمرة جهود الأمة كلها وثمرة الغرس الذي غرسه صاحب الجلالة حفظه الله بالبعث الاسلامي، فبدلا أن نتحدث مع الشباب من ذلك المنطق القاتم وأن نسود الصورة وأن نواجهه دائما بالعبوس والقنوط ينبغي أن نبتسم في وجهه وأن نقول له أحسنت فزد في احسانك، فهذا المنهج هو الذي ينبغي أن نحرص عليه في خطبنا وفي دروسنا وفي جميع اتصالاتنا مع الشباب.

ينبغي أن نخلق الروابط المتينة مع هذا الشباب، لقد ذهب ذلك الوقت الذي كان فيه العالم الذي يجلس في بيته ويسعى اليه الناس، واليوم من الواجب على العالم أن يسعى الى الناس ليؤدي رسالته، ان هذه الرسالة مسؤول عليها أمام الله تعالى، فاذا خلقنا الفرص لجمع الشباب والاتصال بالشباب وتوجيه الشباب نكون قد أعددنا الأمة المقبلة والجيل المقبل، ويكون اطمئناننا على مستقبل الاسلام في هذه الأرض أكثر، ثم ينبغي لنا أن نراجع طريقتنا في الكلام مع الشباب، فالخطيب ينبغي له أن يفهم أن الخطبة التي كانت تصلح في 1920 ليست هي الخطبة التي تصلح في 1984 لا من حيث الأسلوب ولا من حيث الموضوع ولا من حيث طريقة الالقاء، لأن ذلك الخطيب مسؤول عن تحبيب ما في تلك الخطبة وفي المسجد وفي الاسلام، واذا تصرف أي تصرف من شأنه تنفيرهم من ذلك تحمل المسؤولية العظمى أمام الله، اننا في بعض الأحيان نستمع الى خطب أسلوبها يرجع الى القرن العاشر الهجري، لا أقول القرن الثالث أو الرابع، لأنه كان الأسلوب ممتازا، ولكن في هذا القرن العاشر والقرن التاسع كان الأسلوب منحطا نسبيا وثقيلا بالسجع وثقيلا بالمحسنات البديعية.

والخطيب أمامه أميون، وأمامه أناس بدو، وأمامه شباب درس باللغة الفرنسية وهو يخاطبهم بأسلوب بديع الزمان الهمداني، هل المهم عنده أن يلقي الخطبة وكفى، أم المهم عنده هو أن يفهم الناس وأن يستفيدوا، اذا فهمنا أن خطبة الجمعة يستمع اليها 12 مليون مغربي في كل أسبوع فهمنا أي عبء ملقى على عاتق خطباء الجمعة، لأن خطيب الجمعة ساعده الله تعالى فتولى مهمة جمع الجمهور له «يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله» فالله تعالى تولى جمع الجمهور والسنة وضعت الآذان لينادي المؤذن الناس حي على الصلاة حي على الفلاح، فيجتمع الناس لهذا النداء، ونساعده بالحديث الذي يتلى قبل الخطبة دائما «ومن لغى فلا جمعة له» فتكون الشروط كلها مهيئة، ويأتي المسلم وهو مهيأ نفسيا وعقليا للاستماع ومتفتح روحيا، فتأتي أنت وتنزل عليه بخطبة لا أول لها ولا آخر، وبلغة ليست لا لغة قس بن ساعدة ولا لغة غيره من فصحاء العرب، فرفقا بهذا المسلم الذي جاءك.

الأمر يقتضي أن تتناول معه مشاكله اليومية التي يعيشها، تناولها معه بالأسلوب الايجابي، تناولها معه بالأسلوب الذي يبشره ويشجعه ولا ينفره ولا ييئسه، تناولها معه بالأسلوب البسيط ولو اقتضى الحال أن تشرح له الخطبة بالدارجة، حرر خطبتك باللغة العربية الفصحى وأعدها بالدارجة، اذكر حديثا نبويا في خطبتك واشرحه بالدارجة، لأن المهم هو أن تؤدي الخطبة مهمتها ووظيفتها، ليس المهم أن نصعد على المنبر ونتكلم نصف ساعة.

الخطيب الذي يتناول حاجة الوقت يستغل طاقة الناس للاهتمام

بالحدث في ذلك الوقت، فربما يكون الحدث عاديا ولكنك تتناوله وتستثمره دينيا فتجر الجمهور اليك بذلك الموضوع الذي يهتم به حتى اذا ملكته وجهته الوجهة الصحيحة.

ثم في دروسنا وفي خطبنا ينبغي أن نتطور، لأن الوقت يتطور ويتغير، ينبغي للخطيب ولصاحب الدروس أن يقرأ، لأن بالقراءة تساير ما هو موجود ولأن القراءة هي التي تشكل المادة التي في الفكر والذهن، فاذا قرأت ما يقرأه الشباب فهمته لأنك تفهم من أين جاءته تلك الأفكار وتفهم كيفية معالجتها، ويسهل عليك الحل، لأنك تقرأ حجج أولئك الناس الذين اقتنع بهم، وسيخرج مقتنعا تلقائيا ويرجع الى الاسلام وحده، ولكن اذا كنا لا نقرأ الشيء الذي يقرأه الناس، لا نعيش الحياة التي يعيشون فلا يمكننا أن نوجههم، فاذا لا بد للخطيب وللمكلف بدروس الوعظ والارشاد أن يقرأ ويربط الصلة بالشباب وبالمجتمع ويعايش المشاكل وأن يخرج من اطار هذه القوقعة التي انحصر فيها عدد من الخطباء والمرشدين في عدد من الجهات، هذه القوقعة التي جعلتهم لا يتناولون الا نفس المواضيع وبنفس الروتين وبنفس الصيغة، وهناك مواضيع مثلا:

لماذا لا أتناول مثلا في خطبة الجمعة موضوع المحافظة على الوقت، موضوع الموظف المثالي، موضوع حقوق الأبناء على الوالدين أو حقوق الوالدين على الأبناء، موضوع حقوق الجماعة على الفرد وحقوق الفرد على الجماعة، لماذا نبقى منحصرين في بعض الموضوعات التي هي من قبيل الموضوعات التي شبع الناس منها، اذا أردت أن تقنع أحدا بأن لا يعود الى شرب الخمر لن أتوصل الى ذلك بأن أقرأ عليهم كل أسبوع خطبة في استنكار الخمر وفي بيان مفاسد الخمر، بل ينبغي أن أتناول هذا الشخص من الأساس، لا أتكلم معه في الخمر، الخمر لا يهمني، أتكلم معه في هويته هل هو مسلم أو شيء آخر، اذا كان مسلما أتكلم معه فيما يوجبه عليه دينه ومن جملة ما يوجبه عليه الصلاة، وأستطيع أن أقول له اضمن لي أن تصلي وأضمن لك أن لا أتكلم معك في قضية الخمر أبدا، يلزمنا البحث عن أصل المشكل، هذا الشاب من أين جاءه المشكل، جاءه المشكل من ضعف ايمانه، لماذا؟ جاء المشكل من كونه ساكنا بجانب الماركسية، أو الوجودية، أو هذه المصائب الاديولوجية التي دخلتنا، فأحاول أن أدرس الشباب كمجموعة وكظاهرة اذا لم أستطع أن أدرسه كفرد.

نعم من واجب وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية أن تتعاون معكم في هذا الباب وأن نضع اليد في اليد، وفعلا وضعنا خطة لهذا التقويم والتصحيح ، وتبنى هذه الخطة أولا على طبع مجموعة من خطب الجمعة النموذجية لتكون بين أيدي السادة الخطباء، وفعلا صدر الجزء الأول من هذه السلسلة ويوجد الجزء الثاني تحت الطبع، واكدنا على وضع الكتب بين أيدي السادة العلماء من خطباء ووعاظ، لأن فراغ اليد من الكتب هو الذي يؤدي الى الارتجال، والارتجال يؤدي الى أي كلام والى ملء الفراغ بأي شيء، بينما الخطيب أو الواعظ اذا كانت بين يديه الكتب والمصادر اذا سأله الناس لا يجد حرجا في أن يقول لا أدري، ولكن سأبحث فيرجع الى الكتب ويبحث ويجيب جوابا صحيحا، اذا خطب وأراد أن يأتي بالحديث راجعه في الكتاب ليتأكد من صحته، واذا أراد أن يشرح لفظا في ذلك الحديث راجعه في الكتاب ليتأكد من معناه، فاذا أعطى الناس مادة أعطاهم مادة سليمة وصحيحة، وملء الأيدي بالكتب من شأنه أيضا أن يقلل من البلبلة الموجودة في بعض الجهات من الناحية الدينية بحيث هذا يفتي بحلية هذا العمل وهذا يفتي بأنه حرام، والسبب هو أن أحد المفتيين أجاب دون أن يطلع ودون أن يراجع، فهذه مسؤولية، وعدد من المسائل تبقى بين أخذ ورد ، البعض يقول القبض والبعض يقول السدل ، وتبقى المسائل مذبذبة وبين أخذ ورد، لماذا؟ لأننا لم نحتكم الى كتاب، كتاب العلم موجود، والأحكام الشرعية مضبوطة، وعندنا مذهب واحد لا ثاني له عندنا المذهب المالكي، وكتب المذهب واضحة وموجودة فلنرجع اليها في هذه المسألة وينتهي النزاع، فهكذا عدد من المشاكل تخف باعتمادنا على الكتب، ثانيا أن هذه الكتب ستعمل ان شاء الله على أن تكون في اتجاه دعم المذهب المالكي، ولماذا المذهب المالكي؟ ان المذهب المالكي نتمسك به ونحرص عليه ونتفانى في خدمته ونتشبث به كامل التشبث وبكل ما تملكه من قوة، لأنه عنصر أساسي من عناصر وحدتنا الوطنية.

الامة المغربية بقيت كلمتها مجتمعة اربعة عشر قرنا بفضل المذهب المالكي، بينما دول أخرى تفرقت وتشتت شملها، هذا شيعي، وهذا حنفي، وهذا شافعي، وهذا حنبلي، وهذا مالكي، فتشتت شيعا وتفتت كيانها بسبب كثرة المذاهب والملل والنحل، بينما الامة المغربية بقيت اربعة عشرة قرنا مجتمعة على مذهب واحد.

هذا المذهب الواحد تنبه اليوم خصومنا الى خطورته في وحدتنا فاخذوا يتسربون لزعزعته، نحن من الوعي بأهمية هذا المذهب وبخدمته لوحدتنا الوطنية، لكن ليس هذا فقط هو السبب الذي يدفعنا للتمسك بالمذهب المالكي، بل السبب شرعي قبل كل شيء، المذهب المالكي هو المذهب الذي سار عليه اجدادنا واسلافنا واجتهدوا داخل احكامه وظهرت عندهم اعراف وتقاليد مبنية على هذا المذهب وصار عندهم ما يسمى بالعمل مستمدا من هذا المذهب، ثم انه شرعا لا يمكن لاحد ان يقلد اكثر من مذهب واحد، واذا كان لابد من مذهب واحد فانه ثبت عندنا بالاحاديث وبالحجج الدامغة ان الامام مالك اولى بالاتباع من غيره، لانه اولا شيخ جميع اولئك الائمة الاخرين، هو شيخهم واستاذهم، هذا لا ينازع فيه لا الشافعية ولا الحنفية ولا الحنابلة،

فاتباعنا للشيخ اولى من اتباعنا بتلميذه ثانيا هو امام المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام، ومعنى امام المدينة المنورة ان مذهبه اقرب الى عمل ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم والى ذلك الجو الاسلامي الذي نشأ في المدينة مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والانسان لا يستطيع ان يقلد اكثر من مذهب لانه مجرد مقلد والمقلد لا يستطيع ان يختار، ولو استطاع ان يختار بين المذاهب لاصبح مجتهدا، فهو مجرد مقلد فقط، اذا فتمسكنا بالمذهب ليس لاسباب اجتماعية او سياسية وان كانت لها اهميتها القصوى، ولكن لاسباب شرعية، ثم اننا نتمسك بالمذهب المالكي لان جمع كلمة الامة اولى من تفرقتها والمحافظة على وحدتها اولى من تفتيتها وكل عمل من شأنه ان يجمع الكلمة او يجمع الصف من الواجب شرعا ان نحرص عليه، فاذن مناداتنا بالمذهب المالكي وتمسكنا بالمذهب المالكي ما هو لا تحكم في افكار العلماء كما يقول بعض الناس ولا هو توجيه خاص.

ان الجميع يعلم ما يوليه امير المؤمنين حفظه الله ونصره لشؤون الدين، والحمد لله ثمار جهوده المباركة ثمار يانعة تفرح لها قلوب المؤمنين وتنكد لها قلوب الكافرين والمارقين، فالمساجد تبنى كل يوم وفي كل مكان في المدن والقرى، والدولة تشجع هذه الحركة، والكل يبارك لان الكل يعلم ان هذا داخل في سياسته التي يرغب فيها امير المؤمنين ويرضاها لشعبه، فالمساجد تبنى والصوامع ترفع ومنابر العلم تقام والعلماء يتكلمون بكل حرية ويلقون كل دعم ومجال العمل مفتوح في هذا الميدان للجميع، فاذن هذه كلها بشائر وكلها مبرات من مبرات أمير المؤمنين وكلها نعمة تستوجب الشكر والحمد، والشكر والحمد كما يكون باللسان يكون بالقلب ويكون بالعمل، والظروف والحمد لله كلها مهيئة فما على العلماء الا ان يعملوا وان ينشطوا لانهم مسؤولون امام الله قبل كل شيء على هذه الامانة التي في اعناقهم فينبغي ان لا يضيعوها وينبغي ان تتكاثف الجهود وان يقع التعاون التام الكامل فيما بينهم وبينهم وبين المواطنين وبينهم وبين المجالس المنتخبة وبينهم وبين السلطة المحلية لان هذا هو معنى «تعاونوا على البر والتقوى» هذا هو البر الذي ينبغي ان تتكاثف الجهود وان يقع التعاون بين الجميع لترى بلدنا على صبغتها الاولى وعلى اصلها الاول امة مسلمة مؤمنة متمسكة كامل التمسك بدينها، فاذا كانت كذلك جاءها نصر الله في جميع الميادين العسكرية والمادية والسياسية والاجتماعية وفي اي ميدان ميدان، لان النصر مشروط بهذا الشرط.

ايها السادة الافاضل لا اريد ان اطيل عليكم وقد حاولت ان اكون صريحا معكم كل الصراحة وحاولت جهد الامكان ان اتناول بعض القضايا بموضوعية وينبغي ان تعتبروا كلامي داخلا في قوله صلى الله عليه وسلم «الدين النصيحة» فتسمعوا مني النصح واسمعه منكم هذا واجبي كما هو واجبكم لاننا جميعا نتحمل نفس المسؤولية، والحمد لله انا متفائل جدا، متفائل من مستوى الخطب والدروس ومن هذه الصحوة الاسلامية التي نشهدها في بلدنا والتي تستقطب الشباب والكهول والشيوخ، فما علينا الا ان نواصل الجهود ونسأل الله تعالى ان يكتب لنا ولكم التوفيق في جميع اعمالنا وان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه تعالى سليمة من كل هوى وكل رياء وكل نفاق وكل غرض دنيوي وان يمتعنا جميعا بطول عمر أمير المؤمنين وان يحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم وان يقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد انه على ما يشاء قدير، والسلام عليكم ورحمة الله.

تدشين منشآت اجتماعية ومؤسسات دينية تابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

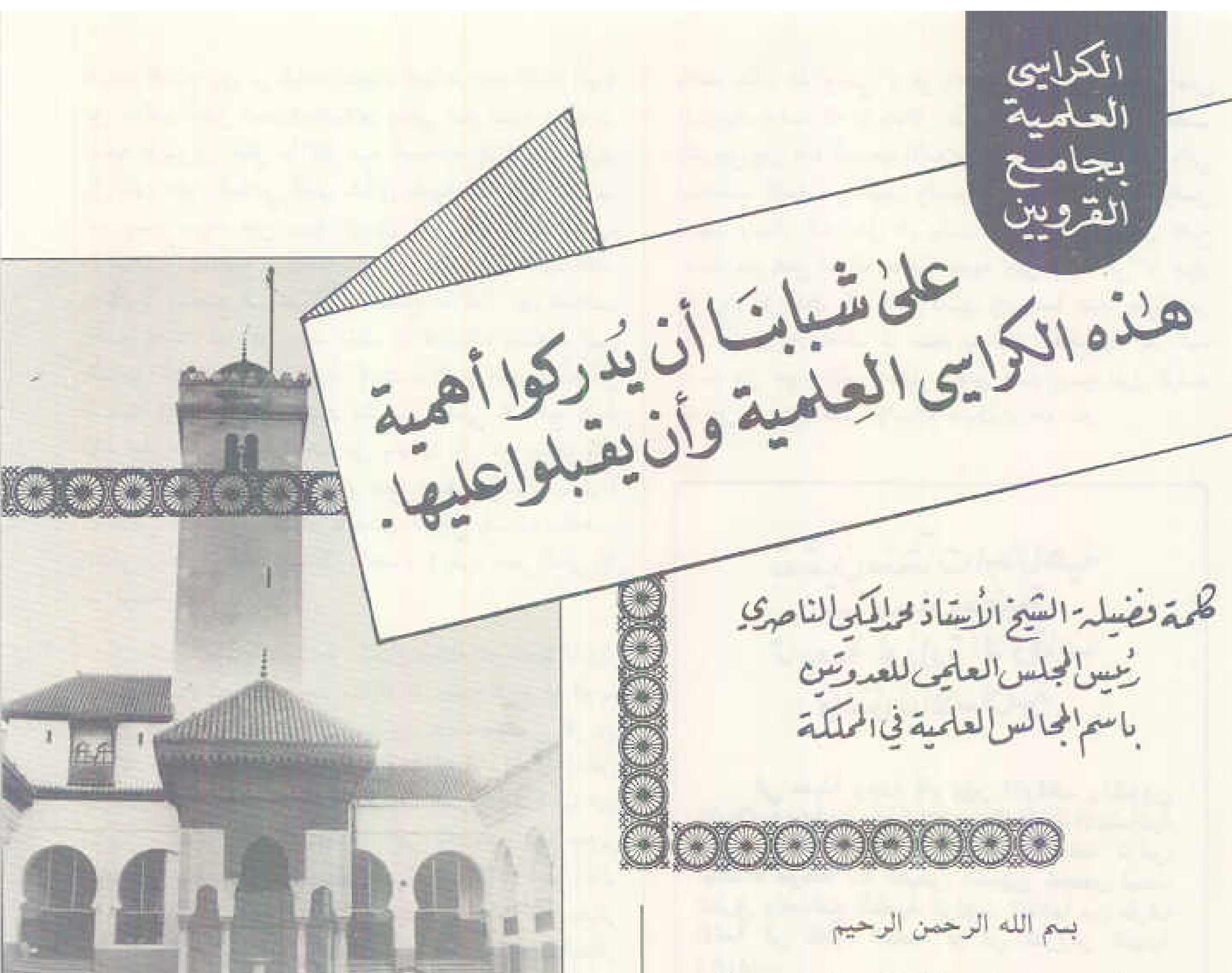
في مدينة وجدة قام وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بتدشين وزيارة عدد من المنشآت الاجتماعية والمؤسسات الدينية التابعة للوزارة، كما ترأس اجتماعا موسعا مع القيمين الدينيين خصص لبحث الطرق والمناهج العلمية الواجب اتباعها من طرف الأئمة في خطبة الجمعة أو في الدروس الدينية وغيرها...

وتم تدشين العمارة السكنية التابعة لنظارة الأحباس بوجدة والتي كلف انجازها 390 مليون سنتيم... والعمارة تحتوي على 22 شقة سكنية وقيسارية تجارية بها 35 دكانا.

وتقوم هذه المؤسسة حاليا باعداد الطلبة لولوج الجامعة وتكوينهم تكوينا يسمح لهم بالمشاركة في مختلف الامتحانات التعليمية لمتابعة دراستهم العليا.

وبعد ذلك قام السيد الوزير بزيارة لمدرسة البعث الاسلامي لحفظ القرآن الكريم والتي يدرس بها حاليا حوالي 120 طالبا.

وقام السيد الوزير بنفس المناسبة بزيارة لمقر المجلس العلمي لوجدة حيث اطلع على مختلف المرافق التابعة له من بينها خزانة ومسجد المجلس.



على شبابنا أن يدركوا أهمية هذه الكراسي العلمية وأن يقبلوا عليها.

كلمة فضيلة الشيخ الأستاذ محمد المكي الناصري
رئيس المجلس العلمي للعدوتين
باسم المجالس العلمية في المملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي مستشار صاحب الجلالة، معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ سعادة عامل صاحب الجلالة ـ أصحاب الفضيلة العلماء، أيها الشعب المومن المتحمس لدينه والمعتز بحرارته، إنها لساعة تاريخية تسجل بمداد الفخر في صفحات أمير المومنين الحسن الثاني وفي صفحة أعوانه المخلصين الذين دأبوا على إبراز خطته الحسنية في مختلف الميادين، في طليعتهم السيد أحمد بن سودة هذا الرجل الذي لا يتحدث كثيرا عما يعمل في سبيل الإسلام، وفي طليعتهم الدكتور عبد الكبير المدغري الذي نعتقد مخلصين أنه من حملة الشعلة الإسلامية التي يمتلئ بها صدر الحسن الثاني والذي نعتبره مفخرة لشباب المغرب.

إنه لمن العجب العجاب كلما دققنا النظر في الحسن الثاني تجد صاحب الخطة المرسومة المتوالية الخطوات والمراحل، خطة السياسة، وخطة الوحدة الترابية، وخطة النهضة الإسلامية، لقد فكر أول ما اعتلى على العرش في إحياء علوم القرآن وعلوم الحديث، فكانت دار الحديث الحسنية باكورة مشاريعه، وها نحن اليوم نعيش في فيض من خيراتها وثمراتها بالنسبة للعلماء الأماثل في الوعظ والإرشاد وفي هذه الكراسي العلمية التي دشنها وزير الأوقاف اليوم.

لم يكتف الحسن الثاني بدار الحديث الحسنية، أنشأ شعب الدراسات الإسلامية في كليات الآداب التي كانت إلى وقت ما وكرا للإلحاد، لا أقول وكرا للإلحاد بجميع شعبها، ولكن كانت في كثير من الشعب منحرفة عن الإسلام، منحرفة عن القومية المغربية، تعطي بالظهر للحضارة الإسلامية، فأصبحت اليوم معقلا من معاقل الإسلام، لم يكتف الحسن الثاني بذلك، بل أضاف إلى ذلك إحياء المجالس العلمية والوعد بتعميمها في سائر أقاليم

المملكة لا فرق بين إقليم وإقليم كلما تيسرت الوسائل ويوجد الأكفاء لتيير تلك المجالس في تلك الأقاليم، وابتدأت المجالس على بركة الله نشاطها، وكانت قضية الكراسي العلمية الشغل الشاغل لنجاحها، فكان الحسن الثاني أمير المومنين هو السباق إلى التعبير عن ضرورة إحياء هذه الكراسي، وهو السباق إلى تخطيط الخطة التي يجب أن تسلكها، وأن تلك الخطة الجديدة هي الخطة القديمة محافظة على الأصالة واستمرارا في الطريق كما شنف مسامعنا معالي الدكتور عبد الكبير المدغري حيث أعاد على مسامعنا تلك الفقرات الذهبية التي نطق بها أمير المومنين في مجلس كامل دعا إليه علماء المملكة وعمداء الكليات في مراكش في فبراير 1980، وها نحن اليوم نجد أن جلالة الملك بنظره البعيد وبفضل اختياره لأكفاء المومنين بخطته نجد أن تلك الخطة تسير نحو التنفيذ بحكمة ولباقة وفي جوّ مرح يفرح به بإذن الله، وقد اندهشت أيها السادة وأنا أخطو تلك الخطوات المباركة نحو القرويين وأرى أطفال فاس ورجال فاس وفتيات فاس كلهم واقفون في طريقنا بوجه بشوش وغبطة ظاهرة وبفرح لا حد له لأنهم يعيشون يوما جديدا بعثت فيه هذه الأمة، يوم البعث الإسلامي الذي نادى به الحسن الثاني اليوم يتحقق على الوجه الأكمل.

حضرات السادة العلماء،

إذا كان هذا الفرح في هذا الجمع الكريم التاريخي بالقرويين، فليس ذلك لأن القرويين مؤسسة فاسية، لا هذه القرويين كل قرية من قرى المغرب وكل بلد من بلاد المغرب وضع فيها لبنة، هؤلاء العلماء الذين تفتخر بهم، واحد من تافيلالت، واحد من سوس، واحد من بني ملال واحد من تطوان، واحد من جبالة، واحد من روافة، عندما نضع الخريطة الثقافية والعلمية للمغرب ستجدون أيها السادة أن القرويين لا يوجد فيها ركن من الأركان إلا وفية لبنة من اللبنات ومعها سوسي أو ريفي أو جبلي أو بربري أو حضري، ولذلك كانت القرويين، لأنها مظهر العبقرية المغربية اجتمعت فيها عبقرية كافة العشائر وكافة الفصائل وكانت فاس زمنا طويلا هي كرسي المملكة، وكرسي المملكة تجبى إليه ثمرات كل شيء وتهرع إليه نبغاء من كل مرفق ومن كل مركز، لا لأنها لفاس ولا لأنها بنت فاس، ولكن لأنها مجد المغرب وبنت المغرب وحصن العبقرية المغربية الإسلامية، فستجدون أيها السادة ما من بلد بلد في هذا اليوم، ما من ركن من أركان المغرب وزاوية من زواياه إلا ويعتبر هذا اليوم عرسا جديدا للإسلام، بقي على شبابنا أن يدركوا أهمية هذه الكراسي العلمية وأن يقبلوا عليها ويكرعوا من معينها، فإن الكليات مهما كانت ذات أنظمة وذات قيود وشروط أصبحت لا تعطي الثقافة الكاملة ولا العمق العلمي الذي يجب أن يتحلى به الطالب، هنا العلم للعلم لا بالشهادة ولا بالاحتراف ولكن ببلوغ الدرجات العليا.

أيها السادة،

أهنئ نفسي وأهنئ فاس وأهنئ رئيس المجلس العلمي زميلنا العزيز، وأهنئ صانعي هذه المعجزة الجديدة في الوقت الذي يتراجع فيه الناس إلى الماديات ويخطون خطوات في طريق الانحراف، نحن والحمد لله بفضل الله وبفضل الحسن الثاني وبفضل العلماء الأماثيل حاملي الرسالة والمدافعين عنها في جميع الظروف، نحمد الله على أننا نشهد الآن المشهد العظيم، وأنا واثق أن رفاقنا ممن انتقلوا إلى رحمة الله ممن عاشوا في هذا الصرح الشامخ، صرح العلم والدين هم اليوم كذلك في قبورهم مرتاحون مطمئنون يعيشون معنا، لأنهم ماتوا في سبيل الله وكافحوا في سبيل الإسلام ولا حياة للمغرب إلا بحياة العلم والدين.

وحفظ الله أمير المومنين وأطال حياته ونفعنا بمجهوداته وجعلنا من الذين يكونون في مستوى طموحاته حتى نسير وراءه السير الحثيث وحتى نغتنم هذه الفرصة السعيدة التي أتاحها لنا والتي نرجو أن نتابعها ونلاحق خطواتها في بنات القرويين وأبناء القرويين خارج فاس وداخل فاس، وعليهم أن يقبلوا على هذه الرياض النظرة، والله الموفق، والله تعالى يعلي عز أمير المومنين ويديمه تاجا على هذه الأمة ويحفظه في ولي عهده سيدي محمد وصنوه الأمير مولاي رشيد، ويجعلنا جميعا عند حسن ظنه، وإنها لساعة تاريخية نقدم فيها أجمل التهاني لمن أعان أمير المومنين على تحقيق هذا الهدف السامي وفي طليعتهم كما قلت أولا الأستاذ بن سودة والدكتور عبد الكبير المدغري وكافة العلماء المنضوين من حولهم القائمين برسالتهم تحت راية أمير المومنين. والسلام عليكم ورحمة الله.



تبدأ مرحلة جديدة من التطور والتجديد



- 12 عـــــددا في الســـــنة.
- 4 دراهـــــم للنسخــة الواحدة.
- 50% زيـادة في الكميــة المطبوعة.
- توزيع واسع داخل المملكة وخارجها.

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب رقم الايداع القانوني 1981/3



جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه مع عدد من الزعماء الأفارقة خلال مؤتمر الدار البيضاء الإفريقي سنة 1961.

افريقيا... معنا شعوبك كلها

للأستاذ علال الهاشمي الخياري

بمناسبة إعلان المغرب عن الانسحاب من منظمة الوحدة الإفريقية يوم الإثنين 18 صفر 1405 ـ 12 نونبر 1984 احتجاجا على مشاركة المرتزقة الخارجين عن البيعة والمشروعية.

معنا بنو افريقيا... وكل شعوبها
معنا إرادتها، وصوت ضميرها
معنا الجهاد... نصون وحدة أرضنا
لم نلتق غير النصر في تحريرها
صحراؤنا... تهديك يا حسن العلا
ريا أزاهرها وفوح عبيرها
تشدو بلابلها... ترف بظلكم
وبه تلوذ من احتدام هجيرها

☆ ☆ ☆

حطمت يا افريقيا قيودك... فاذكري
من كان عونا بنيك في تكسيرها
نحن الألى يحمون وحدتك التي
في أفقنا قد كان فجر ظهورها
لكنها لما استوت... ما بالهم
قد فجروا الألغام تحت سريرها
هيا انظري... هزلت برأيك ثلة
عجبت شعوب الأرض من تزويرها
في الليل... كم حطيت، سيطلع فجرنا
ويفيق من كان انتشى بغرورها

تلك المنابر للسلام... أمانها
من دون شرع الغاب في تسييرها
لله... بعض بنيك أضحوا بينهم
تجار حرب... تكتوي بسعيرها
هيا انظري... سترين كيف تجرأوا
لم يحفلوا بالأسد أو بزئيرها
وقفوا حيارى من مسيرتنا التي
هي آية الأزمان في تعبيرها
فتكلمي... قولي لنا في ثورة:
افريقيا معكم بصدق شعورها
معكم... مع الصحراء أنتم أمة
كالشمس تطلع... تستضيء بنورها
يا حسن موقفكم... هجرتم ملعبا
قد عرض افريقيا لسوء مصيرها
وغدا... نراكم، يا حماة عرينها،
اشعاع صحوتها، وهدي مسيرها

الأستاذ علال الهاشمي الخياري



قسم المسيرة

أقسم بالله العلي العظيم
أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء
مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز
إلى الصحراء، أقسم بالله العلي العظيم
أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي في سري
وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على
طويتي وصدق نيتي.

القسم الذي أقسم به الشعب المغربي دفاعا عن وحدته الترابية
وذودا عن سيادته الوطنية